Blake 22

٢٢ شاقل

الكاتب ٥١

للثقافة الإنسانية والتقدم .

العـــدد
حادي والخمسون
تموز – ١٩٨٤

JUL 1984

- لنستكمل قواعد الوحدة الوطنية
- الدور المتعاظم والمتميز للطبقة العاملة الفلسطينية في النضال الوطنـــي .
- القومية الفلسطينية بعد أحداث لبنان .الطريق المسدود فـي الظـروف الراهنـــة
- الحركة العمالية والنقابية في المناطق المحتلة ١٩٦٧–١٩٨٣
- التغيرات الزراعية في قريـة فلسطينية – بير زيت –
- التمو اللغوى هدف تربـوى ومسؤوليـة وطنيـــة
- البكائيات في الادب الشعبي
- الانسان الجديد في الاتحـاد السوفييتي (التربية والتعليم)
- تصوير الشخوص في قصص الكتاب الشباب بقطاع غـزة
- يا كتاب الارض المحتلة اتحدوا ضد الملتقى الفكرى ودائرة الكتـــاب .

يوجـد بديل لنهج التذيل
لإدارة الأمـيركـ

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المحرر المسؤول
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor -
Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

هيئة التحرير
محمد البطراوي — جميل السلحوت
بثام الصالحي — محمود الشيخ
صالح زقوت — عمر حمش

المسؤول الإداري: يحيى شقير

صف ومونتاج: عبير أبو خوص

المراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس

الاشتراكات:

بالبريد أو ما يعادله عن سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار
بلدان أخرى ٦٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار
بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

الهدف

العدد (٥١) السنة (٥) تموز ١٩٨٤

جامعة بيرزيت
7 JUL 198
Library
BIRZEIT UNIVERSITY

كلمتنا

لنستكمل قواعد الوحدة الوطنية ٢

سياسة

• أحمد الأحمد
– يوجد بديل لنهج البديل للادارة الامريكية وحلفائها ٤
• د. نصير عاروري
– القومية الفلسطينية بعد احداث لبنان، الطريق المسدود في الظروف الراهنة ٧
• بشير البرغوثي
– الدور المتعاظم والمتميز للطبقة العاملة الفلسطينية في النضال الوطني ٢٣

دراسات وابحاث

• جورج حزبون – بسام الصالحي
– الحركة العمالية والنقابية في المناطق المحتلة ١٩٦٧ – ١٩٨٣ ٣٢
• عادل الزاغة
– السياسة الاقتصادية للطغمة الحاكمة في تشيلي والاستقطاب السياسي ١٩٧٣ – ١٩٨٣ ٥٢
• موسى علوش
– التغيرات الزراعية في قرية فلسطينية – بير زيت – ٦١
• علي الجربري
– النمو اللغوي هدف تربوي وسؤولية وطنية ٦٨
• ابراهيم العلم
تصوير الشخوص في قصص الكتاب الشباب بقطاع غزة ١٠٠

مداخلات

• فتحي عبد نصرة
– العلاقة بين الفن وعلم الجمال الماركسي ٩١
• عطا القيمري
– الحقيقة ومبدأ الحزبية ٩٦
• أحمد الأحمد
– يا كتاب الارض المحتلة اتحدوا ضد الطغيان الفكري ودائرة الكتاب ١١٧

ندوة

– حول ديوان الشاعر خليل توما "تعالوا جميعا" ٧٩

التراث

• جميل السلحوت
– البكائيات في ادبنا الشعبي ٧٦

مع الكتب

• حازم اليماني
– الانسان الجديد في الاتحاد السوفييتي (التربية والتعليم في الاتحاد السوفييتي) ٨٥

مقابلات

• عمر حمش
– الكاتب كايد ابو حشيش ١١٥

قصة

• محمد ابو النصر
– دوو الكوفيات الحمراء ١٠٣
• مارك رازومن – ترجمة يعقوب اسماعيل
– الخطوات ١١٠

شعر

• حسن حميد البرغوثي
– بائع الوسن المتجول ١١٢
• نوفة عروق
– سقوط خشبة المسرح ١١٤

شهريات

– رسائل وردود ١٢٠
– اضواء ثقافية ١٢٢

Digitized by Birzeit University Library

لنستكمل قـ... حلقتنا

مع صدور هذا العدد ، تكون قد انتهت الجولة الاخيرة من حوار الفصائل الفلسطينية في عدن ، ولعل الوقت قد حان لكي يلتقط كل الحريصين على وحدة منظمة التحرير انفاسهم ، اذ أن الرهان الذى عقده المتربصون بشعبنا ، سقط ولن تقوم له قائمة ، الامر الذى جاء مخيبا لامال الكثيرين .

غير أن الاسس التي اتفق عليها حتى الان في عدن ، تستدعي بالضرورة المتابعة ، والالتزام بها حتى يصار الى استكمال كافة القواعد الصحيحة في بناء البيت الفلسطيني ، على أسس ديمقراطية ، يشارك في صنع قراراتها كافة الفلسطينيين الملتزمين بمنظمة التحرير الفلسطينية ، وبقضايا شعبهـــم .

ان الجهات التي انطلقت تلعب دور الحريص على منظمة التحرير بعد خروجها من بيروت محاولة احتواءها . وادخالها دائرة اللعبة الاميركية ، ارتطمت بواقع مختلف ، حال دون استمرارها في لعب هذا الدور الهادف الى جر منظمة التحرير الى حظيرة المخططات الاميركية ، وابعادها عن حلفائها الحقيقيين سواء على الساحة الفلسطينية او العربية ، من هنا كان لا بد من رأب الصدع ، واعادة اللحمة الى منظمة التحرير ، من خلال الحوار الهادف

Digitized by Birzeit University Library

قواعد الوحدة الوطنية !

والجاد لاعادة وضع منظمة التحرير في مسارها الصحيح ،وقطع الطريق على المراهنين على سقوطها في حبائل الادارة الامريكية عبر وكلائها في المنطقة العربية ، وهذا ما دفعنا الى تثمين الدور الذى قامت به حكومتا اليمن الديمقراطي والجزائر لرعاية الحوار الفلسطيني في عاصمتي البلدين ، والدور العام الذى لعبه الاتحاد السوفييتي لبدء الحوار بين كافة الفصائل الفلسطينية .

ان محاولة البعض في المناطق المحتلة ،تصوير الوضع وكأنه عودة طرف الى آخر ،لن يفيد في شيء ولانه غير صحيح ،اذ لو كان كذلك ،فليس من داع للحوار ،بل ان الاحساس بالمسؤولية الطقاة على عاتق الجميع ، دفعهم جميعا للحوار والاتفاق ، وتقييم ما تم حتى الان ، وتصحيح ما لم يكن صحيحا .

اننا في المناطق المحتلة ، ننظر الى حوار عدن ،بروح التفاؤل والقدرة على تجاوز ما تبقى من قضايا وعقبات نهائية ، تمهيدا لاستكمال الحوار مع سوريا والحركة الوطنية اللبنانية والاطراف الفلسطينية الاخرى وصولا الى منظمة تحرير موحدة ، تقف مع حلفائها الطبيعيين ، في خندق واحد لتحقيق الطموحات الفلسطينية وفي مقدمتها حقه الشرعي في اقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني .

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

يوجد بديل لنهج التذيل للادارة الاميركية وحلفائها

أسعد الأسعد

لا تزال الادارة الاميركية ماضية في سياستها الرامية الى فرض هيمنتها على المنطقة، وربط المزيد من دول المنطقة العربية بعجلة السياسة الامبريالية ، وتحويل بعضها الى قواعد اميركية رئيسية ، تكاد تشكل مرتكزا أساسيا في سلم الدفاعات العسكرية الاميركية المتقدمة خارج اراضي الولايات المتحدة ، وقد نجحت الادارة الاميركية ، في ضمان وضع متذيل وعميل في العديد من دول الخليج العربي وعلى جانبي البحر الاحمر ، الامر الذى يزيد من فرصة نجاح الادارة الاميركية في تحقيق مزيد من الهيمنة والتحكم في دول المنطقة، مما يزيد من خطورة اغراق المنطقة في سلسلة من الحروب لسنوات طويلة متتالية ، تديرها الادارة الاميركية من خلال عملائها وشركائها الفعليين في الشرق الاوسط .

ان التطور الخطير ، والذى هدد منطقة الخليج العربي في الاسابيع القليلة الماضية ، وتلويح الادارة الاميركية بالتدخل ، ثم اغراق المنطقة بالاسلحة والدفاعات الجوية المختلفة، بحجة الدفاع عن أمن الخليج ، والمحافظة على استمرار الملاحة في الخليج العربي، والتصعيد الخطير الذى رافق ذلك ، سواء على جبهة القتال العراقية-الايرانية ، أو على مداخل الخليج ، كانت بمثابة محاولة لضرب سوريا ، وهي التي تحتفظ بعلاقات حسنة مع ايران ، رغم ان التصعيد ترافق والزيارات المتتالية التي قام بها عبد الحليم خدام الى طهران في محاولة لوقف قصف ناقلات البترول في الخليج ، وعدم التعرض لحركة السفن في المياه الدولية .

Digitized by Birzeit University Library

ان ذلك التصعيد ، لم يكن هناك ما يبرره ، سوى تقويض المساعي السورية ، الامر الذي دفع بالادارة الاميركية الى تزويد السعودية بكميات كبيرة من الاسلحة والدفاعات المتقدمة ، كذلك تعزيز القواعد الاميركية في سلطنة عمان ، ودفع المزيد من القطع البحرية لتعزيز الاسطول الاميركي الذي يتجول في مياه بحر العرب وعلى مداخل الخليج العربي قرب مضيق هرمـــــز .

وضمن مسلسل تعزيز الدور الامبريالي في المنطقة ، تأتي المناورات والتمرينات الاسرائيلية ـ الاميركية المشتركة والتي جرت يوم ٢٠ / ٦ / ٨٤ ، في البحر المتوسط ، لاختبار القدرة على استيعاب الجرحى ومدى المساعدة التي من الممكن ان تقدمها المستشفيات الاسرائيلية للقوات الاميركية في حالة الحرب ، في وقت تبدو فيه العلاقة الاميركية الاسرائيلية في أفضل صورها . وقد أكدت ذلك مجلة يو . إس . توداي الاميركية ، في تقرير نشرته مؤخرا ، تحدث التقرير عن تطور العلاقات العسكرية بين الادارة الاميركية واسرائيل ، الامر الذي يؤكد أن اسرائيل أصبحت شريكا كاملا للولايات المتحدة ، وليس مجرد وكيل معتمد في المنطقـــــة .

ان اللجان المشتركة متعددة الاختصاص بين الجانبين ، والتي يزداد عددها يوما بعد يوم يؤكد السياسة المشتركة ، والتفاهم التام ، وتطابق المصالح الاقتصادية والسياسية لكلا الطرفين ، الامر الذي حدا بهما الى تشكيل مثل هذه اللجان ، لتنفيذ السياسة الاستراتيجية الواحدة ، المتفق عليها ، بحيث تبدو هذه اللجان ، أقرب الى لجان العمل منها الى لجان البحث والدراســـة النظريـــة .

من هنا فان رفض الحكومة الاسرائيلية للموقف الداعي الى عقد مؤتمر دولي للقضية الفلسطينية ، استتبع بالضرورة ، رفض الادارة الاميركية لعقد هذا المؤتمر أيضا ، ومن ثم صمت الانظمة العربية العميلة ، او على الاقل عدم تمسكها بمطلب عقد المؤتمر الدولي بشكل جدّي ، تمشيا مع رغبة البيت الابيض ، فقد ذكرت هارتس في عددها الصادر يوم الاربعاء ١٩٨٤/٦/٢٠ ، ان ادارة ريغان أكدت معارضتها للمؤتمر الدولي بشأن القضية الفلسطينية كما اعلن خابيير بيريز دى كويليار الامين العام للامم المتحدة ، أن وزير الخارجية الاميركية شولتز كرر رفض الادارة الاميركية لهذا التوجه ، وعليه فان تراجع الانظمة العربية عن مطالبتها بعقد هذا المؤتمر ، والتزامها الصمت حياله ، ليس لشيء غير رضوخها وتذيلها للسياسة الاميركية ، يعتبر خيانة يجب تعريتها . وتصعيد النضال من أجل عقد المؤتمر الدولي بمشاركة كافة الاطراف بما في ذلك منظمة التحرير الفلسطينية ، لان ذلك يشكل الطريق السليم لتحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني واقامة دولته المستقلة ، وتعرية السياسة الاسرائيلية الامريكية ومعها الرجعية العربية ، والتي تستهدف عرقلة ما من شأنه تحقيق السلام العادل في المنطقة ، وتمكين الشعب العربي الفلسطيني من حقوقه المشروعة ، من خلال اغراق المنطقة في حروب متواصلة ، وسلسلة من الخلافات الداخلية والمحلية ، لضمان سيطرتها على المنطقة ، واحكام ربطها بعجلة الامبريالية .

ان المساعي الحثيثة ، التي تبذلها الادارة الاميركية بالاشتراك مع حكام اسرائيل ،

Digitized by Birzeit University Library

لربط المنطقة برمتها بسياسة كامب ديفيد .لا تزال تحكم كل علاقات الادارة الاميركية بدول المنطقة العربية وتوجهاتها وهي تشكل بندول الساعة التي تسير عليها ادارة ريغان . وتضبط تحركاتها على اساسها ووفقـــا لهـــا .

وقد اتاحت بعض الانظمة العربية الفرصة للادارة الاميركية لاعادة الثقة التي تزعزعت اثر الضربة القوية التي تعرضت لها قوات المارينز في لبنان ، واضطرارها للخروج من هناك بأقصى سرعة ، تاركة أصدقاءها متخلية عن التزاماتها ، وهذا شأن الامبريالية في التعامل ، فحين يكون الثمن باهظا ، فليس من داع للاستمرار مباشرة ،ولذا فقد استطاعت الحركة الوطنية اللبنانية ، ان تنتزع حقها بجدارة وتفرض ارادتها على الادارة الاميركية وحلفائها في لبنان،الامر الذي يجب ان يشكل درسا وعبرة لكل اللاهثين وراء أوراق الحلول الاميركية.

ان سياسة الادارة الاميركية اليوم ، تتضح أكثر من أي وقت مضى ،اذ أن عداءها للشعوب العربية بشكل عام وللشعب العربي الفلسطيني بشكل خاص ليس له مثيل ،الامر الذي يجب أن يدفعنا الى تصعيد النضال والعمل من أجل فضح السياسة الامبريالية في المنطقة، والتأكيد على أنه بوجد بديل لسياسة التذيل والاعتماد على امريكا بتحالف القوى الوطنية والتقدمية، في جبهة عريضة لاسقاط المشاريع الامريكية على اختلاف أشكالها ومسمياتها، ولعل بيان الاحزاب الشيوعية العربية الذي صدر في اواخر شهر حزيران الماضي ، يعبر تعبيرا صحيحا عن الموقف الصحيح الذي يجب التمسك به ، ان الشعوب العربية قادرة على صد الهجمة الامبريالية ، واحباط مخططاتها ، وهذا ما تؤكده نجاحات القوى المعادية للامبريالية في لبنان بالغاء اتفاق الاذعان الموقع في ١٧ أيار ٨٣ ،والخروج الاضطراري لقوات الولايات المتحدة وغيرها من دول حلف الاطلسي من الاراضي اللبنانيـــة" .

وأكد البيان كذلك على تعزيز النضال المشترك للشعوب العربية وقواها الوطنية من أجل تعميق النهج الوطني المعادي للامبريالية ،كما دعا البيان الى عقد مؤتمر دولي لحل القضية الفلسطينية بمشاركة جميع الاطراف المعنية بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي والوحيد للشعب العربي الفلسطينـــي .

ان المهمة العاجلة أمام قوى حركة التحرر العربية ،وبضمنها الفصائل الفلسطينية جميعها يجب أن تتركز على التصدى للهجمة الامبريالية باتجاه الانظمة العربية لجر المزيد منها الى سياسة كامب ديفيد وأول هذه الانظمة ،النظام الاردني ،الذى تسعى الادارة الاميركية الى جره لدخول مفاوضات على أسس واهية ،ان رهان الادارة الاميركية على هذه الانظمة ، وجر المنطقة الى حظيرة الامبريالية يجب ان يشكل اسقاطه المهمة الاساسية والعاجلة أمام حركة التحرر العربية، وأول الخطوات على هذا الطريق ، يجب ان تبدأ باعادة لحمة منظمة التحرير على أسس وطنية ، وبروح المسؤولية العالية تجاه قضايانا المصيرية والقومية ، واعادة بناء تحالفاتنا مع سوريا والحركة الوطنية اللبنانية على أرضية الخندق الواحد والخطر المحدق بالجميع ، الامر الذى يستدعي رص الصفوف واقامة تحالف وطني عريض قادر على الوقوف في وجه المد الامبريالي الرجعي في المنطقة ، والتصدى للمخطط الرامي الى فرض اسلوب كامب ديفيد على المنطقـــة برمتهـــا .

Digitized by Birzeit University Library

القومية الفلسطينية بعد أحداث لبنان الطريق المسدود في الظروف الراهنة *

بقلم : د نصير عاروري*

نقله عن الانجليزية : الاستاذ وديع خوري

نتائج الغزو بالنسبة الى منظمة التحرير .

كانت نتيجة غزو عام ١٩٨٢ مدمرة بالنسبة الى الحركة القومية . فشبه الحكومة ذات الكيان وذات الاسس التي تفي بما يلزم الجمهور الذى يعيش في المنفى من احتياجات اجتماعية واقتصادية ، تلقّت ضربة قاصمة . فقد شملت اهداف شارون "العسكرية" بعض مدارس المنظمة البالغة اكثر من مئة ، واثني عشر مستشفى وثلاثة وثلاثين مصنعا ، ومئات من المحال التجارية الصغيرة وبضعة مياتم ومركز ابحاث واحدا واداة للاعلام ، وما لا يحصى من مراكز الخدمات الاجتماعية في مختلف مخيمات اللاجئين التي تعرّضت للدمار . وبذلك توقفت ثاني هيئة توظيف بعد الدولة عن النشاط باعتبارها وحدة متماسكة . وقد تيتمت مجموعة خلائق بأكملها واضمحلت كالرذاذ بسبب تعرّضها لالذ عدوين للقضية الفلسطينية اى اسرائيل وحزب الكتائب . فالاغتيال والاختفاء والسجن كانت تشكل احداثا يومية لفترة طويلة بعد رحيل رجال المنظمة .

ان قوة حسنة التنظيم من المحاربين والكوادر الثورية التي طالما اعترف بها العالم ، والتي كانت من اركان السلم والحرب في الشرق الاوسط ، اضطرت الى مغادرة لبنان . واما الترتيبات لاجتيازهم بأمان وضمانات سلامة المدنيين الذين خلفوهم وراءهم ، فمهمة لم يتول امرها سوى اولئك الذين اعطوا الضوء الاخضر للغزو ، وهو ما اتصل الى علم الرئيس السابق كارتر في اثناء وجوده في اسرائيل .

* PALESTINIAN NATIONALISM AFTER LEBANON: THE CURRENT IMPASSE

* البروفيسور د . نصير عاروري – نائب رئيس رابطة الخريجين العرب الامريكيين ، محاضر في جامعة (Southeastern Massachusetts University) في ولاية ماشوستس في الولايات المتحدة الامريكية

Digitized by Birzeit University Library

ان المجازر التي وقعت في صبرا وشاتيلا في اعقاب الانسحاب كانت السبب في انشاء قوة حفظ السلام المتعددة الجنسيات ، والتي تحولت مهمتها فيما بعد الى قوة تعمل على تعزيز مكاسب اسرائيل الحربية ، والتي من ضمنها تأمين سيطرة طائفية لتكون وسيلة لانشاء حكومة مركزية قوية في لبنان . وبعد فترة من الوقت اعيد تحديد مهمة الوحدة الاميركية لتشمل قصف القرى الجبلية والاهداف السورية . كل ذلك بقصد تغيير الحالة الراهنة السائدة سابقا . ان معادلة القوى الجديدة كانت تقضي ليس بمحو الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان فحسب ، بل بأن تعيد القضية الفلسطينية الى فترة ما قبل ١٩٦٧ حيث يركز الاهتمام على العدالة والصداقة بدلا من تقريـــر المصيـــر .

ان مقر قيادة منظمة التحرير الجديد في تونس ، على بعد مئات الاميال عن الجبهة ، لا يلائم توسيع الكفاح المسلح ، وهو أكثر ملائمة لعقد المؤتمرات الصحفية واجراء المساومات السياسية بقصد اعادة بناء ذلك الكيان المتهدم . ان المكاسب الدبلوماسية والسياسية التي توصل اليها في غضون عشر سنوات من الحملات المركزة تعرضت فجأة للخطر بسبب الدمار الذى لحق بالقضية من قبل الاعداء والاصدقاء على السواء . لم يعد نعت المنظمة بالممثل الشرعي الوحيد بالامر المفروغ منه بعد ان كان مؤتمر الرباط قد تبناه وقد ووفق عليه في اكثر من عشرة مؤتمرات دولية . اما مشروع ريغان ، وبغموض متعمد محسوب ، فقد نزّل من مرتبة المنظمة . و"المبادرة " الجديدة لرئيس الولايات المتحدة "اتبعت بالاجمال الخطوط العريضة" لكامب ديفيد ، والذى بموجبه لايمكن ضمان السلم ، لابالسيادة الفلسطينية ولابالسيادة الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، لكن بالحكم الذاتي الفلسطيني بالاشتراك مع الاردن ولم يعد انهاء الاحتلال الاسرائيلي غير مشروط . فهو يقتضي الانكار الدائم للحقوق الوطنية الفلسطينية والقضاء على منظمة التحرير الفلسطينية عملا بسياسة الامر الواقـــع .

ومع ذلك فقد ظل مشروع ريغن نقطة الارتكاز في مباحثات مؤتمرات المنظمة في اعقاب احداث بيروت . وكانت تلك هي القشة الاخيرة التي قصمت ظهر البعير . فالخلافات الخفيّة داخل المنظمة تحولت الى حرب ضروس شاملة . اما ياسر عرفات الذى كان اسمه مرافقا لفلسطين فقد اضطر الى الهجرة من لبنان بصحبة محاربين موالين ، وساد الانشقاق المنظمة بصورة علنية ، وكانت الحرب في طرابلس خطرا يهدد القومية الفلسطينية بقدر ما كانت تشكل تهديدا لمستقبل المنظمة ووحدتها وتلاحـم صفوفهـــا .

اما زعيم المنظمة الذى اصبح الرمز الحي لتطلعات الفلسطينيين الى انشاء دولة مستقلة والذى قاد جهودهم في سبيل استعادة الوضع السويّ ، والذى اصبح تجسيدا لنضالهم في سبيل الحصول على الانصاف ، فقد وقف وقفته الاخيرة محاصرا ذليلا يرافقه جزء صغير من المقاتلين الفلسطينيين المنظمين ، الذين كان لهم قول في تكوين الاحداث في الشرق الاوسط لاكثر من خمسة عشر عاما . وفي الناحية المقابلة كان بضعة الاف من رفاق السلاح سابقا ، منشغلين في معارك شرسة ، لم تسفر عن غالب او مغلوب ، ظافرا ومقهورا . كانت

Digitized by Birzeit University Library

هنالك اتهامات واتهامات معاكسة . فغالبية المنشقين اتهموا الاتجاه السائد بالفساد والاساليب الدكتاتورية ، غير ان الطاقة الكبرى كانت سطوة الدبلوماسية والتآكل المزامن في النضال المسلح ، والذى انتهى الى لا شيء في دعم الاهداف الفلسطينية . اما الموالون فقد نسبوا بدورهم الى المتمردين الموالين لسوريا تهمة قتل الاخوة . لقد طالما كانت السيطرة على منظمة التحرير الفلسطينية من الاهداف الاولية للاستراتيجية الاقليمية السورية . وقد لاحظ السوريون انه طالما ظل عرفات المراوغ ممسكا بالدفة ، فان هدفهم ذاك سيظل بعيدا عن التحقيق . وكانت النتيجة حتى ذلك الحين كارثة مفجعة لحركة طالما كانت تفتخر بانها تتابع بلا توان هدفا اوحد في جو يسوده الوفاق والتساهل الايديولوجـــي .

وأخيرا كان من نتائج كارثة ١٩٨٢ تكافؤ الاضداد والتشويش الحاصل لدى الفلسطينيين في بلادهم وفي المهجر . ان الريبة واساءة الظن اللذين كان كل من الفريقين ينظر بهما الى الاخر، هما ابعد ما يكون مما يجب ان تتصف به جماعة مضطهدة لم تكن قط في شك من امرها من ناحية اولوياتها . ولدى الاجمال نقول : اذا كان عام ١٩٤٨ يعرف بعام النكبة فعام ١٩٨٢ لم يكن اقل شؤمـــا .

الصعيد الاقليمي والصعيد الدولـــي

ان منظمة ما بعد ١٩٨٢ / ٨٣ كانت تقف على مفترق الطرق فمقدرتها على مواصلة الكفاح المسلح قد تعطلت بشكل ملحوظ والقبس الوحيد الذى يشاهد في آخر النفق كان القطار نفسه فالمأزق الذى وجدت نفسها فيه هو ما يميزها عن سواها من حركات التحرر في العالم الثالث . ان ادعاءات منظميها عن الاضطهاد لم تكن لتضاهي ادعاءات الناجين من اعمال الابادة النازية ، على الرغم من براءة اولئك ، اى الفلسطينيين التامة وعدم تورطهم في محنة اليهود . اما غريمهم فلم يكن خصما عاديا ، اذ انه كان يمتلك القدرة على تأويل نصوص القانون الدولي . على نحو يسوّغ له التوسع باسم الامن ، والاستعمار باسم الدين ، والاستغلال باسم التقدم ، والتدمير باسم التحديث والتجديد وتنظيم المجازر على اعتبارها جزءا من حربة ضد "الارهاب" . اما وجه الغرابة في كل هذا فهو انه يحدث في عصر مكافحة الاستعمار والتخلي عنه .

استعملت اسرائيل عزو لبنان في صيف ١٩٨٢ ذريعة للتعجيل في ضم الضفة الغربية وقطاع غزة وهو مشروع كان في طريقه الى التنفيذ . لم يكن هنالك في الواقع اى ضغط على حكومة الليكود كما ان لا ضغط يمارس عليها الان ، لا من الداخل ولا من الخارج ليعاكس مسيرة الضم او لينهي احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ، كما انه لم تبد في الافق بوادر لحل عادل يعززه التوقع ان حزب العمل الاسرائيلي سوف يتولى السلطة يوما ما في المستقبل ان اسخى عرض يمكن ان يتقدم به حزب العمل هو تقسيم الضفة العربية والقطاع بين اسرائيل وبين الاردن . فعلى الفلسطينيين اذا ان يختاروا بين الحكم الذاتي تحت السيادة الاردنية

Digitized by Birzeit University Library

وهي سيادة لم يتّم تعريفها بعد وبين الحكم الذاتي تحت السيطرة الاسرائيلية والذي تم تحديده . ويتلخص الخيار الثاني في حكم اداري يطبّق على السكان لا على الارض . فلا اعتراف المنظمة باسرائيل ولا تمسكها بالقرار رقم ٢٤٢ يتوقع ان يأتيا بنتائج افضل .

ان حكومة الليكود تعارض الانسحاب من حيث المبدأ ، كما انها لا توافق في اى حال من الاحوال على اقامة دولة فلسطينية بزعامة المنظمة ، او التخلي عن القدس الموحدة عاصمة "ابدية" لاسرائيل . وكذلك تنص المادتان السابعة عشرة والثامنة عشرة من البرنامج الانتخابي لحزب العمل على الدعوة الى تصفية المنظمة ماديا وايديولوجيا وسياسيا . ثم ان زعيمي حزب العمل بيرس ورابين يعارضان اى اتصال مع المنظمة ،حتى ولو استجابت هذه لمنشور كيسنجر لعام ١٩٧٥ . فقد صرح اسحق رابين قائلا :" ان المكان الوحيد الذى نرضى بأن نلتقي فيه بالمنظمة هو ساحة المعركة "

ليس هنالك ما يدعو الى الافتراض ان الموقف الاسرائيلي بصدد الضفة والقطاع قد اضحى اقل تعنتا في عهد شامير وارنس، واذا كان سأم الاسرائيليين من الحرب قد اضطر الزعامة الجديدة الى تغيير نهجها واسلوبها التكتيكي في لبنان ، فان تأثيره على الضفة الغربية ما زال قيد الانتظار . والواقع ان ارهاب المستوطنين اليهود آخذ في التصاعد والتزايد كما ان هنالك تهديدا في تغيير مكان اقامة سكان مخيمات اللاجئين .

وفي هذه الاثناء نجد العالم العربي يسوده التشويش وتعتريه الفوضى وتمزقه الخلافات الداخلية ،وتمتص دمه الحرب الشرسة مع ايران ، وترهبه سطوة المتزمتين الاسرائيليين ، ويواجه ازمة قيادة ومتاعب اقتصادية .

اما على الساحة الدولية فقد استبعد الاتحاد السوفييتي عن مسرح الاحداث . وانساقت اوروبا مضطرة للسير في خط القوة العظمى الوحيدة التي تعتبر المنطقة مرتعا خاصا بها . اما مشوع بريجينيف لايلول عام ١٩٨٢ ، وتصريح البندقية فلم يعد يسمع عنهما شيء في هذه الايام[1]. فقد اعترفت الخطتان المذكورتان ، ولو بدرجات متفاوتة ، بمطالب الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، ووجوب اشراك المنظمة في ايجاد حل عادل للقضية .

من الناحية الاخرى تنكر خطة ريغان هذه المطالب انكارا قطعيا . فالخطة المذكورة كانت قد أمليت انطلاقا من فكرة ان الغزو الاسرائيلي قد اوجد "فرصة" للسلام في الشرق الاوسط . وبينما اضاءت المنظمة "الضوء الاصفر"[2] لمشروع ريغان ، فان اسرائيل قابلته بالضوء الاحمر ،اى ان المنظمة قبلته على مضض بينما قابلته اسرائيل بالرفض التام ،وهكذا وضع المشروع على الرف ليرقد في الضريح الى جانب رفات مشروع روجرز والاراء التي تلته ، والتي ولد بعضها ميتا والبعض الاخر في انتظار لفظ انفاسه الاخيرة .

وفيما عدا ذلك فقد ترتب على ادارة ريغان ان تتغلب على الاحراج الذى لحق بها من جراء تدمير لبنان . ان التأرجح بين لزوم الانصاف وبين التعاون الوثيق مع اسرائيل يعيد

Digitized by Birzeit University Library

الغزو قد انتهى في صالح الخيار الثاني ، اذ تبع اتفاقية شولتس التعاون الاستراتيجي بين امريكا وحليفتها اسرائيل في نوفمبر عام ١٩٨٣[٣]. اما القضية الفلسطينية فقد دحرت الى المؤخرة ، وحذفت من جدول الاعمال قضية الانسحاب الاسرائيلي من فلسطين المحتلة . وقد حظيت بالقبول النظرية الاسرائيلية القائلة بأن القضية الفلسطينية اصبحت ذات اهمية ثانوية ،ولم تعد العامل الرئيسي في عدم الاستقرار في الشرق الاوسط ولم تعد عائقا في سبيل تطوير علاقات مستقبلية بين دولة عظمى وبين حليفها الاستراتيجي ، وانه لن يسمح لها بأن تتدخل في علاقتهما الخاصة .[٤]

تلك كانت الظروف الاجتماعية العامة التي كتب على المنظمة ان تعمل فيها في اعقاب الغزو ، وهذه لا تكاد توصل الى الحد الادنى من اهدافها وتطلعاتهـــا .

الحلول المقترحة وحالات سوء الفهـم .

ما لم يتنازل الفلسطينيون عن بعض مطالبهم ، وما لم يوافقوا على الدخول في مفاوضات تحظى بقبول الولايات المتحدة والاردن ، فانهم سيفقدون آخر فرصة لبلوغ اهدافهم ،تلك كانت نصيحة الاصدقاء الذين ينفقون اوقاتهم ويسخرون مواردهم وهم يوصون بالاعتدال وينادون بالاحتكام الى المنطقـــق .

ان المئات من افتتاحيات الصحف والاعمدة المعبرة عن الرأى وتحليلات الاخبار وتقارير المؤتمرات كانت جميعها متفقة في الرأى في السنوات الخمس الاخيرة على ان السلام يتوقف على لفظ " الكلمة السحرية" التي تنطلق من فم المنظمة . "وأن السلام سوف يتحقق اذا رضيت المنظمة بأن تسير في خطوات السادات ، اى ان تقبل الوجود الاسرائيلي بجرأة وايجابية لا تقبل الرد . وعندها يزول الجمود من الناحية الاسرائيلية ، وتزول جميع آثار نظرة واشنطن والغرب الى المنظمة نظرتهما الى عنصر منبوذ " هذا ما كتبه ستيفن روزنفلد في صحيفة واشنطن بوست،[٥] وروزنفليـد هـذا نفسـه يلـوم الفلسطينييـن فـي مقـال آخـر على عدم ايجاد مثيل لحركة "السلام الان "الاسرائيلية ، ويقول[٦] هذه لو وجدت فانها كفيلة بأن تنسف مبادرة الاسرائيليين وتخفف من وطأتهم وتزيل ملفهم ، هم ومؤيديهم الاجانب حين يغدو هؤلاء على اتم الاستعداد لتفهم القضية الفلسطينية في جميع ابعادها[٧]. اما الصحفي نيكولا ثميس فيتحدى الفلسطينيين ان يأتوا بأشباه اولئك الاسرائيليين العاصفين" امثال الجنرال ماتي بليد وسمحا فلابن . ويثني على جهود بعض اليهود الاوروبيين والاميركيين البارزين ممن ينادون بالعيش بسلام مع الفلسطينيين امثال برونو كرايسكي والحاخام الكسندر شندلر وثيودور بيكل ومارتن برتس . وقد كان آخر ثلاثة ممن ذكروا من ضمن الستة والخمسين اميركيا بارزا ممن اصدروا بيانا شجبوا فيه "تطرف" بيغن ، يقول ثنمس "كم اتمنى لو كان هنالك ستة وخمسون فلسطينيا متحمسا يعلنون عن هدف العيش بسلام مع

Digitized by Birzeit University Library

اسرائيـــل ".[٧]

في اعقاب احداث بيروت ناشد الفلسطينيين كثير من المعلقين الصحفيين ان يقبلوا مبادرة ريغان على اعتبار انها الفرصة الحقيقية الوحيدة لدفع الاهداف الفلسطينية الى الامام واهارون دافيد ملر يعدد العوائق التي تحد من الخيارات الفلسطينية ، الاقليمية منها والدولية.[٨] وقد كتب مارتن ستون في صفحة المحرر من مجلة نيوزويك ما يلي : على انه يجب ان تغتنم فرصة واحدة ممكنة : ليت عرفات حكم عقله وانضم الى الملك حسين في قبول مقترحات ريغان للسلام ، وهي المبادرة التي رفضها عرفات بازدراء في الربيع الماضي".[٩]

وصحف اخرى مثل نيويورك تايمز رأت في احداث ما بعد طرابلس (١٩٨٣) مناسبة لاقامة جنازة" يستحقها الفلسطينيون لانهم لم يعترفوا بما كان انور السادات وجيمي كارتر يفعلانه في كامب دافيد قبل خمس سنوات . ولو فعلوا انذاك لكانوا اليوم" يساومون لاجل حقهم في رفع العلم الفلسطيني"[١٠]. وصحيفة "التايمز" تختم مقالها الافتتاحي مهددة بالتلويح بالبديل ،اى بالمارقين المتعاونين مثل كويزلنغ حين تقول :" مهما يكن تدمير منظمة التحرير الفلسطينية امرا مرحبا به ، فانه في حد ذاته ليس بالحدث البنّاء . انه يمنح الفرصة للبحث عن قادة فلسطينيين جدد وتشجيعهم على ملاحقة مطالبهم القومية بالطرق السلميـــــة ".[١١]

اما صحيفة "بوسطن غلوب" فتعبر بالروح نفسها ولكن باسلوب مخالف ،بعد صدور البيان عن محادثات مروز وعرفات[١٢]، بقولها : لقد حان الوقت الان للولايات المتحدة لان تتحدث مع منظمة التحرير الفلسطينية ، لانه لا خيار امام عرفات سوى ان ينضم الى اتفاقية كامب دافيد الموالية للامريكيين ،والتي تضم كلا من مصر والاردن وامارات الخليج وحتى نظام الحكم العراقي بزعامة صدام حسين[١٣]. وتوصية مجلة الغلوب لاسرائيل صيغت هى الاخرى بموجب مذهب ماكيافلي (وهو المذهب القائل بان السياسة لا علاقة لها بالاخلاق) . فهي تنصح اسرائيل بقولها : "قد لا يكون ذلك اليوم بعيدا عندما تستغل اسرائيل الانقسامات داخل منظمة التحرير الفلسطينية وداخل العالم العربي وهي فرصة ذهبية ،ليس فقط لاحلال السلام الذى تحتاج اليه اسرائيل وترغب فيه ،بل ايضا للدخول بسلام الى معسكر واحد لتلك المنطقة المنقسمة انقساما مريرا "[١٤]

ويمكن اجمال النقد والتشخيص على النحو الاتـــي :

١) ان الفلسطينيين لم يكن لديهم قبول للحلول الوسط وان المعتدلين بينهم لا وجود ملحوظ لهم .ونظرا للخيارات الحالية المقيدة بالاكراه ، يتحتم عليهم ان يعتنقوا السببية الاردنيـــة .

٢) انه بينما نجد اليهود منقسمين في الرأى ويناقشون الحكم في السياسة التي تبنتها اسرائيل ،نرى الفلسطينيين يتشبثون بمعتقدهم القديم بعناد .

٣) انه نظرا لان الفلسطينيين قد فاتهم القطار، وذلك من جراء اخطائهم هم انفسهم ، فقد حان الوقت لان تبرز الاقلية الصامتة والمعتدلون المعرضون للتخويف ،وان يسمح لهم بأن ينبذوا تطلب زعمائهم .

Digitized by Birzeit University Library

من هم الرافضـــــون ؟

ان هنالك مسحة من البساطة تقارب السذاجة في بعض هذه الاعتراضات ،غير انها تتضمن جرعة من السخرية. لا حاجة في هذا المقام الى تتبع التطور المعروف لاستراتيجية المنظمة الدبلوماسي في مدى السنوات العشر الماضية .حسبنا ان نقول في هذه المناسبة ان التناسق الذي يراه ثميش وروزفلد وغيرهما في موقفي كل من الليكود ومنظمة التحرير هو تناسق وهمي بقدر ما هو مناف للتناسق على المستوى العام . وهو الامر الذي يشجبانه وينتقدانه بعنف .

انه افضل ما ينعت به التصلب الاسرائيلي هو اللاءات الاربع ، اى المواقف السلبية بالنسبة الى انحسابهم وتقرير المصير للفلسطينيين ومنظمة التحرير والقدس غير الاسرائيلية الى ما شاء الله . اما سلبيات العرب في الخرطوم اى لاءاتهم الثلاث لعام ١٩٦٨ فقد تحولت الى "نعم في مدينة فاس ، اوقد قبل ذلك فاين السلبيات العربية من السلبيات الاسرائيليـــــة ؟ (١٥)

ثم ان عقيدة الوطن في مفهوم الليكود وحزب العمل على السواء ما زالت تحدّد علاقات اسرائيل بالفلسطينيين ،فهؤلاء ليسوا سكانا يعيشون تحت الاحتلال بسحب مفاهيم القانون الدولي . فهم قوم يقيمون في البلاد بفضل السماح الاضطراري وعليه تكون النقاط الخاضعة للنقاش قليلة ، ذلك ان وجدت اصلا ، فلا الحدود ولا السيادة ولا الارض ولا الماء يمكن ان تكون موضوع نقاش . فالادعاء المبني على عرف متقادم بان الحكم الذاتي ينطبق على الناس لا على الارض ، ينفي جميع انواع المفاوضات في صالح الحل المفروض .

اما القول بأن الموقف الفلسطيني ينقصة الاعتدال ورفض الحلول الوسط فهو تشويه للحقيقة . ولنكتف في هذا المقام بذكر ابرز ملامح برنامج السلام للمنظمة . منها النقاط العشر المنبثقة عن المجلس الوطني الفلسطيني لعام ١٩٧٤ والتي تخفض مقتضيات الدولة العلمانية الديمقراطية والقائمة على حماية القانون المتساوية في صالح "السلطة القومية" ، وخطة المجلس القومي الفلسطيني للدولة الفلسطينية لعام ١٩٧٨ ، وقرار مجلس الامن الدولي التابع للامم المتحدة بتاريخ ٢٦ كانون الثاني من عام ١٩٧٦ والذى رضيت به المنظمة ، والذى استخدمت الولايات المتحده حق النقض ، والبيان الاميركي السوفييتي المشترك بتاريخ الاول من تشرين الاول من عام ١٩٧٧ ، وقرار مجلس الامن في آب ١٩٧٩ والذى ادلى الى استقالة اندرو يونغ ، ووعود عرفات الكثيرة بالالتزام بمقررات لامم المتحدة كافة ، بما في ذلك قرار المجلس الوطني الفلسطيني في عام ١٩٨٣ بقبول خطة فاس اما بشأن "العبارة السحرية" فنقول : عندما سئل عرفات عما سيكون جوابه لو سأله ريغان عن استعداده للاعتراف باسرائيل ، اجاب : " سأقول لهم حسن (نعم) ، ولكن عليكم ان تتذكروا حقوقنا اولا "(١٦) وقد اوضح فيما بعد انه لم يكن يعارض الاعتراف، بل الاستعمال

Digitized by Birzeit University Library

المقتضب الطائش" لاحدى الاوراق "الثمينة" التي في حوزته[١٧]. فقد لمس بعض "العناصر الايجابية " في مشروع ريغان . وقد اعلم لالي ويماوث الذى كان في مهمة لمجلة "باريد"، انه كان قد بعث باشارات الى واشنطن ،مشيرا الى رغبته في الاعتراف باسرائيل ،او الى تحبيذه التعايش السلمي ، وان واشنطن تجاهلت جميع تلك الاشارات تجاهلا كليا . اما "العبارة السحرية" فقد تلفظ بها بالفعل عندما قال عن المادة السابعة من مشروع الملك فهد الذى يقول انه يجب ان يؤمن بالعيش بسلام جميع دول المنطقة ، ما يلي : عندما قبلناه بدا وكاننا لم نفعل شيئا . لقد قدمنا شيئا محسوسا ،وكانت تلك نقطة التحول . اما اذا ارادت الادارة الاميركيةتجاهل هذه الاشارات فذلك يعني انها تريد ان تدفع بنا جميعا الـى مـــأزق .[١٨]

هذا عن ندرة الاعتدال في الموقف الفلسطيني .والحقيقة ان لهجة الاعتدال هي في المناطق المحتلة امر غير مشروع ، وهو مدعاة للاعتقال والنفي . فرؤساء البلديات الذين اقالتهم اسرائيل وابعدتهم الى خارج فلسطين لهم سجلات تشهد بعملهممع دعاة السلام الاسرائيليين ، كما ان لهم خطبا تدعو الى التعايش والتصالح . اما جريمتهم فكانت دعمهم لحق تقرير المصير للفلسطينيين ،وهو مبدأ معترف به في العالم اجمع ما عدا الولايات المتحدة واسرائيـــــل .

اما فيما يتعلق بالتهمة الثانية ضد الفلسطينيين ،اى انعدام التنوع بالمقابلة مع الشعب اليهودى فنقول انه من المؤسف حقا ان تشهد الحرب الاهلية الفلسطينية بعكس ذلك الادعاء .فقد كانت حربا تقابل فيها المتصلبون "المتزمتون" الذين يعارضون الاعتراف باسرائيل مع دعاة الاعتدال الذين كانوا يرغبون في ان يكتشفوا بالتعاون مع الاردن مادة للتقارب في مشروع ريغان .ثم ان الاردن كان بالنسبة الى واشنطن "معقل اعتدال" على الرغم مما دار في مقابلة الحسين الاخيرة مع صحيفة نيويورك تايمز[١٩]. أما المزيد من الاعتدال فلايعني الا الاستسلام بعينه .

ثم انه من غير الصحيح ان يقال ان اليهود يحكم طبيعتهم اكثر تعددية استمع الى ما يقوله ليوناردفاين ،محرر المجلة الشهرية اليهودية "مومنت"، واحد اليهود البارزين الستة والخمسين الذى جعل نقدهم لتعنت بيغن تميش يتحدىالفلسطينيين ان يصنعوا صنيع اليهود حين يقول : "يجب الا يهدأ بال اعداء اسرائيل .. نقاش ؟ بعضنا يظن ان رئيس الوزراء بيغن قد ارتكب اخطاء شديدة الخطورة . غير ان اشد المنتقدين لسياسة بيغن في الشعب اليهودى يرفضون الفكرة القائلة ان سياسات اسرائيل تشكل العقبة الرئيسية في طريق السلام في الشرق الاوسط ويقولون ان ذلك مناف للمعقول ".[٢٠]

ما الذى ساق إذاً آلة حرب السيد بيغن ضد مخيمات اللاجئين في لبنان ؟ الم يكن تصريح كل فلسطيني ، معتدلا اكان ام متشدداً ، انه ملتزم بحق تقرير المصير ؟ وهو مطلب لا يحق ان يُنعت بالتطرف في نهايةالقرن العشرين . وعليه فلا صحة البتة لوجود ثنائية التشعب والتصلب في الرأي . ان الفارق الوحيد بين تكتل الليكود وتجمع حزب العمل

Digitized by Birzeit University Library

ومساندتهم في الغرب ما هو الا فارق شكلي تجميلي .

ثم انه لو كانت القومية الفلسطينية تقوم على فكرة الدينية القديمة المبعوثة من جديد ، او اللجوء إلى التوسع على حساب الاخرين بحجة توفير الامن لاستحقت عندها الشذب والاستئكار ، لا من قبل اربعة ملايين ونصف فلسطيني .

هنالك نقطة ثالثة لا بد من التعرض لها وهي انه قد حان الوقت الان للافادة من تعثر حظ القضية الفلسطينية ، فاغتنام الفرص في وقت التشويش يثير تساؤلات عن الخيارات الماثلة امام القومية الفلسطينية ،وعن طبيعة الطريق المسدود حاليا في المنطقة .

الطريـــق المســـدود فـــي الوقـــت الراهـــن

النظرة السائدة في الولايات المتحدة اليوم هي ان التطلع الى امكان استعادة الفلسطينيين لجزء من بلادهم قد ضعف كثيرا ،اذا لم يكن قد تلاشى كلياً . فبعد انتزاع قاعدتهم في لبنان التي كانت تؤوي كيانهم المدني والعسكري ،وبعد ان تناثروا في مساحة من الارض تمتد بين الجزائر واليمن ،وبعد انفصالهم عن المنطقةالتي كانوا يسعون الى تحريرها ، وبعد ان حرموا من مقدساتهم وحلفائهم ، قد وصلوا الى "آخر الطريق" . واصبح يقال لهم اليوم ان الطريق المفتوحة الوحيدةامامهم هي الطريق الـى عمـــان .

صحيح ان اولئك الذين يستسلمون للاوهام يفوتهم ان يدركوا حقيقة المستقبل الغامض للمنظمة على المدى القريب . لكن الطريق الى عمان ليس مفتوحا اليوم ،ولم يكن مفتوحا في الربيع المنصرم ، ان الدرب المفتوح الوحيد كان الدرب الى كامب دافيد عن طريق عمان . وهذا الدرب ، حتى ولو كان مفتوحا ، فلن يؤدي الى تقرير المصير . والطريق الى عمان كانت قد اغلقت مؤخراً بفعل الغباوة الاميركية والحصافة السورية مجتمعيـــن .

من المؤكد ان رفض الملك حسين مؤخرا للجهود الاميركيةالتي تستهدف حل الخلاف الفلسطيني الاسرائيلي قد يكون مبعثة القلق من التطورات المهددة في المنطقة ، منها الحملة الاعلامية الاسرائيلية القائلة بأن فلسطين هي الاردن ، والهيمنة السورية والحرب الايرانية العراقية . غير ان ذلك لا يخفي الحقيقة القائلة ان المفاوضات المطروحة تفتقر الى ابسط أسس النجاح . حتى ان الرئيس ريغان لم يكن راغبا في منح الاردن ضمانات بشأن اى تنازلات اسرائيلية في الضفة الغربية . وجل ما صدر منه هو الوعد بحث اسرائيل على تجميد الاستيطان ... والحجة القائلة انه بمجرد حضور الملك حسين الى طاولة المفاوضات فان ذلك سينشيء ضغوطا على اسرائيل بقبول الحلول الوسط" (٢١)

من المؤكد ان الغيظ الذى عبّرت عنه مقابلة نيويورك تايمز للملك حسين ،والذى كان سابقة فريدة في نوعها " قد يكون نتيجة رد الفعل السلبي الشائن للكونغرس على صفقة السلاح التي كان ريغان مزمعا ان يعقدها مع الاردن .. قد يكون شرط التعاقد لشحن الاسلحة

Digitized by Birzeit University Library

مرتبطا بقبول الاردن لاتفاقية كامب دافيد ، الى جانب شروط اخرى ، قد حدا بالملك لان يقول : " لا امل في الحصول على اى شيء " وان يبدى القلق من الولايات المتحدة ولعبتها المزدوجة ، وان يتهمها بالاستسلام لما يمليه عليها الاسرائيليون ولجنة الشؤون العامة الاميركية الاسرائيلية ،الصهيونية النزعة . ولكن بصرف النظر عن نجاح صفقة الاسلحة او فشلها . فمن غير المحتمل ان يتجاوز حسين او عرفات مقررات الرباط وفاس . اما وقد ثبتت السيطرة السورية فالعربية السعودية تنفر من الموافقة على ان تحيد عن تلك المقررات . وعليه فقد وصل ما يسمى بعملية السلام الى طريق مسدود .

اذا كانت الخيارات الفلسطينية محدودة جدا على المدى القريب بسبب عدم تلبية المطالب الضرورية ، فلربما كان التطلع الى خيارات المدى البعيد يختلف عن تلك . فالتحليل لمستقبل القومية الفلسطينية على المدى البعيد يجب ان يدخل في الحسبان اربعة عوامل على الاقل : الفلسطيني والعربي والامريكي والاسرائيلي ، وان بعض هذه العوامل تضع العراقيل في فرضها للقيود ، بينما يوفر بعضها الاخر الفرص المؤاتية .

١ ـ العامـــل الفلسطينـــــــي

ان منظمة التحرير مرتبطة بقضية فلسطين ، لكن الاثنتين لا تعنيان الشيء نفسه . ليس من يستطيع الادعاء ان المنظمة خرجت من محنتها الحالية سالمة . اما قضية فلسطين فستظل قضية مركزية تستقطب الاهتمام . والقضية كانت اسبق في الوجود واسبق الى الظهور من المنظمة . فهي قمة احداث اجتماعية وخبرة قومية ، ما زالت تؤثر بشكل بارز على التطور السياسي والعلاقات الدولية في الشرق الاوسط .

ان قضية فلسطين تدور حول خبرة معارك نضال امتدت سبعة عقود ، واشتملت على بناء مؤسسات للخدمة ومنظمات للعمل ،واحلام وآمال ورؤيا مجتمع مستقبلي واطار لكيان متعدد الوجوه .فهناك اكداس مكدسة من القصائد والروائع الادبية النثرية واللوحات الفنية والموسيقى والامثال والتراث الشعبي . وهي حصيلة خبرة تاريخية عامة ، وكلها تعريف لقضية فلسطين . من المحتمل انها ستظل عاملا يمد اهداف الفلسطينيين القومية باسباب الحياة. وسوف تفيد باعتبارها اداة لتعزيز الحقوق الوطنية ، وتحول دون قيام كويز لنغ (خونة) يستسلمون للمخططات الاسرائيلية . وكذلك يحتمل ان يخدم الحوار ضمن المنظمة وفي اوساط فتح حاجزا يمنع حصول المزيد من التدني في الوضع الهزيل الحالـــي .

ان الانقسام بين الفلسطينيين برز ايضا على شكل عائق للتقدم في ايجاد حل سياسي للقضية الفلسطينية . اما ان ينتظر من المنظمة ان تحد من مطالبة بتسوية سياسية اكثر مما فعلت للان ، فهذا يعنى ان يطلب اليها ان تنتحر سياسيا دون اى تعهد بأن تدمير الذات سوف يحرر الارض والاهل في الضفةالغربية وغزة من الاحتلال الاسرائيلي . فالمؤسسات

Digitized by Birzeit University Library

السياسية يمكن ان تقام وان تدمّر ، لكن الناس والقضية لن يذهبا دون تفويض .

٢ ـ العامل العربي

كانت القضية الفلسطينية الحافز المحرك للسياسات العربية ، بل قد ابرز حافز فردي في هذه السياسات منذ الحرب العالمية الثانية فقد كانت ذات اثر فعال في السياسات الداخلية وسياسات ما بين العرب انفسهم والعلاقات العربية الاسرائيلية وعلاقات العرب مع الغرب .

فالخصومات العربية الداخلية كثيرا ما كان يعبر عنها بمصطلحات المسألة الفلسطينية . والغاء السادات لبرنامج عبد الناصر للرفاه الاجتماعي في مصر ، كان مرتبطا بالتحلل من فلسطين . وعلى عكس ذلك انيط ظهور القومية العربية التضامن مع النضال الفلسطيني . فتقويم حرية الاختيار لدى الفلسطينيين يجب ان يحلل في نطاق القومية العربية . ثم ان تأميم قناة السويس عام ١٩٥٦ رفع الروح المعنوية لدى الفلسطينيين والعرب الاخرين ، ودفع بتوقعاتهم الى الامام تحت لواء اتحاد جميع العرب بالمبادرة الناصرية وكذلك كان ارتفاع منزلة سوريا في السياسات الاقليمية وقيام المقاومة الشعبية اللبنانية قد احيتا بعض الامل في احلال الانصاف النهائي ،على الرغم من ان حكومة الاسد ما زالت تستخدم العامل الفلسطيني في استراتيجيتها الاقليمية ، والذي يستهدف اعادة سوريا الى وضع المفاوضة ، واذا سلّمنا بأن للسوريين والفلسطينيين اهدافا استراتيجية مشتركة ،فالتصالح بينهما بات من الامور ممكنة التحقيق .

وعلى مستوى سياسات ما بين العرب كانت مسألة فلسطين العامل الرئيسي في حرب العرب الباردة في الخمسينات والستينات ، وما زالت حتى اليوم العامل الاكبر في الانحيازات الجديدة في العالم العربي .فعلاقات ما بين الدولة والاخرى في العالم العربي تستمد طاقاتها من القضية الفلسطينية .

ما زالت مواقف الدول العربية ازاء الولايات المتحدة واسرائيل تقررها الى حد بعيد المسألة الفلسطينية . فالعالم العربي هو البعد الاستراتيجي للقومية الفلسطينية . وكلما اثبت العالم العربي وجوده في مجابهته التاريخية للغرب ،كانت احتمالات النجاح اقل قتامة وعبوسا .

٣ ـ العامل الاميركي

ان مستقبل القومية الفلسطينية يتوقف على الاجابة عن اسئلة تتعلق بسياسات الولايات المتحدة على الصعيدين المحلي والدولي : من هذه الاسئلة : هل ستستثني الولايات المتحدة الاتحاد السوفياتي من الاسهام في عملية احلال السلام الى ما لانهاية له ؟ هل ستبرهن علاقتها باسرائيل انها ستؤول الى صالح الولايات المتحدة ام الى عكس ذلك ؟

Digitized by Birzeit University Library

وهل ستنجلي عن مكسب او عن خسارة ، وهل ستئول الى النفع ام الى الضرر ؟ هل سيظل الاجماع داخل الولايات المتحدة في صالح اسرائيل ، ام انه سيضعف وينآكل ؟

اما على الصعيد الداخلي فانتخابات ١٩٨٤ قد تكون قد ادخلت في حوار المشايعين فكرة ان القضية الفلسطينية لها حسناتها ، الامر الذي كان ينظر اليه في السابق وكأنه بدعة . هل سيستمر هذا الحوار في الاشهر والسنوات المقبلة ؟ (٣٣)

ان هنالك تناقضا تدعمه الوثائق في العطف الشعبي على اسرائيل . فهل سيدعو ذلك الامريكيين الى تحدي الاجماع الشرق اوسطي (٣٤) ؟ لا يتوهمنّ المرء ان تغييرات كهذه لو حصلت ستضمن انعكاسا في السياسة الرسمية للولايات المتحدة ، والتي تقوم على اعتبارات جغرافية استراتيجية هي عرضة للتغير ، ولكنها ستدخل في الحساب عنصرا مفقودا في النقاش .

لا شك في ان دعم الولايات المتحدة المنافي لقواعد النقد للسياسات الاسرائيلية قد شجع موقف اسرائيل الرافض ، وادى بالتالي الى فشل الدبلوماسية الفلسطينية (٣٥) . وعليه فان التقييدات التي تعوق الخيارات الفلسطينية مرتبطة بالموقف العدائي للولايات المتحدة فتلك الخيارات قد تعززها او قد تنسفها من اساسها ، فذلك عائد الى تحسن العلاقات الاسرائيلية الاميركية او تردّيها .

يمكن للمرء ان يتعلم درسا من تورط الولايات المتحدة في لبنان مدة الشهور العشرين الاخيرة ، هو ان للقوة حدودا والعبرة الاخرى هي الزعم ان الغزو الاسرائيلي قد اوجد فرصا مؤاتية للسعي وراء تحقيق الاهداف السياسية الامريكية هو خطأ فادح . ومثله في الفداحة ان العلاقات العربية الاسرائيلية يمكن ان تسوى بدون اشراك الوطنيين اللبنانيين والسوريين وسوف تكتشف ادارة ريغان ان العاملين الرئيسيين في سياستها الشرق اوسطية ، اي الاجماع الاستراتيجي والعلاقات الخاصة مع اسرائيل ، واردان لا محالة (٣٦) . ان العنصر الاردني الاساسي للاجماع الاستراتيجي اصبح الان في زوايا الاهمال وطي النسيان . بينما اصبح العنصر السعودي ـ ممتنعا ايضا . ان مصر واسرائيل تتنافسان للحصول على علاقات خاصة مع الولايات المتحدة . وان التناقضات في العلاقات الشرق اوسطية الاميركية اصبحت تطفو على السطح .

ان ازمة الولايات المتحدة الدبلوماسية في الشرق الاوسط تشكل عقبة حقيقية لا بد من اخذها في الحسبان الى جانب الحد من الخيارات الفلسطينية . وهذه العراقيل تشكل الاساس لمصداقية الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط . ان اشتراك ادارة ريغان في جريمة اهداف اسرائيل الحربية قد نسف مصداقية الولايات المتحدة ، وحال دون ان تكون وسيطا في النزاع . فتحول الولايات المتحدة الى فريق محارب في لبنان ، في حين قللت اسرائيل من طموحاتها السابقة بغعل المقاومة الوطنية اللبنانية هو كشف آخر للحقائق . وكذلك تحطمت مزاعم الادارة الامريكية ان الغزو الاسرائيلي قد اوجد جوا ملائما لدفع سياسة الاعتدال الى الامام ، عندما اخذ كل من الاردن والعربية السعودية في الابتعاد عن السياسة

Digitized by Birzeit University Library

الاميركية ، في حين انهما كانتا قد وافقتا في الاصل على الاتفاق الاسرائيلي اللبناني المعقود في ١٧ ايار من عام ١٩٨٣ ، وهي الاتفاقية المعروفة باتفاقية شولتز ،والواقع ان السعودية كانت مضطرة الى الوقوف الى جانب دمشق في اصرار هذه على ان يلغى الرئيس الجميل اتفاقية شولتز الامر الذى جعل ادارة ريغان تتهم السعودية بالازدواجية والسلوك المفتقر الى الخبـــرة .

وتلا ذلك اسفين آخر دقّ بين الولايات المتحدة وبين اصدقائها العرب عندما تعرضت الدبلوماسية الامريكية للاذلال الشائن من قبل اللوبي (الاروقة) المشايعة لاسرائيل ، والتي ادت إلى ابطال صفقة صواريخ ستنقر للاردن والسعودية . وقد تبدد نهائيا ما تبقى من الشكوك لدى المحافل العربية المحافظة بشأن حياد الولايات المتحدة في نزاع الشرق الاوسط بالاتهام العلني الصريح الذى وجهه الملك حسين .

ان التشكيك في مصداقية الولايات المتحدة لتكون وسيطا في النزاع لا تشكل عراقيل في تقدير الخيارات الفلسطينية فحسب ، بل ان هنالك تآكلا في قوة الولايات المتحدة ونفوذها في المنطقة . فالعكس في اسناد الادوار والذى قحم الولايات المتحدة في مستنقع الطائفية في لبنان ، قد فشل في ضمان مكاسب اسرائيل العسكرية .فقد برهنت جهود الولايات المتحدة انها اقل نجاحا من جهود اسرائيل في هذا السبيل . لم يتمكن جنود البحرية الامريكية ولا البارجة نيوجرزى ولا الجيش اللبناني الامريكي التدريب،من ان يؤمنوا تلك المكاسب . ان الانسحاب من لبنان ، والذى سمي تلطفا "اعادة انتشار" قد اسفر عن فشل في محاولة تثبيت اتفاقية كامب دافيد ، وفشل في تعزيز موقف امريكا الدبلوماسي المشايع لاسرائيل في النزاع الاسرائيلي العربي . يضاف الى هذا ان السطوة والنفوذ الامريكيين اللذين كانا آخذين في الانتشار قبل ١٩٧٤ قد تعطلا بشكل خطير ، في حين ان ما كان يظن بانه اعظم انجاز دبلوماسي لوزير الخارجية شولتز كان العامل الاساسي في التفسخ والانحلال في المشروع الامريكي في لبنان . كما ان مستقبل التطور السياسي في لبنان اصبح يعتبر مرتبطا بسوريا . ومن غير المحتمل ان يتقرر مستقبل فلسطين على اية ساحة تستثنى منها سوريـــا .

ان ارتقاء سوريا الى سمو ملحوظ في السياسات الاقليمية قد عطل الجهود الهزيلة التي قامت بها واشنطن لحمل الاردن على الاشتراك في احياء ما يسمى بمفاوضات الحكم الذاتي وقد حطم ايضا مساعي الادارة الامريكية لتعديل مراكز القوى في المنطقة مع استبعاد سوريا .. وهذا لا يعني ضمنا احتمال تحول الدول العربية المحافظة عن واشنطن بصورة جذرية ،تتبنى المواقف السورية . ولكنه يعنى فقط ان استخدام الدول المذكورة في الاستراتيجية الاميركية لاحتواء سوريا سيصعّب مهمة الولايات المتحدة في تغيير معادلة القوى في الشرق الاوسط ، بما في ذلك مستقبل فلسطين بدون سوريا،ان خوف الاردن المتزايد من سوريا في اعقاب هزيمة ريغان في لبنان لم يدفع الاردن على طريق المفاوضات كما كانت واشنطن تتوقع . فالواقع

Digitized by Birzeit University Library

ان الادارة الاميركية انحازت انحيازا تاما الى الجبهة المعاكسة. كما ان الخلافات داخل منظمة التحرير لم تضطر عرفات الى تجاوز الموقف الذى يسمح به المجلس الوطني الفلسطيني اما الفصل الثاني الحاسم في اتفاقيات كامب دافيد فما زال بعيدا جدا عن الهدف . ومن هنا فقد عانت مصداقية امريكا الشيء الكثير باعتبارها وسيطا في النزاع . ان ازمة الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط سوف تترك اثرها على التوقعات الفلسطينية . وذلك يشكل عقبة في سبيل الخيارات الاميركية بنفس خطورة الخيارات الفلسطينية .ومع ذلك فقد تصبح عراقيل اليوم فرصا مؤاتية للفلسطينيين في الغـــــد .

٤ ـ العامـــل الاسرائيلـــــي

عند التحدث عن التغيير السريع في بناء معادلة القوى في الشرق الاوسط لا بد من أخذ البعد الاسرائيلي بعين الاعتبار فالشك في اسرائيل "لانقهر" وارد على النطاقين الاقليمي والمحلي. فمن الناحية الاقليمية عانت سياسة اسرائيل في لبنان من نكسة قاصمة . فمكسبها الحزبي الوحيد باقي الاثر كان الانسحاب الجزئي لمنظمة التحرير الفلسطينية .

ان الغاء حكومة الجميل للاتفاقية الاسرائيلية اللبنانية لعام ١٩٨٣ مؤخرا تشكل فشلا في محاولة اسرائيل لاعادة رسم الخارطة السياسية في لبنان ،ولغرض هيمنتها تحت لواء الطائفية .كما ان غزو ١٩٨٣ فشل في اضعاف سوريا الى الدرجة التي كانت تتوخاها اسرائيل فتجعلها سهلة القيادة .

ثم ان السلام الهش مع مصر تردّى الى درجة اصبح معها من كانوا يؤمنون به يشكون في جدوى كامب دافيد باعتبارها نموذجا للعلاقات المستقبلية مع العالم العربي . ومن هنا عاد الى الظهور الشعور بالعزلة. وهذا سوف يؤثر بلا شك على دبلوماسية اسرائيل ووسيلة استخدام القـــــوة .

على الصعيد الداخلي توجد عوائق مزعجة ،بعضها قديم العهد وبعضها الاخر حديث . فهناك ازمة اقتصاد وازمة ايديولوجيات ،وازمة قيادة كانت الباعث على فتح نقاش يتناول قضايا متنوعة ،اهمها مسألة فلسطين فالتضخم المالي البالغ نسبة مئة وتسعين في المئة، والديون الخارجية الهائلة،والعجز التجاري الضخم ،وسوق الاوراق المالية المزعزة ، والاحتلال العسكري الجديد الذى تقدر نفقاته بمليون دولار يوميا ،والمستوطنات في الضفة الغربية المأهولة جزئيا والتي تكلف الخزينة من ٣٥٠ الى ٧٥٠ مليون دولار سنويا ،كل هذه تثير تساؤلات ملحة عن سياسة التوسع وتأثيرها على البنية الاجتماعية والاولويات المحلية.[٢٢] وهنالك ايضا تحرر من الوهم متزايد بين قطاع كبير من الجمهور الاسرائيلي بخصوص زعامة كل من الليكود وحزب العمل . اذ يبدو انه لا اسحق شامير ولا شمعون بيرس يستطيع ان يعرض نوع الزعامة او الجاذبية الشخصية الساحرة التي كانت في لسابق تحل المشكلات العويصة.

Digitized by Birzeit University Library

وخوف تصل الامور الى حد المجابهة بين الشعب الاسرائيلي وقضية مستقبل اسرائيل في المنطقة ، وفي حين اصبح من الامور العادية التحدث عن المشكلة الفلسطينية" ،فان هنالك ايضا "مشكلة اسرائيلية " .

ان لجوء اسرائيل الى الاجراءات العسكرية والاساليب القمعية،ونزعتها الى اقامة امبراطورية ،قد تبين انها امور حادة مضايقة من الناحية الاخلاقية ومن ناحية السلوك الجماعي .انه وان تكن الصرخات التي تتعالى مطالبة باعادة تقويم الامور لا تسفر عن تغيير وشيك في السياسة ،فقد مضى الزمان الذى كان فيه النزاع مع العرب بسبب خلافات داخلية. فالتسلط العسكرى الذى يخترق القطاعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع الاسرائيلي ،والذى اصبح مركز الاهتمام في الحياة القومية،لم يعد منزها عن نقد الجماهير.

ويمكن اجمال البحث بالقول ان المضايقات المفروضة على الخيارات الفلسطينية قد تعاظمت منذ حرب لبنان. ولا بد من تقدير المضايقات الماثلة للممثلين الاخرين اذا نظرنا الى التطلعات الفلسطينية فانها تبدو قاتمة اذا درست في معزل عن مواطن القوة والضعف لهؤلاء الممثلين ولذلك فان التحليل الذى لا يدع مجالا للمستوى التنظيمي او الشعبي يشوه الصورة لدى تركيز الاهتمام على مستوى دولة مقابل دولة . وهذا قد يؤدى بسهولة الى الحكم الاجمالي ان الخيار الاردني الذى لا وجود له هو الخيار الوحيد امام الشعب الفلسطيني ..

ENDNOTES

[1] The late Leonid Brezhnev presented a six-point Soviet peace plan for Israeli withdrawal from occupied Arab territories; an independent Palestinian state in the West Bank and Gaza; assurances of security for all countries; an end to the state of war between Israel and the Arab states; and guarantees of the settlement by permanent members of the U.S. Security Council.

See the New York Times 16 September 1981.

The Venice Declaration was issued at a metting of foreign ministers of the Common Market countries on 12 June, 1980. It called specifically for P.O participation in future peace negotiations and endorsed the Palestinian right to self-determination.

See the New York Times 11, 12, 13 June 1980.

[2] Term was used by Nabil Shaath, senior political advisor to Y. Arafat during the Algiers meeting of the Palestine National Council in February 1983.

See Thomas Friedman "Reagan Peace Plan: Problem for Palestine Council" The New York Times 17 February, 1983.

[3] For details on the strategic cooperation agreement, see The New York Times 29, 30 November and 1 December, 1983.

[4] For a discussion of the special relationship, see N. Aruri et al. Reagan and the Middle East (Belmont, Mass.: AAUG Press, 1983); also Noam Chomsky. The Fateful Triangle (Boston: South End Press, 1983).

[5] Stephen Rosenfeld. "In a Ghetto Still," The Washington Post.

[6] Stephen Rosenfeld. "In the Mideast, Rights V. Rights," The Washington Post, 20 June, 1980.

Digitized by Birzeit University Library

[7]Nick Thimmisch "A Plea to the Palestinians" The Washington Post.

[8]See Aaron D. Miller. The P.L.O. and the Politics of Survival (Washington: Center For Strategic and International Studies, 1983); also see his PLO's Crossroads," The New York Times. 24 March, 1983.

[9]Marvine Stone. "U.S. and Israel--And Arafat" Newsweek. 12 December, 1983. P. 92.

[10]"The End of the PLO." The New York Times. 5 March, 1984 (editorial).

[11]Ibid.

[12]For information on the Reagan Administration's mediated talks with the P.L.O. see The New York Times. 19 February, 1984.

[13]"Talking to the PLO" Boston Globe 22 February 1984 (editorial).

[14]Ibid.

[15]The Arab Summit Conference, held at Khartourn in August 1967 decided against recognition of Israel, direct negotiations, or the conclusion of a peace treaty "for the sake of the Palestinian people in their Homeland."

[16]Boston Globe. 21 November, 1983.

[17]Boston Globe. 21 December, 1982.

[18]Ibid.

[19]Hussein's interview in New York Times. 16 March, 1984.

[20]Leonard Fein "Criticism Is Not Fatal," The New York Times. 19 July, 1980.

[21]Leslie Gelb. "New U.S. Strategy On Mideast Begun." The New York Times. 8 March, 1984.

*American Israel Public Affairs Committee is the Pro— Israel lobby on Capitol Hill.

[22]For a discussion of the confrontation between Arab nationalism and the West, see Samir Amin. "The Middle East Conflict In A World Context." Contemporary Marxism (No. 7), Fall 1983.

[23]N. Aruri and John Carroll "U.S. Presidential Elections and the Middle East." Unpublished.

[24]See the very useful compilation of public opinion polls by Connie De Boer. "The Polls: Attitudes Towards the Arab-Israeli Conflict." Public Opinion Quarterly. Vol. 47, pp. 121-131.

[25]For details on this subject, see Chomsky. The Fateful Triangle.

[26]For details see, N. Aruri "The United States and the Middle East: Strategic Consensus V. Special Relationship." Presented at the 25th Annual Convention of the International Studies Association. Atlanta: Ga. 28 March, 1984.

[27]See Ned Temko, "Israel's 190% Inflation Sparks Debate." The Christian Science Monitor. 12 March, 1984.

Digitized by Birzeit University Library

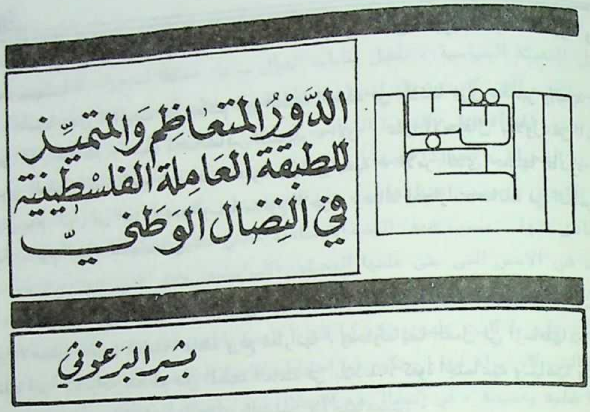

حرصا من الكاتب على توسيع قاعدة المطلعين على محاضرة الزميل "بشير البرغوثي" رئيس تحرير الزميلة الطليعة المقدسية – ولاهميتها ، ننشر فيما يلي نص المحاضرة التي قدمها في نقابة عمال البناء والمؤسسات العامة برام الله والبيرة ، على شرف الاول من ايار.

في الحقيقة هذه مناسبات قليلة ، ولكنها تحمل مغزى عظيما وهي بحد ذاتها تأكيد على الدور المتعاظم للطبقة العاملة . من حيث تنوع المواقع التي حضرنا منها ، ومن حيث تنوع الاعمار الموجودة عندنا . من الشباب حتى المتقدمين في السن . فهذه اشارة الى وجود ودور الطبقة العاملة في بلادنا . واشارة الى اتساع رقعة تأثيرها ونفوذها وتواجدها . واشارة الى حيوية هذا الدور الذى يورث من جيل الى جيل . ويمتد باستمرار على اتساع ارضنا واجيالنا . بحيث يحمل كل جيل المشعل وراء الجيل الاخر . بالاصرار نفسه ، بالحيوية نفسها ، بالمبادئ نفسها بالتجربة المكدسة ،وبالاحترام لهذه التجربة ايضا .وكذلك بالوفاء للاجيال السابقة ، التي كافحت من اجل ان توجد نقابات في هذا البلد .

وانه من الواجب ان تكون مناسبة اول ايار دائما فرصة لتكريم الاجيال العتيقة . التي ناضلت واضطهدت والقي بها في السجون ، حتى توجد نقابات ، في رام الله والقدس ونابلس والخليل ، وفي كل مكان من وطننـــا .

وهناك ايضا العديد من الرجال الذين ضحوا ، من اجل تنظيم الطبقة العاملة في نقابات. وان تنظم الطبقة العاملة نفسها ، في ارقى اشكال التنظيم ، في تنظيمها السياســي .

وانني اتمنى على حركتنا النقابية ، ان توجد مناسبات لتكريم هذه الاجيال العتيقة . بحيث تشعرها ان الشعلة ما زالت محمولة . والافكار ما زالت هي الافكار . بنفس الحمية

Digitized by Birzeit University Library

والنضال . ان واجب تكريم الاجيال السابقة تأكيد على حيوية هذه المسيرة وعلى انسانيتهـــا .

عندما يدور الحديث عن تعاظم دور الطبقة العاملة في بلادنا نرى مظاهر واقعية تشير الى هذا التعاظم . حيث نجدالتنافس الشديد ، الان ، على الاحتفال بالاول من ايار . وبروز الطبقة العاملةكقوة اجتماعية معترف بها ورئيسية . الامر الذى جعلها قادرة على فرض يوم الاول من ايار عيدا رسميا مدفوع الاجر . وهناك انجازات مماثلة في الثامن من اذار ـ يوم المرأة العالمـــي .

كانت هناك قوى عديدة لا تطرح اى شيء بالنسبة للطبقة العاملة . نجدها الان تنافس في الاحتفال بتكريم الطبقة العاملة ورفع شعاراتها ، ومحاولةايضا العمل في اوساطها . وهذه اشارة الى الاعتراف بتعاظم دور الطبقة العاملة في بلادنا ، كقوة اجتماعية وسياسية وكحركة لها عدة اشكال من التنظيم ، النقابي والسياسي والاجتماعـــي .

بلا شك ، فقد ظهرت عوامل موضوعية بالاساس، جعلت طبقتنا العاملة تزداد وتقوى . هذه العوامل ليس من صنع احد بصورة واعية . وانما تمت من خلال التناقضات الرأسمالية نفسها ومن خلال تناقضات السياسة الاحتلالية نفسها . ان الطبقة العاملة وليدةمجموعة من التناقضات . ولكنها بوجودها المادى في بلادنا ترجع الى عوامل اقتصادية بالاساس . نشأت في عملية متناقضة ، من خلال سعي المحتلين الاسرائيليين ، لابعاد جماهيرنا عن الارض . وذلك باستغلال العمل الرخيص في بلادنا وتوظيف الاحتلال الكولونيالي لتسعير الاستغلال الطبقي . وبسبب ضعف البنية الاقتصادية . نتيجة للحكم الطويل للملك حسين ، التابع اقتصاديا للامبريالية ، والمميز ضد الجماهير الفلسطينية وخاصة في الضفة الغربية . وخلال هذا الحكم الطويل ، لم تقم بنية اقتصادية ، تكون قادرة على مواجهة عمليات الالحاق الاقتصادى الاسرائيلي ، ومقاومةعمليات التهجير، التي تتم نتيجة للاوضاع الاقتصادية الصعبة . ان اضطراب وضعف هذه البنية الاقتصادية ، الذى يتحمل مسؤولية وجوده واستمراره النظام الاردني ، وتبعية هذا النظام للامبريالية ، قد سهلت عمليا مهمة المحتلين الاسرائيليين ، في استغلال طاقة وقوة العمل الفلسطيني ، في مصانعها ومؤسساتها بسبب قلة وجود فرص عمل في الاراضي المحتلة . هذه مسألة اخـرى سهلت مهمة المحتلين الاسرائيليين ، في اتساع عمليات تهجير وتفريغ المناطق المحتلة من مواطنيها ، وبشكل خاص العناصرالشابة . التي لو بقيت بالاراضي المحتلة ، لساهمت مع الاخرين ، في النضال ضد الاحتلال . بالاضافةالى التواطؤ الاقتصادى هذا ، فاننا نجد التواطؤ السياسي ضد الشعب الفلسطيني ، بشكل مقصود او غير مقصود مباشر او غير مباشر وذلك بين الانظمة الرجعية العربية والنظام الصهيوني في اسرائيل .

وهنا يوجد فضل كبير للطبقة العاملة ولحزبها السياسي ، ولحركتها النقابية ، في النضال من اجل صد وافشال هذه المحاولات .

Digitized by Birzeit University Library

هناك حسب الاحصائيات ٨٨ الف عامل يعملون في اسرائيل ، لكن هذا العمل جاء ـ بفضل التعبئة السياسية ، بفضل نقابات العمال ـ جاء مخالفا لتصورات المحتلين وقوى الاستسلام . التي كانت تعتقد انه باعتمادنا الاقتصادي على المصانع الاسرائيلية ، بامكانها بناء جسور للموافقةعلى التبعية السياسية لاسرائيل . للموافقة على ضم او الحاق الاراضي العربية المحتلة ، تحديدا الضفة الغربيةوقطاع غزة . وذلك لوجود قاعدة اجتماعية تؤيد هذا الالحاق ـ حسب اعتقادها ـ . هذا الاعتماد على مكان عمل في اسرائيل ، على سوق اقتصادي فيها بسبب ضعف البنية الاقتصادية ، التي خلفها الحكم الاردني للضفة الغربية كانت هي الاسس التي بنى عليها المحتلون الاسرائيليون وقوى اخرى تصورهم ، بامكانية ابتلاع الاراضي المحتلة بموافقة شعبية وبوجود قاعدة اجتماعية واسعة توافق على استمرار الاوضاع على ما كانت عليه . لكن كما قلنا " العتمة ما اجت على قد ايد الحرامي". هذه القوة التي كان يراد لها ان تكون قوة احتياطية للاحتلال وللضم ، اصبحت قوة كفؤة ورأس حربة صلبة وعنيدة ، في النضال ضد الاحتلال وضد ممارساته المختلفة . وفي النضال ضد سياسة النظام الاردني ، في التمييز ومحاولاته لاخضاع الطبقة العاملة ، وسياسته في بناء قوى وقواعد اجتماعية وسياسية له في الاراضي المحتلة .من اجل فرض حل استسلامي ، مخالف لطموحات شعبنا ،في بناء الدولة المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية .

انه لولا وجود واستمرار النضال الدؤوب من اجل منع الهجرة في السنوات الاولى للاحتلال . والنضال من اجل تنظيم الطبقة العاملة في النقابات ، وفي حزبها السياسي لكانت اوضاعنا في الوقت الحاضر ، اسوأ مما هي عليه الان ، بدون وجود النقابات . التي هي مدارس للتربية السياسية والوعي الطبقي . ولولا وجود حزب سياسي ، يرعى ويقود ويوجه هذه النقابات ،ويسعى من اجل توسيع قاعدتها النقابية بتنظيم العدد الاكبر في النقابات ،لكان قد ازداد خضوع العمال لمؤثرات البر جوازية ومؤثرات قوى الاستسلام ، ولمؤثرات المصلحةالشخصية للفرد ، على حساب المصلحة الوطنية العامة .

كان هذا النضال الدؤوب منذ سنوات طويلة ، في مضمونه مقاومة لممارسات الاحتلال ، على الصعيد الاقتصادي والثقافي والاجتماعي والسياسي. هذا النضال كان يحبط اهداف المحتلين والعاملين من اجل فرض الاستسلام على شعبنا ، في ان يتحول العمال الى مجرد طحقين للاقتصاد الاسرائيلي . ان يتحولمجتمعنا الى ملحق للمجتمع الاسرائيلي . وان تمهد الطريق لضم هذه المناطق بدون اى معارضة وحتى بقبول اوساط مختلفة .

لقد فوجئت هذه القوى بحقيقة ، ان العاملين في اسرائيل والمؤسسات الاخرى ، يعملون بصفتهم عمالا فلسطينيين . متمسكين بهويتهم الفلسطينية الوطنية . ومعارضين لاجراءات وممارسات الاحتلال . ورافعين راية الدولة الوطنية المستقلة ومشتركين في نقاباتهم ومساهمين في نضالات وتضحيات شعبهم . ولم يستطع المحتلون الاسرائيليون اذابة المجتمع

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطيني داخل مجتمعهم ، او الحاقه الى مجتمعهم من خلال العامل الاقتصادي. بل كان هذا مدخلا من اجل تحسين مستوى الطبقة العاملة . من أجل وحدة كفاحيتها . وكان هذا مخالفا لحساباتهم . وسبيلا من اجل اخراج قرانا من حالة الانغلاق التي تعيش فيها، والتي فرضها النظام الاقتصادي الاردني المتخلف .

كان اقتصادنا المتخلف اقتصادا طبيعيا . وبالتالي كان الناس يعتمدون في الاساس على المحصول. وعلى مقايضة هذا المحصول مع التجار في المدن . وكان لضعف تبعية القرى للعائلات التجارية التقليدية في المدن . وبالتالي اصبح كل واحد من شبيبة بلادنا في القرى يبيع قوة عمله كعامل . صحيح انه يعمل ولكنه اصبح يدرك انه مستغل . واصبح يناضل ضد هذا الاستغلال . وامتلك الامكانية لذلك . وانفتح على المدينة ، وعلى التيارات السياسية الموجودة فيها . وانفتح على تقبل الاجوبة للاسئلة التي تطرحها علاقته الجديدة بالنظام الاقتصادي والاجتماعي . هذه الاسئلة كانت تطرح في السابق عندما كان يعمل في ارضه ، فقيرا ومستغلا ، لكن هذا الاستغلال غير المباشر، كان يظهر من خلال التجار (من تاجر الى تاجر آخر) . الا انه اصبح يرى الاستغلال واضحا امامه مباشـــرة .

لقد ساعدته حركتنا النقابية في الاجابة على هذه الاسئلة ،او ساعده بالاساس التنظيم السياسي للطبقة العاملة الفلسطينية ، يدرك كل واحد منا هذا الدور الهام جدا . الذي لعبته في احباط اهداف المحتلين الاسرائيليين لبلادنا . والتي تمثلت في خلق اساس لضم هذه الاراضي الى اسرائيـــــل .

انها لمفارقة يجب ان تقال :ــ انه ليست الطبقة العاملة الفلسطينية التي تتخلى ،الان عن قضية الاستقلال الوطني ، في سوق النخاسة والمساومات . استعداد لبيع القضية الوطنية للامريكيين والاسرائيليين والنظام الاردني . ليست الطبقة العاملة الفلسطينية ، ولا حزبها السياسي ، الذي ينكس راية الاستقلال الوطني .نحن نرى هذا في الاراضي المحتلة ، حيث كانت البرجوازية الفلسطينية الكبيرة ، تملاء الدنيا صراخا ، بتأييد م.ت.ف. والتحدث عن الاستقلال الوطني واقامة الدولة المستقلة ، ومعارضة الادارة المدنية . التي كانت البرجوازية في انتخابات البلدية عام ١٩٧٦ ،تشارك في رفع شعاراتها .هي نفسها نكست هذه الشعارات .واصبحت تمجد العلاقات مع مصر كامب ديفيد .وفطنت ان هناك علاقات صداقة ونسب بيننا وبين الاردن ،والمقصود هنا النظام الاردني. بطبيعة الحال ، يوجد بيننا وبين الشعب الاردني علاقات محبة ورفاقية وكفاح مشترك. ولكننا ضد النظام الاردني ومؤامراته على قضيتنا الوطنية . لقد نسيت هذه القوى ما فعله النظام الاردني في بلادنا . وغضت الطرف عن مجازر ايلول الاسود .كما غفرت له تسليم المثلث عام ١٩٤٩ لقد نسيت القمع والارهاب الذي تعرض له شعبنا من عام ٤٨ ــ ١٩٦٧ ، على ايدي جلاوزة الملك حسين. لقد غفرت له كل هذا . فهي الان تتحدث عن اهمية عودة النظام الاردني الى هذه البلاد ، انها البرجوازية الكبيرة . وفي هذا المجال يحق لنا ان نعتز بانه لا يوجد

Digitized by Birzeit University Library

في صفوف الطبقة العاملة ولا ممثلها السياسي من يرفع مثل هذه الشعارات . الطبقة العاملة استمرت ،بثباتها بمبدأيتها . بايمانها بشعبها وباستعدادها غير المحدود للنضال والتضحية ،استمرت في رفع راية الاستقلال الوطني .على الرغم ان الاخرين الذين كانت اصواتهم في الماضي اعلى من صوتها في رفع شعارات وراية الاستقلال الوطني ، وكانت ايديهم اطول في اقتناص اموال الشعب الفلسطيني ووضعها في جيوبهم قد نكسوا راية الاستقـــلال .

ويظهر هنا في بلادنا نمطين ، اى اسلوبين في الوفاء والولاء لراية الاستقلال الوطني . بالوفاء والولاء لقضية الشعب الفلسطيني . ليست الطبقة العاملة هي التي تخلت عن مطالب الشعب الفلسطيني الاساسية في الاستقلال الوطني . ان البرجوازية الكبيرة هي التي تخلت عن هذه المطالب . .

يحق للحركة النقابية و لحزب الطبقة العاملة ، الاعتزاز ، انه بالتربية بفكر الطبقة العاملة لم تصبح هذه الطبقة ملحقة باسرائيل او الاردن ، وبالتالي لم يصبح الشعب الفلسطيني ملحقا . وبرهان هذا استمرارها بالتمسك بمطلب الاستقلال الوطني ، رافعة راية الاستقلال . بينما الاخرين الذين تخلوا عن راية الاستقلال الوطني ، قد الحقوا رغم ثروانهم وقبلوا الالحاق . وهم يعرفون جيدا انهم ملحقين اما لاسرائيل او للنظام الاردني ! وقد تحققت مكاسب الطبقة العاملة هذه بفضل النضال الدؤوب من عام ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا .

كان بعض حلفائنا واصدقائنا يسخرون من ظاهرة اهتمامنا بالنقابات . ولكن الايام اثبتت انهم على خطأ ، انهم لا يعترفون صراحة بهذا الخطأ . لكن اهتمامهم الان بالنقابات ، يشير الى التقدير العالي لدور الطبقة العاملة . ولاهمية تنظيم الطبقة العاملة في النقابات التي لها دورها الكفاحي وامثلة على ذلك المرات العديدة التي اغلقت فيه هذه النقابة. (نقابة عمال البناء والمؤسسات العامة في رام الله والبيرة واللواء) . وسجن عشرات بل مئات من القادة النقابيين بسبب نشاطهم النقابي والسياسي ايضا .

ان دور الطبقة العاملة دور عظيم ،وهو دور متميز نوعيا في ظروفنا الراهنة .بل هو دور متميز نوعيا عن الطبقات الاخرى . وتميزه حاليا ،ليس نظريا ،بل يتضح الان ان الطبقات الاخرى هي التي تأخذ دورا مهادنا وتوفيقيا من قضية الاستقلال الوطني .اما الطبقة العاملة وحلفائها وحركتها النقابية تأخذ موقفا ثابتا ومثابرا من اجل قضية الاستقلال الوطنـــي .

اذن العمل في اسرائيل ، والظروف الصعبة التي يعيشها عمالنا والتضييق المتواصل على نقاباتنا العمالية ، وحرمانهم من اموال الدعم والصمود ، كل هذا لم يؤثر اطلاقا على شدة التمسك بقضية الاستقلال الوطنـــــي .

هذا ويخطئ من يظن ان ما تم قد تحقق بصورة عفوية . وكما قلت لقد انجز عبر نضال طويل .. وتعبئة سياسية ونقابية ، من اجل تحقيق هذه الاهداف . وان دليل نجاح هذه التجربة هو ما نشاهده اليوم ،من تمسك باهداف الاستقلال الوطني ، بصورة واضحة ومثابرة في اوساط الطبقة العاملة وجماهير الكادحين وحلفائهم .

Digitized by Birzeit University Library

وهذا ينقلنا الى ما هو اهم لقد عرفت بلادنا مجموعة من البرامج السياسية لقوى عديدة ، على اساس طبقي . وعلى اساس مستقل عن مفاهيم الطبقات الاخرى .

لقد عرفت بلادنا برنامج الطبقة العاملة المبني على اساس نظرة علمية فعلا. لقد واجه هذا البرنامج حملات عديدة من التجني وسوء الفهم والاتهامات القاسية . ولكن مع ذلك فقد صمد للزمن .. لكونه مستمد من افضل تجربة غنية وباهظة الثمن .. لقد تصدى برنامجنا لحملات لم تتوقف عند حد لقد تخطت حدود المبادئ الاخلاقية ، اننا لم نتوقف ابدا عن الدعوة لبرنامجنا .. وعن المجاهرة به وعن شرحه وتوضيحه للجماهير .. لقد تم كل ذلك بالاستقامة ، بالمثابرة ، وبالصفاء الذي تتحلى به الطبقة العاملة . لقد كان مقدرا للطبقة العاملة ان تفهم برنامجنا لانه يعكس، بالاساس ، مصالحها الحقيقية التي هي مصالح عامـــة الشعـــــب .

نحن سعداء لان كافة القوى الفلسطينية تتبنى برنامجنا الان حيث كانت لنا الرؤية العلمية وبعد النظر . كما ان الواقع اوصل هذه القوى فيما بعد الى نفس الواقع ، الى برنامجنا . ان هذا مسجل في مقررات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني مثل الموافقة على مقترحات بريجينيف ، مقررات فاس،اى دولة فلسطينية مستقلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، دولة مستقلة في حدود ٦٧ .

عندما كنا نطرح ذلك كان الاخرون يعتبرون هذا غير صحيح . ولكن اصبح الجميع حاليا يطرحون ذلك . انه امر جيد نرحب به ، سعداء بشأنه ، ولكن كل هذا لا يمنعنا من الاعتزاز بالدور المتعاظم للطبقة العاملة . في التأثير على مجرى الاحداث وعلى صياغة البرنامج . هذا هو برنامج الطبقة العاملة ، على الصعيد السياسي وعلى الصعيد البرنامجي وكذلك على صعيد الاهـــداف .

نحن نشهد الان فشل برنامج البرجوازية ، وبرنامج كبار الملاكين العقاريين ، وليس برنامج الطبقة العاملة ،والذي صمد للزمن ، وكان استجابة لمطالب شعبنا . ومنسجما مع معطيات الواقع نفسه ، لقد اثبتته الحياة واكدتـــــه .

هذا ايضا مع شكرنا وامتناننا للفئات والطبقات التي وصلت الى الحقيقة ، لكن هذا لا يمنعنا من الاعتزاز بدورنا وبالجهود التي بذلت من اجل ان يصبح هذا البرنامج شاملا للحركة الوطنية الفلسطينية . وهو بحد ذاته دلالة ناطقة وحية ، على الدور المتعاظم للطبقة العاملة . هذا الدور الذي نشهده الان في اجتماعات عدن ولقاءات الجزائر . انه تأكيد لكل هذه النضالات التي تبدو بسيطة ومتفرقة ومتواضعة . ولكنها في مجموعها العام هي مسؤولة عن كل هذه الانجازات . وعن ايصال الامور الى هذا الحد . وهي مسؤولة ايضا عن تبني برنامج الطبقة العاملة السياسي. ووجود دور مرموق ومعترف به للحزب السياسي للطبقة . وفي هذا الصدد لا بد من الاشارة الى ان الطبقة العاملة ممثلة بحزبها السياسي وبتنظيماتها الجماهيرية ، وفي مقدمتها الحركة النقابية ، قد انطلقت من دوافع المسؤولية الكبيرة ،عن

Digitized by Birzeit University Library

مصير الشعب الفلسطيني وعن مصير قضيته الوطنية. مبتعدة عن محاولة استغلال الازمة داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، في داخل منظمة التحرير الفلسطينية ، ولم تحاول اقتناص المكاسب من هذا الطرف او ذاك من اطراف الخلاف .

ان الطبقة العاملة الفلسطينية من اجل هذا وبهذه الصفة كانت تتقدم لكافة القوى وتحت نفس الشعار " الا وهو المحافظة على وحدة م.ت.ف. وعلى حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة وعودة اللاجئين الى اراضيهم .

من هذا المنطلق كانت الدعوة للوحدة ومعارضة اى محاولة للتحيز لهذا الطرف او ذاك من اطراف الخلاف ،او التذيل لاطروحات هذا الطرف او ذاك . كان الولاء لوحدة منظمة التحرير، الولاء لبرنامجها السياسي في الدورة السادسة عشرة . استنادا الى ان اى انقسام في منظمة التحرير من شأنه تدمير المكاسب الوطنية الفلسطينية وفي المقدمة المكسب الاساسي وهو الهوية الوطنية الفلسطينية . لكون منظمة التحرير الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني .. وان اى انقسام في صفوفها من شأنه تمزيق الهوية الوطنية الفلسطينية .. ومن شأنه ان يضعف الاعتراف الدولي بها . ويفتح ثغرات تنفذ منها القوى الرجعية ، المعادية لحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره . والمناهضة لقيام دولة فلسطينية مستقلة . وكذلك فان اضعاف الاعتراف الدولي بمنظمة التحرير ، من شأنه ان يساعد المحتلين الاسرائيليين ، على الاستمرار في رفض الاعتراف بمنظمة التحرير . وعدم الاستجابة للمطلب العالمي بضرورة تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلـــــة .

من اجل قضية الاستقلال الوطني ، ومن اجل المحافظة على المكاسب الوطنية الفلسطينية ومن اجل ابقاء شخصية فلسطينية واحدة ، من اجل هذا كله كان الموقف من الازمة الموجودة داخل منظمة التحرير بتوجيه الجهودنحو اعادة الوحدة لمنظمة التحرير وعدم تكريـــس الانقســـــام .

ربما كان البعض يسيء فهم هذا الموقف ، اما في حالات نزق او انفعال ، حيث كان يراد اتخاذ مواقف اخرى . لكن موقفنا كان الخيار الوحيد . وان اى خيار معناه ، ايجاد انقسام آخر في منظمة التحرير بما يترتب عليه من اضرار لا حصر لها تلحق بقضية الشعب الفلسطينـــــي .

اذن لا بديل ابدا عن وحدة منظمة التحرير من هنا كان منطلقنا في العمل . بمساهمتنا في ايجاد التحالف الديمقراطي الرباعي ومبادرة عدن ثم لقاء الجزائـــــر .

لقد تجلى في عدن وفي لقاء الجزائر الموقف الملتزم لممثلي الطبقة العاملة ، في عدم المطالبة بالادانات والاقالات ،واقامة قيادة بديلة في دمشق ، ومطالب اخرى من هذا القبيل لكن تغلب فيما بعد صوت العقل والحكمة .وأخذ يتضح للجميع اكثر فأكثر ، ان المعيار لمدى حكمة اى حل يكون باستناده الى حماية وحدة منظمة التحرير ، لان الرهان الان هو على حقوق الشعب الفلسطيني ، على حقه في اقامة دولته المستقلة وبالتالي فان اى انقسام في صفوف المنظمة سيبدد كل المكاسب الوطنية الفلسطينية التي تحققت . فلا تستطيع منظمة

Digitized by Birzeit University Library

التحرير في دمشق ان تحصل على اعتراف دولي بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره ، او بانها هي الممثل الشرعي والوحيد لشعبنا . وهذا ينطبق على منظمة تحرير فلسطينية اخرى في تونس ، تكون بمعزل عن القوى الاخرى العاملة في الساحة الفلسطينية ، ان تظل محتفظة بمصداقيتها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني ، والاهم هو ان يبقى هناك ممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني . لذلك يجب ان يبقى العمل من اجل الوحدة من اجل وجود منظمة تحرير فلسطينية واحدة لذلك انطلقت مبادرة عدن وتكللت بنجاح ملموس في لقاء الجزائر . الامر الاساسي في لقاء الجزائر هو انه حال ، ولو مؤقتا ، دون انقسام منظمة التحرير . لكن وضع اساس للوحدة ليس مسألة عشائرية . ولا مسألة مجاملات . وانما وضع لقاء الجزائر اساس مبدئي للوحدة ينص علـــى :-

- عقد المجلس الوطني الفلسطيني لدورته القادمة ١٧ ، لا يتم الا على اساس اتفاق وطني شامل . مما ابطل التهديدات السابقة ، حول عقد المجلس الوطني الفلسطيني ، في اي وقت وبدون حضور الاطراف الاخرى . انها مسألة اوقفت التدهور الذي كان يجري في الســـابـــق .
- اعتبرت قرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني ، هي الحكم ، وعلى اساسها تحل كافة الخلافات ويبت في كافة الممارسات التي جرت بعد اختتام الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني الفلسطيني . ان هذا يعني زيارة القاهرة ، سوف يحكم عليها بمدى تطابقها او عدم تطابقها مع قرارات الدورة السادسة عشرة . كذلك الامر بالنسبة للعلاقات مع الاردن . وكذلك قبول مصر في المؤتمر الاسلامـــي .
- وحدة منظمة التحرير ستتم على اساس قرارات الدورة السادسة عشرة . وعلى اساس رفض مشاريع كامب ديفيد والحكم الذاتي ، ومشروع ريغان . هذه هي القضايا الاساسية والتي لعبت دورا كبيرا في خلق الازمة والمشاكل التي وجدت .

وهي ان الاوساط المتنفذة في منظمة التحرير ، بقيادة ياسر عرفات ، كان لديها اوهام وتوجهات ، مفادها ان هناك حل عن طريق امريكا . وان هذا الحل سينفذ عن قريب . وفي هذا الاطار سمعنا على لسان الياس فريج ورشاد الشوا قولهم "انه قرب موعد الخلاص ، وستكون في حزيران عودة للاردن " ، وبدأت موضوعة "انقاذ ما يمكن انقاذه" وان القضية المهمة الان هي الارض . الخ ، وكانوا يتحدثون عن ان ريغان وعد الملك حسين باسترجاع ٩٥ بالمئة من اراضي الضفة الغربية . عندما يسمع الناس البسطاء ان نسبة ٩٥ بالمئة من اراضيهم سوف ترجع سيوافقون معتقدين ان كلامنهم سيخسر مترين او ثلاثة فقط لكن ضياع الخمسة في المئة الباقية يعني ضياع ٢٥٠ كم مربع من مساحة الضفة الغربية . وهذه تساوي مساحة كل من مدينة القدس وطولكرم ورام الله ومنطقة الخليل التي ستذهب هدرا . مع العلم ان مساحة الضفة الغربية تبلغ ٥٥٠٠ كم مربع . ومساحة القدس القديمة داخل السور تبلغ كم مربع واحد . عند اخذ الـ ٢٥٠ كم ٢ المذكورة بما فيها مدينة القدس القديمة يحسب المواطن العادي ان الـ ٢٤٩ كم ٢ الاخرى ستقتطع من مناطق بعيدة عنهم ، في الصحراء مثلا . لكن

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقة كما يعلن ممثلو السلطة الحاكمة والاحزاب الصهيونية في اسرائيل "انهم لا يريدون التخلي عن مدينة القدس او عن غور الاردن او عن .. الخ" ، "وليس من المعقول ان تكون قلقيلية بعيدة عشرة كيلو مترات عن نتانيا . لذلك يتوجب على العرب ان يظلوا بعيدين عما يسمى بالخط الاخضر وهذه المساحة تعني ابعاد مناطق الحدود عن مرمى المدفعية ".

بطبيعة الحال ليست الحقيقة فيما يدعون . وبالنسبة لنا فان الوحدة الوطنية يجب ان تقوم على مقاومة كافة المشاريع الامبريالية والاستسلامية . واته من الاهمية بمكان ضرورة تطوير نتائج لقاء الجزائر . باعتباره انجازا هاما على طريق حل مختلف المشاكل القائمة وذلك على اساس الاتفاق الوطني الشامل ، والالتزام بقرارات الدورة السادسة عشرة للمجلس الوطني ، باعتبارها الحكم على اساس رفض كافة المشاريع الاستسلامية ، وعلى رأسها مشروع ريغان ، كما جاء في بيان الجزائـــــر .

هذا ويجب الا تكون هناك أوهـــام ، بـأن الطريق سالكة نحو الاتفاق . فهناك محاولات لنسف هذا الاتفاق ، او على الاقل لاعاقته والتشويش عليه ، الامر الذي يتطلب نضالا مثابرا من اجل ترسيخ المبادئ المتفق عليها . وبناء اتفاقات اخرى تنسجم معها ، حيث تقوم الطبقة العاملة بدور كبيرمن اجل التمسك بما انجز ، ولتوسيع دائرة الانجازات الاخرى . وصولا الى الوحدة ، والى الاتفاق ، واعادة دور ومكانة منظمة التحرير كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطينـــــي .

لذلك اعتقد انه من الضروري جدا ان تكرس جهود وطاقات الحركة النقابية والقوى السياسية ، وكل القوى الموافقة على ان تكون المبادئ الثلاث المطروحة في بيان الجزائر ، هي اساس التقدم باتجاه الوحدة ، وذلك بان ترفع صوتها وتحشد قواها باتجاه المحافظة على هذه المبادئ وتطويرها . بحيث تحول دون اعمال التشويش والعرقلة. والاهم من هذا ان تؤكد ان بيان الجزائر اصبح امانة عند الجماهير الفلسطينية . وخاصة عند الطبقة العاملة ، التي يجب عليها ان تدافع عنه ، وان تبتكر الوسائل والسبل اللازمة لاسماع صوتها ، الى الاطراف المعنية بهذا الموضوع .

انها مهمة كبيرة وضرورية ، ولكنها في مقدور الطبقة العاملة . وخاصة على شرف الاول من ايار ، حيث تعبر الطبقة العاملة ، عن صدق انتمائها ، والتزامها التاريخي بحقوق شعبها وذلك بشن نضال دؤوب ومثابر ، من اجل الالتزام ببيان الجزائر والمبادئ الاساسية المطروحة فيـه . ومن اجل استمرار الالتزام بهذا النهج . على طريق انهاء الازمة القائمة حاليا داخل الحركة الوطنية الفلسطينية وانجاز وحدة منظمة التحرير الفلسطينية .

Digitized by Birzeit University Library

الحركة العمالية والنقابية في المناطق المحتلة
١٩٦٧ - ١٩٨٣

بقلم : جورج حزبون ـ بسام الصالحي

الحلقة الثالثة

ج) قطاع غزة :

لم يكن قطاع غزة قبل نكبة عام ١٩٤٨م ، من مواقع النشاط النقابي الاساسية في فلسطين ، نظرا للطبيعة الزراعية التي تميزه ، وضعف المشروعات الصناعية فيه . الا ان ذلك لم يمنع من محاولة انشاء فروع للنقابات ، حيث نشط مؤتمر العمال العرب من خلال فرعه في الجنوب من اجل انجاز ذلك .

وبعد نكبة عام ١٩٤٨م ، انقضى وقت طويل حتى التقطت الحركة النقابية انفاسها ، استغرقت حوالى ستة عشر عاما ، وكان هذا التغير في الحقيقة ، نتيجة لعوامل سياسية ، قبل ان يكون انعكاسا مباشرا لنمو الطبقة العاملة او لتوسع مطالبها النقابية .

لقد شمل الاعلان عن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية اثر اجتماع القمة العربي عام ١٩٦٤ ، انشاء مؤسسات فلسطينية جديدة تمثل اذرعا للمنظمة ، ومن هنا كان قرار اتحاد العمال العرب بانشاء (مكتب عمال فلسطين) والذى اشرف عليه حسني صالح الخفش، وفي تموز ١٩٦٤م ، شكل تسعة من العمال الفلسطينيين . اثناء انعقاد دورة الثقافة العمالية لاتحاد العمال العرب ، لجنة تنفيذية لاتحاد عمال فلسطين ، واقاموا فروعا لها في العديد من الاقطار العربية كما اقاموا فرعا لها في قطاع غزة .

وعلى اثر تأسيس فرع القطاع ، بدأت محاولات تنظيم العمال ، والدفاع عن قضاياهم

Digitized by Birzeit University Library

اليومية ، ومحاولة تأمين الحقوق النقابية المشروعة ، وكما اشارت الكلمة التي القاها حسني الخفش في اجتماع المجلس التنفيذي لاتحاد العمال العرب في اكتوبر ١٩٦٥م فقدتم تحقيق نجاحات في تنظيم العمال في القطاع ، وان الاتحاد تمكن من تحصيل بعض الحقوق العمالية كما نظم العلاقة بين العمال واصحاب العمل باتجاه تحديد ساعات العمل (ثماني ساعات) وتحديد حد ادنى للاجور واشارت الكلمة كذلك الى تضييقات اصحاب العمل ضد الاتحاد ، ومحاولاتهم الدّس عليه بالاضافة الى محاولة التفريق بين صفوف العمـــال .

واضافة الى ذلك فقد قوبل تأسيس الاتحاد بحساسية ملموسة من جانب اتحاد نقابات العمال في الاردن ، وذلك لعدة اسباب اوردها الاتحاد واشترط تحقيقها كي يوافق على الاعتراف بالاتحاد الجديد وتمثلت اهم هذه الشروط في :

١) اعتماد قيام الاتحاد على القاعدة العمالية المنظمة في نقابات .

٢) ان يكون مقر الاتحاد قطاع غزة بالتحديد والى حين استرداد فلسطين .

ويبدو من خلال الاشكال الذى نشأ بين الاتحادين ، ان مواقف كل منهما ارتبطت بالواقع السياسي القائم انذاك فبسبب الموقف الاردني الذى عارض تأسيس م.ت.ف. واضطر للموافقة على ذلك تحت مواصفات معينة من جانبه اهمها انفراده بالعمل في اطـــار المملكة الاردنية الهاشمية بما تضمه من الضفة الغربية والقدس ، تعامل اتحاد عمال فلسطين مع المنظمة العمالية النقابية في الاردن على نفس مستوى تعامله مع النظام ولم تكن طبيعـة الاتحاد في الاردن تبيح له ذلك ، وفي الجانب الاخر فان بعض اعتبارات السلطة الاردنية ، اثرت في موقف اتحاد عمال الاردن من الاتحاد الجديـــد .(٣٢)

ان تشكيل الفرع في قطاع غزة اعطى دفعة للعمال النقابيين من اجل تأسيس نقابات جديدة انضوت في اطار اتحاد ضم حتى عام ٦٧ (٧) نقابات ، الا ان دورها اصبح مشلولا تماما بعد عام ٦٧ وحتى اليوم بسبب الدور السلبي الكبير الذى تلعبه غالبية قياداتها النقابيـــــة .

xxxxxxxxxxxxx

توخينا من كل العرض السابق لا التأريخ ولا ادعاء تحليل كافة جوانب العمل النقابي ما قبل عام ٦٧ ، وانما اعطاء صورة ذات فائدة من اجل فهم الواقع الراهن للحركة النقابية ولمسنا من خلال محاولتنا العرض السريع للنشاط النقابي في ظل الحكم الاردني للضفـة الغربية ، الحاجة والاهمية لايلاء هذه الفترة حقها من الدراسة والبحث بحكم اهميتها على صعيد الحركة النقابية وتطورها اللاحق ، بحيث تظل مهمة هذه الدراسة مطروحة امام المهتمين بتاريخ الحركـة النقابيـــة وتطورهـــا .

xxxxxxx

Digitized by Birzeit University Library

الحركة النقابية في الضفة الغربية المحتلة

اثر الاحتلال في تغيير الخارطة الطبقية :

خلق الاحتلال الاسرائيلي للضفة الغربية وقطاع غزة من بين مجموعة الاثار السياسية والاجتماعية والنقابية والسيكولوجية التي تركها اثر واضحا في طابع علاقات الانتاج السائدة فقد توسعت وتوطدت بتأثيره علاقات الانتاج الرأسمالية ،كما جرى اضعاف وحدة الانتاج الاساسية في الزراعة .

لقد حدد ماركس شرطين لازمين لنشوء الانتاج الرأسمالي ، يتلخصان في انه "ينبغي ان يتقابل نوعان مختلفان جدا من مالكي البضائع وان يقيما صلة فيما بينهما : من جهة مالك النقد ووسائل الانتاج ووسائل العيش ، الذى ينبغي ان يشترى قوة عمل الغير لكي يزيد لاحقا مبلغ القيمة الذى يستأثر به ، ومن الجهة الاخرى ، عمال احرار ، باعة قوة عملهم وبالتالي باعة العمل ، عمال احرار من وجهتين : من حيث انهم لا يملكون وسائل الانتاج كماهو الحال عند الفلاحين الذين يملكون استثمارات مستقلة ... الخ ، انهم وبالعكس ، احرار من وسائل الانتاج ، محرومون منها " (٣٣) .

وتمثل النوع الاول من مالكي البضائع ،النقد وسائل الانتاج ،في مصدرين الاول مثله اصحاب العمل الاسرائيليون ، والذين كانوا في طور تجاوز الازمة الاقتصادية وبدء حالة من النهوض الجديد قد وجدوا فرصة ملائمة في استغلال الايدى العاملة العربية ـ الرخيصة ـ وباعداد كبيرة جدا ، متجاوزين المقولة الصهيونية القاضية بالعمل العبرى ، .

والثاني مثله المستثمرون المحليون من تجار كبار ، وصناعيين ، وبعض الحرفيين ، حيث وجد هؤلاء وبسبب مجموعة من العوامل من اهمها استغلال الفرصة التي نشأت على اثر وقف ادخال البضائع الاستهلاكية من الضفة الشرقية التي كانت مركز الصناعة الاساسي الى الضفة الغربية ، وبالتالي محاولتهم تغطية هذا النقص من خلال اقامة مشاريع خاصة لانتاج هذه البضائع وعامل آخر تمثل في توجه عدد من اصحاب المشاريع والمستثمرين الاسرائيليين لاقامة مشاريع مشتركة في الضفة المحتلة بمشاركة اصحاب عمل أو وكلاء عرب .

الا ان الثقل الاساسي في هذه العملية مثله العامل الاول ، وهو فتح المشاريع الاسرائيلية امام العمال العرب . حيث شكل هؤلاء نسبة عالية من الطبقة العاملة الفلسطينية .(٣٤)

Digitized by Birzeit University Library

الضفة الغربية وقطاع غزة واسرائيل (العاملون بأجر بالالاف)

السنة	العدد الاجمالي للعاملين	العاملون بأجر		
		في الضفة	في القطاع	في اسرائيل	المجموع
١٩٧٠	٣ ر ١٧٣	٨ ر ٤١	٣ ر ٢٩	٦ ر ٢٠	٧ ر ٩١
١٩٧٥	١ ر ٢٠٥	٧ ر ٣٤	٦ ر ٢٢	٣ ر ٦٦	٦ ر ١٢٣
١٩٧٧	٥ ر ٢٠٤	٤ ر ٣٧	٨ ر ٢٣	٦٣	٣ ر ١٢٤
١٩٧٩	٤ ر ٢١٢	٥ ر ٣٧	٨ ر ١٧	١ ر ٧٤	٤ ر ١٢٩
١٩٨٠	٧ ر ٢١٥	٩ ر ٣٥	٤ ر ١٧	١ ر ٧٥	٤ ر ١٢٨
١٩٨١	٩ ر ٢١٥	١ ر ٣٧	٨ ر ١٨	٨ ر ٧٥	٧ ر ١٣١

وشكلت عملية مصادرة الاراضي والاستيطان والسيطرة على مصادر المياه ، وارتفاع تكاليف المعيشة مصدرا رئيسيا لهجر الزراعة ، وتحول اعداد غفيرة الى سوق العمل المأجور سواء في اسرائيل او في المناطق المحتلة . وقد بلغ عدد الذين تركوا العمل الزراعي خلال اعوام ٧٠ – ٨١ ، ٢٢ر٣ الف عامل ، وكانت نسبة العاملين في الزراعة الى مجموع العاملين في انخفاض مستمر كما يشير الجدول التالي : (٣٥) .

نسبة العاملين في الزراعة الى مجموع العاملين في الضفة والقطاع

	١٩٧٠	١٩٨١
الضفة الغربية	٥ ر ٤٢ ٪	٥ ر ٣٠ ٪
قطاع غزة	٦ ر ٣١ ٪	٠ ر ١٨ ٪
الضفة والقطاع المجتمعان	٧ ر ٣٨ ٪	٣ ر ٢٦ ٪

وتوسع بصورة ملحوظة عدد العاملين بأجر من الناحيتين النسبية والمطلقة ، فمن الناحية المطلقة ازداد عدد العاملين بأجر من ٧٠ ر٩١ الف شخص عام ١٩٧٠م الى ٢ر ١٣١ الف شخص عام ١٩٨١ ، ومن الناحية النسبية فقد ازدادت نسبة العاملين بأجر الى مجموع العاملين من ٤٥ر٣ ٪ عام ١٩٦٩م ، الى ٦١٪ عام ١٩٨١ ، وهذا المؤشر يكتسب دلالته في كون العاملين بأجر يشكلون غالبية العاملين ، كما انهم يشكلون اكبر قوة اجتماعية بالمقارنة مع الفئات الاجتماعية الاخرى في المناطق المحتلة .

Digitized by Birzeit University Library

ورافق التوسع في حجم الطبقة العاملة تغير كذلك في بنيتها وتركيبها حيث امتازت بمجموعةمن الصفات من ابرزها :

١) ان الجزء الاساسي من العاملين بأجر هو الجزء العامل في اسرائيل حيث بلغ عددهم ٧٥ر٦ الف عامل عام ٨١ ، مقابل ١٨ر٨ الف في قطاع غزة ، و ٣٧ر١ الف في الضفة الغربية لنفس العام ويتعرض هذا الجزء الى عملية اضطهاد يومي مزدوج ، طبقي وقومي ، وهو بنفس الوقت معرض بشكل مباشر لتحمل عبء الازمات الاقتصادية في اسرائيل والانتقال الى احضان البطالة(كما تشير المرحلة الحالية حيث تم تسريح الاف العمال العرب) ،كما ان موقع هذا القطاع مربوط بالاساس بالعمل الاسود وقطاع البناء ،واذا كانت السنوات الاخيرة حملت قليلا من التعديل في هذا التناسب الا ان السمة الغالبة في ذلك بقيت كما هـــــي .

٢) ارتباط الجزء الاكبر من الطبقة العاملة باصوله الفلاحية ، حيث تسكن اقسام واسعة من هؤلاء الريف كما يحوزون على ملكيات متفاوتة في القرية مما يعكس أثره على سمات الطبقة العاملة التنظيمية والايديولوجية ويشير الجدول التالي الى توزيع العاملين حسب مكان السكن ٠(٣٦) :

توزيع العمال حسب مكان السكن (بالالاف سنة ١٩٨١

	المدن	القرى	الميخمات	المجموع
الضفة الغربية	٧ر٣٥	٨ر٨٤	٩ر١٢	٤ ر ١٣٣
قطاع غزة	٣ر٤٠	٢ر٩	ـ ر٣٣	٥ر٨٢
المجمـوع	ـ ر٧٦	ـ ر٩٤	٩ر٤٥	٩ر٢١٥

٣) يمكن ملاحظة التحسن النسبي على عدد العاملين في القطاعات الصناعية ، بشكل مضطرد ، وهذا ما يسهم في تصليب البنيان الداخلي للطبقة العاملة ، وحيث يزداد ذلك بشكل ملحوظ في اسرائيل كان يتناقص او يتراوح في مكانة في الضفة الغربية ،هذا اولا ثم وهذا يعود لاسباب معروفة اهمها الصعوبات التي تعانيها الصناعة المحلية (حسبما يشيـــر الجدول التالي للتوزيع المهني للقوة العاملـــــــة ٠(٣٧)

Digitized by Birzeit University Library

التوزيع المهني للقوة العاملة في الضفة

السنوات	الزراعة ٪	الصناعية ٪	البناء ٪	مهن اخرى ٪	البطالة ٪
١٩٧٠	٣٢ر٥	١٤ر٦	١٣ر٤	٣٤ر٥	٥ ٪
١٩٧١	٣٠ر٢	١٥ر٧	٦ر١	٣٩ر٠	٩ ٪
١٩٧٢	٢٨ر٠	١٧ر٦	٧ر٢	٤٠ر٢	٦ ٪
١٩٧٣	٣٠ر٥	١٥ر١	٧ر٦	٤١ر٨	٥ ٪
١٩٧٤	٢٧ر٩	١٥ر١	٧ر٠	٤٠ر٠	٦ ٪
١٩٧٥	٢٥ر٦	١٥ر٨	٨ر٤	٤١ر٢	٩ ٪
١٩٧٦	٢٤ر٩	١٤ر٩	٨ر٠	٤١ر٢	١١٪
١٩٧٧	٢٣ر٤	١٣ر١	١٠ر٤	٤١ر١	١٢٪
١٩٧٨	٢١ر٣	١٣ر٠	١١ر٢	٤٢ر٥	١٣٪

توزيع عمال الضفة الغربية في اسرائيل

السنوات	الزراعة ٪	الصناعة ٪	البناء ٪	مهن اخرى ٪
١٩٧٠	١١ر٧	١٢ر٩	٥٧ر٣	١٢ر٢
١٩٧١	١٢ر٩	١٦ر٨	٥٧ر٠	١٣ر٢
١٩٧٢	١٣ر٣	١٨ر٦	٥٦ر٨	١٢ر٣
١٩٧٣	٨ر٨	٢٠ر٧	٥٦ر٧	١٣ر٧
١٩٧٤	١٠ر٦	١٩ر٣	٥٦ر١	١٤ر٠
١٩٧٥	١٠ر٩	١٨ر٦	٥٥ر٠	١٥ر٥
١٩٧٦	١٢ر٢	٢٠ر٩	٤٩ر٦	١٧ر٢
١٩٧٧	١٢ر٧	٢٢ر٥	٤٢ر٢	٢٠ر٦
١٩٧٨	١١ر٥	١٨ر٢	٤٨ر٥	٢١ر٨

٤) تستوعب الطبقة العاملة على الدوام اقساما واسعة من الشباب والطلبةالذين تدفعهم محدودية فرص التعليم او العمل في مجال تخصصاتهم للالتحاق بصفوف الطبقة العاملة ، ويساهم ذلك بالطبع في سرعة امتلاك الوعي والتجاوب مع الدعوات للتنظيم .

٥) يبدو هناك قدرا من التركز في العمل ، حيث بلغت نسبة العاملين ممن امضوا فترة تزيد عن السنة لدى صاحب عمل واحد في اسرائيل حوالي ٦٠٪ من العاملين ،وان ١ر٣٢٪ لم يغيروا ربّ العمل على الاطـــلاق ، (٣٨) .

٦) انتقال المرأة الى سوق العمل المأجور ،ومشاركتها في تحمل اعباء العمل وهي تخضع لاستغلال مركب بسبب الفرق الحاد في اجرها لقاء نفس العمل للرجل .

وبوجه عام ، فقد كانت نتيجة عملية توطد العلاقات الرأسمالية ، ازدياد حجم وتأثير الطبقة العاملة بشكل خاص ، مقابل تراجع نسبي في مواقع الطبقات الاخرى ، حيث انحصرت مجالات النمو امام بعض فئات البرجوازية ، بسبب المنافسة الاسرائيلية وازدياد حدة الضرائب والتضييق على الاستيراد والتصدير ... الخ ، كما تقلصت القدرة على الاستثمار الصغير بسبب الضرائب الباهظة وانخفاض الليرة الحاد والذى يرافقه الارتفاع الكبير في الاسعار ، فضلا عن انتقال اقسام واسعة من الفلاحين الى سوق العمل المأجور ، وكان لهذه التغيرات الملموسة ان تنعكس على كافة اوجه النشاط في المناطق المحتلة ، وبالنسبة للطبقة العاملة انعكست بشكل خاص وواضح على الصعيدين السياســي والنقابـــي .

Digitized by Birzeit University Library

الحركة النقابية في المواجهة :

الشعار الاول : المحافظة على الحركة وتثبيتها

عندما تم احتلال الضفة الغربية كان عدد النقابات العمالية ٢٤ نقابة ، منها ١٣ في منطقة القدس، ضمن فرع النقابات في القدس، والذى كان من انشط الفروع ويحتل الثوقع الثاني بعد المركز الرئيسي عمان ، لاهمية العاصمة الثانية (القدس) من جهة ولوجود مناخ مناسب للنشاط النقابي من جهة اخرى .

اما فرع نابلس فكان يضم ٦ نقابات ، وكانت هناك نقابة المؤسسات في بيت لحم ، ونقابة عمال البناء والمؤسسات العامة في رام الله ، ونقابة مؤسسات طولكرم ،نقابة مؤسسات جنين ، ونقابة الغزل والنسيج ـ الخليل

وكان مجموع العمال المنتسبين لهذه الاخيرة كما اشار الاستاذ المرحوم غسان حرب، ٤٤٤ عاملا موزعين على الشكل التالي (٣٩)

عدد العمال المنتسبين للنقابات
قبل الاحتلال

رمز النقابة	النقابة	عدد المنتسبين قبل الاحتلال
١١	نقابة مؤسسات جنين	ـ
٢١	نقابة مؤسسات طولكرم	١٥
٣١	نقابع المطابع نابلس	١٦٢
٣٢	نقابة المحابز نابلس	ـ
٣٣	نقابة الخدمات الصحية نابلس	٤
٣٤	نقابة الخياطين نابلس	١١
٣٥	نقابة الصناعات الجلدية نابلس	٥
٣٦	نقابة البناء نابلس	١٧
٣٧	نقابة السواقين نابلس	ـ
٣٨	نقابة مؤسسات نابلس	١٥٤
٤١	نقابة مؤسسات رام الله	٧٢
٤٢	نقابة الخدمات الصحية رام الله (	ـ
٦١	نقابة مؤسسات بيت لحم	٣
٧١	نقابة النجارين الخليل	ـ
٧٢	نقابة الخياطين الخيل	ـ
٧٣	نقابة صانعي الاحذية الخليل	ـ
٧٤	نقابة النسيج الخليل	ـ
	المجموع	٤٤٤

Digitized by Birzeit University Library

وكان كل من عادل غانم (نقابة عمال البناء ـ نابلس ، ومحمد جادالله (نقابة الفنادق ـ القدس) عضوين في اللجنة التنفيذية للاتحادالعام لنقابات عمال الاردن.

ومنذ الايام الاولى للاحتلال ،بدأ محاولاته للاجهاز على المؤسسات التي يمكن ان تشكل اداة تنظيم للجماهير ، تسهم في المقاومة الوطنيـــة .

ووجد الاحتلال في مخلفات العهد الاردني ،ما سهّل مهمته تلك ، حيث عمل النظام الاردني على ضرب وتفكيك تنظيمات . القوى الوطنية وكانقد شنّ حملة اعتقالات جديدة في اوساط الحزب الشيوعي الاردني والقوى الوطنية عام ١٩٦٦م ،يكمل مشوار القمع المكثف الذى رافق الانقلاب الرجعي عام ١٩٥٧م .

وقاوم النظام ابسط مظاهر الحريات الديمقراطية ، ولم يسمح بانشاء اية مؤسسات جديدة الا بعد حصولها على موافقة المخابرات العامة ، وكان يحظر اجراء انتخابات للهيئات الادارية لهذه المؤسسات دون الموافقة على اسماء المرشحين مسبقا ويشير بعض النقابيين الى ان مندوبا عن المخابرات كان يتولى حضور جلسات الاتحاد او النقابة بصفته تلـــك .

لقد ساعد هذا الوضع على تسلق عدد من العناصر الى مواقع مسؤولة في النقابات دون اية مؤهلات سوى التماثل مع سياسية السلطة بغض النظر عن الانتماء الحقيقي للطبقة العاملة

وبالاضافة الى هذا فان القوانين التي تحدد نشاط المؤسسات المختلفةوبضمنها النقابات ، كانت قوانين تهدف الى ضمان عملية التدجين والسيطرة على هذهالمؤسسات ، وكانت مرنة في يد السلطة يمكن ان تلجأ اليها لتبرير اجراءاتها اذا ما وجدت ضرورة لذلك ،ومن المفارقات المضحكة ان سلطات الاحتلال الاسرائيلي استخدمت القانون الاردني في تبرير عزل رؤساء البلديات عن مواقعهـــــم .

وبسبب هذه المواصفات فان السلطات الاسرائيلية ابقت على بنود قانون العمل الاردني لسنة ١٩٦٥م كما هو ، وعادت بعد ثلاث عشرة سنة لمحاولة تعديل المادة ٨٣ منه.

زادت السلطات حملتها ضد القادة النقابيين على اثر حملة التبرعات التضامنية الواسعة التي قام بها في الخارج وتحت شعار مساندةالحركة النقابية والطبقة العاملةتحت الاحتلال كل من النقابي المعروف الشفيع احمد الشيخ (السودان) ، وموسى قويدر ، وتمكنوا فعلا من ايصال حصيلة هذه الحملة الى النقابيين في الضفة الغربية .

Digitized by Birzeit University Library

وتكثفت حملة القمع ضد نقابات القدس بشكل خاص على اثر صدور قانون ضم القدس وبلغت ذروتها في العام ١٩٦٩م ،حيث قامت السلطات بابعاد امين سر نقابة الكهرباء في القدس ميشيل سنداحة ،واعتقلت امين سر نقابة الفنادق محمد جاد الله ، وقامت باغلاق ومداهمة مقار النقابات في المدينة ،كما بدأ الهستدروت بافتتاح مكاتبه وعمل على الغاء دور النقابات العربية

واتبعت السلطات نفس محتوى هذه السياسة ضد النقابات في المدن والمواقع الاخرى، وكانت تهدف من ذلك انفضاض العمال عن النقابات ، وهرب قادتها النقابيين او تدجينهم للعمل مع الهستدروت لاحقا ، واغلاق النقابات فعليا بشكل هادئ -ولذلك بدأت حملات مداهمة النقابات بشكل مستمر ، ومصادرة محتوياتها ، وبدأت الاستدعاءات للقادة النقابيين ،وحملات التفتيش على سجلات العضوية ، ومراقبة مكاتب النقابات ،واشاعة جوا من الرهبة بهدف تخويف العمال من التردد على النقابات او حتى تسديد اشتراكاتهم لكي يكون من الطبيعي اغلاقها ،وعدم وجود العدد اللازم من العمال المنتسبين لهـــا .

ان هذا الوضع في الحركة النقابية انشأ جوابين واضحين ، الاول لفظ نفسه خارج الحركة النقابية، وتكيف مع الواقع الجديد ، حيث اغلق نقاباته وابتعد عن النشاط النقابي، وتجلى بوضوح هنا التأثير الضار للمتسلقين على العمل النقابي ممن فرضتهم السلطة الاردنية باجراءاتها التعسفية ، وعندما كان الواجب الطبقي والقومي يتطلب منهم المواجهة هربوا تاركين نقاباتهم وجماهير العمال دون اى عون .

ومع انقضاء العام ١٩٦٩م ، لم يكن قد بقي من نقابات القدس بشكل شبه فعلي ،سوى ثلاث نقابات هي نقابة شركة كهرباء القدس،نقابة موظفي مستشفى اوغستا فكتوريا (المطلع) ونقابة عمـال الاحذيـــــة .

وأما الجواب الثاني فقد تميز بالكفاحية العالية ،وحدد شعاراً ملموسا امام الحركة العمالية والنقابية ، تمثل في المحافظة على النقابات القائمة ، وعدم السماح بتجريد العمل النقابي من ادواته والتقهقر بالنضالات المجيدة للحركة النقابية ،ولم يكن بستطيع تقدير اهمية ذلك سوى القوى الملتصقة بمصالح الطبقة العاملة ونضالاتها ، والتي دفعت بدمها وعذاباتها ثمن انشاء هذه الحركة طوال سنوات عديـــدة .

وهكذا ، بدأ الاصرار على ابقاء مكاتب النقابات مفتوحة ، ومتابعة العمال خارج النقابة واقناعهم بضرورة استمرار عضويتهم ، واهمية دفع اشتراكاتهم لتغطية اجرة مقار النقابات، وتأمين الحد القانوني اللازم من المنتسبين لاستمرار النقابة ،وكان على هؤلاء النقابيين ان يدفعوا ثمن موقفهم هذا من الملاحقات والتعذيـب باستمـرار .

ولم تكن هذه المواجهات في الحركة النقابية ، معزولة عن الواقع الناشئ في المناطق المحتلة ، فقد كانت ساحة المناطق المحتلة ملتهبة بالنضـال ضد المحتلين ، كما كان قمع المحتلين يزداد شراســـة يوما بعـد يـــوم .

لقد تصاعدت موجة النضالات الجماهيرية ،باشكالها المختلفة منذ الاشهر الاولى

Digitized by Birzeit University Library

للاحتلال ،وعلى الرغم من ضعف تنظيمات الحركة الوطنية فقد تمكنت من اقامة نوع من التنسيق والتحالف فيما بينها والى جانب العمليات المسلحة ضد المحتلين كانت المظاهرات الصاخبة والمسيرات الاحتجاجية ، والاضرابات قد عمت معظم مدن وقرى المناطق المحتلة ، وجرى الامتناع عن دفع الضرائب للمحتلين ،وتمت مقاطعة البضائع الاسرائيلية واعلنت العديد من المؤسسات الاضـــراب .

وقد اشار موشيه ديان وزير الدفاع الاسرائيلي انذاك في خطاب امام الكنيست الاسرائيلي في كانون ثاني ١٩٧٠م الى "وقوع ٩٩٩ عملا "تخريبيا" خلال الثمانية اشهر من عام ١٩٦٩م ، قتل فيها اربعون فدائيا و٢٣ جنديا اسرائيليا وجرح ٥٨٨ فردا وردت السلطات بقتل ٥٠ عربيا وجرح ٥١٦ ، ونسفت ٥١٦ منزلا (٤٠)

والى جانب النضال العارم ضد الاحتلال ،فقد ظهرت بعض الاصوات الاستسلامية التي قوبلت بالرفض القاطع من الجماهير باشرت باجراء الاتصالات مع المحتلين ، واقترحت مشاريعا تنتقص من مضمون حق تقرير المصير وتتعامل بمهادنة مع الامر الواقع ، وهكذا لم يكن الاتجاه المهادن في الحركة النقابية ، دون ارتباطات على مستوى اوسع ، وكان النظام الاردني يشجع هذا الاتجاه ، ويرعى تحركاته .

وما ان حل عام ١٩٦٩م حتى كان مفتشو العمل الاردنيون السابقون قد بدأوا عملهم من جديد بالتنسيق مع ضباط العمل الاسرائيليين ، بنفس مهام وظائفهم السابقة ،وبموافقة الحكومة الاردنية ،وبادر هؤلاء لطلب تراخيص النقابات لاثبات شرعيتها ، وكان ان بدأ انتقال مركز الثقل النقابي من مدينة القـدس الى نابلـــس .

وبانتهاء الاعتراف القانوني بالنقابات ، نشطت اكثر محاولات التنسيق والربط بين النقابات المختلفة ، والعمل للاستفادة من الخطوة التي قام بها عادل غانم من تجديد تصريح فرع نابلس ، كتجمع للنقابات ، وبتأثير محاولات التنسيق المشتركة بين النقابات عقدت الجلسة الاولى للاتحاد (بصفته هذه) في ١٠/١/ ١٩٦٩م ، حيث كان يضم ثماني نقابات من نابلس هي نقابة عمال البناء العامة ، نقابة عمال المؤسسات ، نقابة مستخدمي الصيدليات والمستودعات ، نقابة عمال المخابز ،نقابة عمال المطابع ، نقابة عمال الخياطة نقابة عمال الاحذية ، نقابة الاشغال العامـــة .

وانتخبت لجنة تنفيذية مكونة من خمسة اعضاء هم :وليد الاغبر، زكريا حمدان ،محمود الشربيني ، انور يعيش، سعود حسان .

وانتخب زكريا حمدان ، (نقابة المؤسسات ـ نابلس) اول امين عام للاتحاد ، الا ان سلطات الاحتلال قامت بابعاده بعد ثلاثة اشهر فقط من انتخابه ، ليحل محله انور يعيش(٤١)

واعلن في جلسة الاتحاد الثانية في ١٩٦٩/٢/٢م ، عن انضمام ثلاث نقابات جديدة للاتحاد هي نقابة البلديات وموظفي المؤسسات العامة(جنين) نقابة عمال البلديات

Digitized by Birzeit University Library

وموظفي المؤسسات العامة (طولكرم) ونقابة سائقي السيارات وعمال النقل والكراجات (نابلس) وبذلك اصبح عدد اعضاء مجلس الاتحاد ١٩ عضوا يمثلون احد عشرة نقابة.

وعلى اثر ذلك توالى انضمام النقابات الى الاتحاد ، فانضمت نقابة المؤسسات العامة بيت لحم ومن ثم نقابة عمال البناء والمؤسسات العاملة برام الله ، وبعد انعقاد جلسة للهيئة العمومية في ١٩٧٢/٢/٢ م ، ومن ثم جلسة المجلس في ١٩٧٢/٤/١٦ م ثم اتخاذ القرار بتسميته (الاتحاد العام لنقابات العمال ومركزه نابلس) .

وبهذه الخطوة كان الاتجاه الثورى في الحركة النقابية قد تجاوز بنجاح شعاره، القاضي بالمحافظة على النقابات وتثبيتها الى انجاز تأسيس اتحاد مركزى لها سيكون له دور كبيرا في كافة القضايا المصيرية التي جابهت المناطق المحتلة .

ومن اول هذه القضايا التي اعترضت الاتحاد التاكتيك الجديد الذى لجأت اليه السلطات الاسرائيلية لاحتواء الحركة العمالية والنقابية من خلال الهستدروت الاسرائيلي .

فتحت ضغط الحاجة الاقتصادية بدأت اعداد كبيرة من العمال بالتوجه الى سوق العمل الاسرائيلي ، وخلق هذا الواقع مهام جديدة اكثر صعوبة امام الحركة النقابية من حيث اهليتها ومقدرتها على الدفاع عن العمال في السوق الاسرائيلي وفي ظل قوانين عمل متباينة ودون حق قانوني لنقابات الضفة بالدفاع عن العمال امام اصحاب العمل الاسرائيليين ، الى جانب هذا الاعتبار كان يراود السلطة حلم سلخ جماهير العمال عن النضال الوطني، وتحويلهم بحكم ارتباطهم اقتصاديا باسرائيل الى طرف مهادن وغير مبالي بالاستقلال الوطني .

ان هذه الاحلام التي راودت المحتلين كانت تتجاهل الاصالة الثورية الكامنة لدى جماهير الطبقة العاملة ، وحسن قراءتها للرابط الملموس بين الاضطهاد المزدوج القومي والطبقي الذى تعانيه يوميا كما كانت تتجاهل الوعي والخبرة اللتين اكتسبهما القادة النقابيون في نضالهم من اجل الحفاظ على نقاباتهم العمالية ، ولذلك حدد موقف نقابات العمال من الهستدروت الاسرائيلي منذ مطلع السبعينات بوصلة هادية للطبقة العاملة ، اسهمت في افشال اهدافه ، لقد حاولت الهستدروت وما زالت حتى اليوم ، دمج عمال المناطق المحتلة وتمثيلهم نقابيا ، من اجل تسهيل الخطوات اللاحقة في صلب السياسة الاسرائيلية ، سواء على صعيد الضم او على صعيد تطبيق اشكال معينة للحكم (الادارى) تحت السيطرة الاسرائيلية وتحويل التمثيل النقابي الى مدخل من اجل تمثيل العمال العرب في اسرائيل ، سياسيا، بحيث يمكن للاحتلال شل امكانية مساهمة اكثر الطبقات مصلحة ومثابرة في العداء للاحتلال عن واجبات الكفاح الوطني .

لقد بدأت المحاولة في الاجتماع الذى عقده يعقوب كوهن مسؤول الشؤون العربية

Digitized by Birzeit University Library

في الهستدروت عام ١٩٧٠ مع النقابيين ، وطرح فيه ان تتولى النقابات مكاتب الاستخدام في مدن الضفة وان يعهد اليها بالمقتطفات من اجور العمال العرب .

ان هذه الاقتراحات كانت تعني تحويل النقابات العمالية الى فروع للهستدروت في مدن الضفة الغربية ، وتحقيق تقدم فعلي في اهداف الهستدروت ذات الطابع السياسي ولذلك قابلتها النقابات بالرفض القاطع واعلنت تمسكها الحازم برفض العلاقة مع الهستدروت وشنت حملة نشطة بين العمال ، ولا تزال من اجل رفض انضمام العمال اليه والوقوع في الفخ المنصوب لهـــا .

اتحاد العمال العرب
المجلس التنفيذي
أكتوبر ١٩٦٥

ملحق (١)

كلمة الزميل حسني صالح
الأمين العام لاتحاد عمال فلسطين

الأخ الرئيس — أخواني وزملائي

بالرغم من حداثة اتحاد عمال فلسطين الذي نشأ وترعرع في ظل ورعاية اتحاد العمال العرب ، وتأييد العمال العرب عموما ، وتصميم عمال فلسطين ، استطاع أن يحقق انتصارات في مختلف الميادين النقابية والسياسية .

ففي مجال التنظيم ، استطاع أن ينظم العديد من العمال الفلسطينيين الذيـــن يقطنون على الارض الفلسطينية في قطاع غـزة ، وفي الاقطار العربية الشقيقة فـــي الجمهورية العربية المتحدة ، والعراق ، والكويت ، ولبنان ، وسوريا ، وألمانيا الغربيـــة .

واستطاع فرع اتحادنا في غـزة بتجاوب الادارة مع نضال زملائنا العمال الفلسطينيين الذين اتحدوا في نقابات مهنية أن يحصلوا على قانون عمل ينظم العلاقات فيما بين أصحاب العمل والعمال ، ويحدد ساعات العمل بثمان ساعات وتحديد الحد الادنى للاجور . ولكن الطبقة الرأسمالية والاقطاعية المستغلة تحاول بشتى الطرق والوسائل التخلص من القوانين ، بالدس على الحركة العمالية وبمحاولات فاشلة للتفرقة بين صفوف العمـــال ، فمثلا في الاسبوع الماضي والبت نقابة عمال الزراعة برفع أجور العمال الزراعيين . ولكن أصحاب الاعمال رفضوا دفع ما يهم فاضطر العمال الى الامتناع عن قبض أجورهم ، فاستغل أصحاب الاعمال هذا الموقف ، ودسوا على العمال الزراعيين بتهمة ملفقة مـــا أدى بالسلطات اعتقال ١١ عضوا ، وبمجهود فرع الاتحاد بغزة أطلق سراح الزملاء .

وهناك موضوع آخر يواجه العمال الفلسطينيين في الاقطار العربية ، وهـــو أن العمال الفلسطينيين اذ يقومون بنفس الواجبات الملقاة على زملائهم العمال لكنهـــم لايتمتعون بنفس الامتيازات والحقوق .

أما وضعنا السياسي فمجال بحثه أعتقد أنه مجاله حين بحث المواضيع الاخرى .

والسلام عليكم ورحمة الله ،،،

Digitized by Birzeit University Library

ملحق (٢)

البرلمان ـ الخامس — رقم الجلسة ـ الثالثة

التاريخ ـ ٨/ ٧/ ١٩٦٥ — السنة ـ الثانية عشرة

بتاريخ اعلاه رفعي تمام الساعة السادسة والنصف مساء اجتمع مجلس الاتحاد بنصاب قانوني برئاسة السيد موسى قويدر وبحضور (٢٦) عضوا وقد كان جدول الاعمال ما يلي ـ

١ـ تحديد موعد اجتماع الهيئة العامة للاتحاد .

٢ـ حساب المقبوضات والمدفوعات عن المدة ١/ ١/ ١٩٦٥ ـ ٣٠/ ٤/ ١٩٦٥ .

٣ـ والمبالانضمام لعضوية الاتحاد المقدم من نقابة عمال الدهان والطراشة / القدس .

٤ـ وقائع مؤتمرى الجزائر وعمال فلسطين .

==========

مؤتمر عمال فلسطين

ـ نشأ باتحاد العمال العرب بتشبياس (متبعمال فلسطين)

ـ اشرف عليه اتذاك السيد حسني صالح الخطيب .

ـ لدى انعقاد دورة الثقافة العمالية في تموز ١٩٦٤ م تجمهد من العمال الفلسطينيين بلغ عددهم تسعة وشكلوا لجنة تنفيذية لاتحاد عمال فلسطين .

ـ نشأ خلاف بين مندوبينا الذين حضروا الدورة الثقافية اتذاك وبين مجموعة الاشخاص الذين قاموا بتشكيل اللجنة المذكورة ، ادى الى تبادل رسائل الاتهام بين الطرفين زمنها عنها الينا .

ـ كلف وفدنا الذى زار لندن بزيارة مقر الاتحاد في القاهرة والتحقيق من اسباب الخلاف .

ـ لدى عودة الوفد وبعد الاستماع الى نتيجة اتصالاته اتخذت الهيئة التنفيذية قرارا ارسلته لاتحاد العمال العرب ، ونسخة عنه للسيد حسني صالح تضمن ما يلي ـ

أ ـ نرحب بقيام اتحاد عام لعمال فلسطين .

ب ـ نعتبر ان قيام الاتحاد يجب ان يعتمد على القاعدة العمالية الصناعية في نقابات .

ج ـ يجب ان يكون مقر الاتحاد قطاع غزة بالتحديد والى حين استرداد فلسطين . الى ان تتحقق الشروط الانفة الذكر نمتنع عن الاعتراف بالتنظيم القائم .

ـ لدى انعقاد مؤتمر العمال العربي في بور سعيد في تشرين الثاني ١٩٦٤ ، اثير موضوع خلافنا مع اتحاد عمال فلسطين .

ـ رفضنا ان يسمى ذلك خلافا بالمعنى المفهوم ، حيث ان تحفظنا كان على شكل التنظيم وليس على مبدئه .

ـ عقدنا جلسة مشتركة مع السيد حسني صالح وقدمنا قرارا مشتركا اعتمده المؤتمر واصبح جزءا من مقرراته ونصه الحرفي ما يلي ،

"يؤيد المؤتمر اتحاد عمال فلسطين القائم على النقابات الموجودة في الارض الفلسطينية والروابط العمالية في الوطن العربي والخارج " .

ـ كان هذا القرار مؤيدا لموقفنا ، وقد اعتبرنا الخلاف السابق منتهيا .

يتبع ١/ ٠٠ ـ

Digitized by Birzeit University Library

- لدى عودتنا من مؤتمر الجزائر الى القاهرة ، علمنا ان السيد حسني صالح يقوم بنشر دعاية عن وجود خلاف بين اتحاد عمال الاردن وعمال فلسطين .
- عقدنا جلسة مشتركة في الاتحاد المصري للعمال بحضور السيد احمد فهمي ومحمد مناقشة استمرت ثلاث ساعات اتضح بها لا يقبل الشك ان موقفنا سليم ويتفق مع القواعد النقابية السليمة .
- اثر ذلك ابرقت للاتحاد طالبت تحفيز وفدنا بزميلين كانا موجودين في القاهرة تحسبا لما قد يثار بخدعنا من شائعات .
- لعدم اطلاع الاخوة هنا على الموقف ابرقنا بالاعتذار عن اقامة احتفاء للوفد .
- لدى عودتنا وبالتحديد يوم ١١/ ٤/ ١٩٦٥ ، وصلتنا نشرة عمال فلسطين ، وفيها تهجم صريح على اتحاد عمال الاردن .
- لدى اطلاع الاخوان اعضاء الهيئة التنفيذية عليها قررنا ارسال مندوبين لحضور مؤتمر عمال فلسطين وتقديم بيان نشرح فيه التفاصيل السابقة .
- اثر وصولنا للقاهرة اجتمعنا بمندوبنا السيد وجيه منذر واطلعناه على سبيلحاتنا به .
- تبين ان هنا لك تهم جديدة اثارها بخدعنا السيد حسني صالح .
- ارسلنا السادة وجيه منذر وجميل جلاجل وسامي الخاروف للتحقيق في التهم التي نشرها .
- بعد مواجهته من قبل الزملاء المذكورين وبعد البتهم له بانبات صحة دعواه ، تنصل من كل ما اذاع ، واعلن انه على استعداد لاصدار نشرة ثانية ينفي فيها ما نسبلينا من اتهام كذلك تعهد بارسال كتاب الينا ينفي فيه ما نشر بخدعنا .
- ارسل الينا بالفعل كتابا حاول التنصل فيه من تبعات ما رفق ورغم ذلك فالكتابة تضمن نصا صريحا بالاعتذار عما وقع .
- ازاء ذلك قررنا عدم نشر البيان الذي كنا اعددناه لتوزيعه على اعضاء المؤتمر ، واكتفينا بالحضور بصفة مراقبين .
- تضمن خطابنا في المؤتمر تاييدا كاملا لقيام اتحاد عمال فلسطين وقد جاء فيه ما يلي -

١- نرحب بقوة بقيام اتحاد عام لعمال فلسطين ، ونعلن ونؤكد تحفظنا امننا وتمسكنا التام مع اتحاد عمال فلسطين ليأخذ مكانه الطبيعي بين اخواته الاتحادات العمالية العربية في اطار "اتحاد العمال العرب" .

٢- نؤكد اننا كنا وسنبقى جند الفداء المنتظر لساعة الثأر لاسترداد حقنا السليب في فلسطين .

٣- نرفض ادعاءه ار تصرفيخالفهذا الواقع .

يتبع ١٠/ ٠٠٠٠

Digitized by Birzeit University Library

- بعد ذلك تابعنا جلسات المؤتمر حتى جلسته الختامية الى ان تليت المقررات .
- تبين ان المقررات خلت من اى اشارة للتعاون مع اتحاد عمال الاردن ، رغم انها تضمنت نصا صريحا بشكر بعض المنظمات لتبرعها المادى .
- ازاء ذلك شعرنا باهانة متعمدة ، نتيجة تجاهل المؤتمرين لعمال الاردن ودورهم في تحرير فلسطين رغم كونهم يمثلون ثلثي الشعب الفلسطيني قبل النكبه .
- قررنا الانسحاب من المؤتمر ، وطلبنا من زميلنا السيد وجيه منصور مشاركتنا بالانسحاب باعتبارة المندوب الرسمي ، ولكنه رفض ذلك مفضلا البقاء .

هذه خلاصة ما تم في السابق والحاضر من علاقة بيننا وبين اتحاد عمال فلسطين ، نقدمها اليكم مجردة من اية صياغة لغائية ، على امل ان تكون وثيقة يرجع اليها كل من يهتم بهذه الامور .

الامين العام

محمد جوهر

يتبع / ١١

Digitized by Birzeit University Library

جدول اعمال اجتماع الهيئة العمومية

١- الميزانية العمومية لسنة ١٩٦٩ .
٢- اقرار موازنة الفرع لعام ١٩٧٠.
٣- تقرير عن أعمال الاتحاد .
٤- تنشيط الحركة النقابية وأفضل الوسائل - تقرير اللجنة الثقافية .
٥- توصيات اللجنة المالية والثقافية .

سجل الحضور

نقابة الانشغال العامة

١- سعود مفلح حسان
٢- ربا محمد خليل
٣- محمود حامد سماره
٤- فريد صباح مقبول

نقابة البناء

١- عادل غانم
٢- وليد الاغبر
٣- سميح طحيس
٤- داود الهاموري
٥- عادل الاغبر
٦- اسحق السعودي

نقابة الخياطة

١- أنور لسيادة
٢- فايز العقاد
٣- فؤاد فرش

نقابة الصيدليات

١٤- أنور يعيش
١٥- توفيق صبري
١٦- سمير الارمم

نقابة الاحذية

١٧- صبري الاسمر
١٨- عصر القاسم
١٩- وجيه عاديلو
٢٠- زهير أبو الحيات
٢١- عايض النعمان

نقابة المطابع

٢٢- عدنان صبح
٢٣- محمود أبو علي
٢٤- مصطفى الجوهري

نقابة المخابز

٢٥- عبدالله نافع
٢٦- نايف هرون
٢٧- حسن طالب

نقابة مؤسسات نابلس

٢٨- محمود غنام
٢٩- علي مروك
٣٠- علي حافظ
٣١- فواز قدوره
٣٢- عبدالقادر عثمان

نقابة مؤسسات طولكرم

٣٣- سليم السلطان
٣٤- معاوية خريشه
٣٥- عبدالله شحاده

نقابة مؤسسات جنين

٣٦- مصطفى طحيس
٣٧- فايق جبر
٣٨- علي السوقي
٣٩- محمد سالم حسن
٤٠- عبدالله محمد عمر

Digitized by Birzeit University Library

ملحق (٤)

نقابة عمال ومستخدمي

الصناعات الجلدية والمطاطية ومشتقاتها

المنضمة لاتحاد نقابات العمال بالاردن

تأسست سنة ١٩٥٤

عمان المركز الرئيسي : هاتف ٢٤٢٦٥ - ص . ب ١٠٦٥

فرع نابلس

الرقم

التاريخ ٦٧/٦/٥

السادة اعضاء إدارة نقابة البناء الحديد

تحية وبعد

مقاطعاً على وحدة الحركة النقابية في هذا البلد فرننا العمل الجائر بما يضمه مصالحنا العمالية وتشكلت لجان لتعمل دون يأس إيماناً منا بالديمقراطية . وكلنا الجان لم يأس نشاطها

هذا وقد تغيب البعض حضور الجلسات خاصة الجلسة الاخيرة المنعقدة في ٦٧/٦/٤ فقد أفضلها بعض الأعضاء متعذرة ودون عذر . فأحببنا نبأ بأن يرسل هذا الكتاب لتعود ظل نقابة مقتضاها .

وقد عينه يوم الخميس ٦٧/٦/٧ الساعة الخامسة مساء موعداً للاجتماع في مقر نقابة الاحذية

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

امين السر

امين سر النقابة

ملاحظة - تعتذر بأنه يوجد جلسة طارئة للأعضاء في نقابات نابلس اليوم الثلاثاء الساعة الخامسة مساء

نقابة عمال ومستخدمي
الصناعات الجلدية والمطاطية ومشتقاتها
المنضمة للاتحاد العام لنقابات العمال
المركز الرئيسي : عمان
فرع نابلس
تأسست سنة ١٩٥٤

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

النقابة العامة لعمال ومستخدمي
وزارة الاشغال العامة
تاسست عام ١٩٥٧
المركز الرئيسي : عمان
فرع نابلس

الكاتب

ملحق (٥)

الرقم .....

التاريخ ٦ / ١٠ / ٦٧

حضرة السيد عضاء الهيئة الادارية للنقابة
السلام عليكم

تحية واحتراما وبعد :

الموضوع: الهيئة الادارية للنقابة الاشغال العامة.

نعلم حضرتكم عن قصة ما مضى بين العامل هشام الفنيادي وابراهيم سطو عند مراجعة محل نقابتنا بخصوص المساعدة المالية التي يقابل من قبل مقتشية العمل المذكورين بعجابرة علمية على أن المساعدة للعمال المدينة فقط ولا يوجد مساعدة للقرية وقد سمع هذه الجابرة كثير من اعضاء النقابات الذي كانوا موجودين في الاجتماع بالاضافة الى القول الفردي الذي بيننا وبينهم وعند توجيه كتابنا الى رئيس بلدية نابلس المحترم بطلب كتابي فطن على انه لا يوجد للقرية مساعدة قال انا عالم انظلم هذا الطلاق وكل عامل عاطل عن العمل له مساعدة ، لطلب مقتشية العمل ابراهيم سطو وقال له انا قلت له ان هذا الطلاق كل عامل عاطل عن العمل يجب أن يأخذ مساعدة وعند ذلك اكد مقتشية العمل ابراهيم سطو انه قال هذا الطلاق مع العلم أن

لا منكم كان في الاجتماع وسمعه وهذا مما يدل على حين منشية العلو عدم أحقيته للعلو للنقابة
ما بالنسبة لمنشية العلو لشام الضنباوي فقد قرر على انه لا يوجد مساعد للذويبة عدة مرات
بحضوره ذهابه مخاطبا لدائرة السودان ابلغه منشية العلو ابراهيم سطلف بأن يذهب الى بلدية نابلس
لمراجعة شام الضنباوي لأسبابه تخص النقابة وعند مقابلته قال له لماذا لم تذهب الى بلدية
على انني خلت لك لا يوجد للذويبة مساعد والله ما واحد منكم بأخذ شيء والذي
يطلع من ايدك اكل وشحدا وصار يلفظ بعض كلام صحة المتظلم هو عدم احترام
لقانون العمل والعمال والحركة العمالية وعدم التقيد في صلاحياته المخولة اليه لذا الله
يجيب انحاذ قرار تقابلي في تعويض منشية السودان عن كفاءة الاعمال وعدم حرمان
أي نقابة من استخراج صاحب العلم ان كل منكم يعلم لهذه الاستخفاف

الهوامـــــش :

(٣٢) من كلمة حسني الخفش ، وتقرير الامين العام لاتحاد نقابات عمال الاردن (راجع ملحق (١) و (٢) .

(٣٣) ماركس ـ كارل اصل رأس المال ـ دار التقدم ـ موسكو ، ص ٤

(٣٤) بالاعتماد على جداول استخدمها الاستاذ تيسير العاروري عن كتاب الاحصاء السنوي الاسرائيلي ـ في مقاله مساهمة في النقاش حول الطبقة العاملة الفلسطينية في المناطق المحتلة ـ الكاتب ـ عدد ٣٨ ص ٣٧ .

(٣٥) المصدر السابق .

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) صقر أسعد الحركة العمالية في فلسطين منذ عهد الانتداب وحتى عام ١٩٨٠ ، منشورات الجرمق دمشق ـ ص ٢٥٤ .

(٣٨) موسى ، جمال دراسة حول واقع الاستغلال الكونيالي لعمال المناطق المحتلة في اسرائيـــــل .

(٣٩) من احصائية استخدمها الاستاذ غسان حرب ، ورقة عمل حول النقابات العمالية في الضفة الغربية ودورها في تنمية الصمود ـ الملتقى الفكري العربي ـ القدس ص ١٣ .

(٤٠) سعد ـ احمد صادق ياسين عبد القادر "الحركة الوطنية الفلسطينية" ٤٨ ـ ١٩٧٠ منشورات صلاح الدين ـ القدس ص ١٣٦

(٤١) توالى على امانة الاتحاد العام على التوالي كل من : زكريا حمدان (نقابة المؤسسات ـ نابلس) ، انور يعيش (نقابة مستخدمي الصيدليات والمستودعات) ، محمود غنام (نقابة عمال المؤسسات) . شحادة الميناوي (نقابة عمال الخدمات الصحية الاهلية ، وصناعة الادوية) ، عادل غانم (نقابة عمال البناء) .

(٤٢) ملحـــق رقـــم (٣) .

يتبـع

Digitized by Birzeit University Library

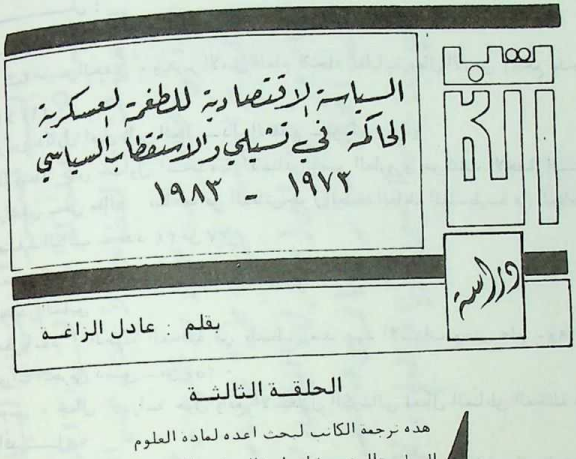

الحلقـة الثالثـة

هذه ترجمة الكاتب لبحث اعده لمادة العلوم السياسية المخصصة لدراسة الجوانب الادارية والسياسة لعملية التنمية في المجتمعات النامية

القسم الثاني

الاستقطاب السياسي في المجتمع التشيلي

الموديل السياسي لبينوشيت :

هناك عنصران اساسيان في الموديل السياسي لنظام حكم بينوشيت اولا ،ان السلطة يجب ان تتركز في يديه فقط وليس مع الطغمة العسكرية المكونة من اربعة جنرالات .

ففي بداية حزيران من عام ١٩٧٤ كان بينوشيت قادرا على تغيير لقبه من رئيس للطغمة العسكرية الى رئيس للجمهورية . ولتأكيد نجاحه في دور الرجل ـ الواحد ،فقد نقل او اقال او استعمل التصفية الجسدية ضد خصومه المحتملين . وعلى سبيل المثال ،فان الجنرال اوسكار بونيلا الذى تمتع بشعبية مهمة ، قد اختفى في حادث تحطم طائرةهيلوكبتر في عام ١٩٧٥ (٣٧) .وقائد سلاح الجو الجنرال جوستافو ليه الذى يرتبط بعلاقات مع الحزب الديمقراطي المسيحي اجبر على الاستقالة من الطغمة العسكرية في تموز من عام ١٩٧٨ . وكانت النتيجة ان اولئك الذين شجعوا تحريك قطاعات من القاعدة الشعبية لدعم النظام العسكرى ، او اولئك الذين ارادوا زيادة دور المدنيين ،وجدوا انفسهم بدون قادة محتملين .

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا، ان دور بينوشيت نفسه قد ارتكز على منع التعبئة السياسية DEMOBILIZATION . لقد اراد هو حل اللعبة السياسية نفسها . لقد اشار ذات مرة الى "ان الديمقراطية هي الوعاء الانسب لنمو الماركسية" .ان دوره لن يكون فقط غير ديمقراطي ،ولكنه معاد للديمقراطية بشكل عميـــــق .

لقد تطلبت التغييرات في الاقتصاد التشيلي جعل الديكتاتورية مؤسسة قائمة بذاتها INSTITUTIONLIZATION ففي عام ١٩٧٧ ،كان بينوشيت قادرا على منع الحزبين السياسيين الباقيين في البلاد بدون تحريم وجردهما من اية اهمية ، وهما الحزب الديمقراطي المسيحي والحزب الوطني ،دونما اى خوف من ردة فعل جدية . وفي عام ١٩٧٨ ،اظهر مجلسه الاستشاري بالرغم من كل سلبياته وامكانيات التزوير،ان النظام لا يزال يتمتع بدعم معتبر . لقد صوت ٧٥ ٪ من الناخبين "بنعم" لصالح هذا المجلس الاستشاري . حين حلول عام ١٩٨٠ كان بينوشيت قادرا على تأسيس INSTITUTIONALIZE دور الرجل ـ الواحد وعلى تطبيق مفهومه هو عن الديمقراطية على انها "سلطوية ،محمية ،وتكنوقراطية" .كما صوت ٦٨ ٪ "بنعم" على دستور جديد يمنح بينوشيت نفسه الامكانية على البقاء رئيسا للجمهورية حتى عام ١٩٨٩ ،ويمنح الطغمة العسكرية السلطة لتعيين الرئيس القادم للخدمة حتى عام ١٩٩٧ ،وقنن احتكار الديكتاتورية للسلطة التنفيذية والتشريعية (٣٨) .وهكذا فقد حرم البند الثامن من الدستور ،على سبيل المثال ، "اية منظمة او شخص يقترح انظمة تهدد العائلة ... او اى مفهوم اجتماعي ، او الدولة ، او النظام القانوني معتمدا على مفهوم الصراع الطبقي ."

وبالاضافة الى انشاء دولة تعلن ان دينها الرسمي هو معاداة الشيوعية وتضع "الامن القومي" فوق الحقوق الفردية ،فان الدستور يكسر بحدة تقليدا سياسيا دارجا في تشيلي منذ اعوام ١٨٩٠ ،وبالتحديد برلمانا قويا ذا نفوذ قوى على السلطة التنفيذية ،ومستوى المشاركة الشعبية في السياسة والذى هو نادر في محيط امريكا اللاتينية . ان الدستور الجديد اعطى الرئيس السلطة لتعيين ثلث اعضاء مجلس الشيوخ ،وكل القضاة في المحكمة العليا والمحاكم الادنى منها ورجال الدين ورؤساء البلديـات .

نحن نعتقد ان الدعم الذى ظهر في صناديق الاقتراع لبينوشيت يعود الى (أ) قوة الارهاب التي يمتلكها النظام ،و(ب) المبالغة في النتائج الرسمية و (ج) ان نتائج الركود لم تظهر واضحة وقوية الا عند عام ١٩٨١ ،لان الطبقة الوسطى لم تكن قد اصيبت بالاضرار التي يحملها لها نظام بينوشيت قبل هذا العام . ان الانخفاض في نسبة الذين صوتوا "بنعم" من ٧٥٪ الى ٦٨ ٪ ،على اية حال ،هو مؤشر لانخفاض الدعم الشعبي .

ونحن نعتقد ان التغيرات الاقتصادية والسياسية والحرب الايديولوجية والتعذيب الذى مارسه النظام بشكل خاص عن طريق البوليس السرى ،كلها شكلت نظاما يمتلك خصائص الفاشية

Digitized by Birzeit University Library

التي عرفها جيورجي ديمتروف بأنها ،اى الفاشية ،في السلطة هي الديكتاتورية الارهابية لاكثر عناصر رأس المال المالي رجعية وشوفينية وامبريالية" (٣٩) ٠وان "الموديل" التشيلي لا يشكل انحرافا عن "الموديل" الالماني للفاشية ،لان الطغمة المالية المحلية "اصبحت عنصرا من نظام الاستغلال الامبريالي ،حينما تتحول الامبريالية فيه الى "عامل محلي" بشكل متزايد كما هو الحال في بلدان عديدة من امريكا اللاتينية٠وهكذا ،فان قاعدة طبقية جديدة من رأس المال الاحتكارى الامبريالي (ممثلة بالشركات فوق القومية) وطبقة رأس المال المحلي غدت قاعدة لهذا النظام ٠" (٤٠)

وفي السنوات السبع الاولى من النظام الفاشي ،تزايد الدين التشيلي للخارج (للعالم الرأسمالي) حتى بلغ ٨ر٥ بليونا من الدولارات ،وبمعنى آخر فان الاعتماد المالي على العالم الرأسمالي يتزايـــد ٠

وعلى أية حال ،ففي الوقت الذى "تحاول فيه الفاشية الغاء التناقضات في المعسكر البرجوازى فانها تجعلها اكثر حدة" (٤١) وفي تشيلي ،فان تلك القطاعات التي كانت لا تثق بجبهة الوحدة الشعبية وقامت بدعم الانقلاب الفاشي بمجرد وقوعه رأت ان ديكتاتورية بينوشيت ليس لها اية نية على ان تأخذ مصالحهم بعين الاعتبار بل على العكس٠فان هذه الديكتاتورية قامت بتدمير القطاعات الوسطى من الشعب ،وساعدت على تمركز رأس المال والقوة الاقتصادية بأيدة القلةوعلى سبيل المثال ،فان ما حدث لمالكي وسائل الشحن الكبيرة ،الذين اشتهروا على نطاق عالمي بدورهم الفعال في الانقلاب على حكومة اليندى عن طريق اضرابهم الشهير الذى وضع البلاد في ازمة حادة ، لا يمكن روٴيته على أنه مجرد حادث اجتماعي شاذ ٠ لقد عانى اصحاب هذه الوسائط خسائر مادية جدية نتيجة للسياسة الاقتصادية التي يتبعها النظام العسكرى ٠

" لقد وصلت الامور درجة من الحدة أدت الى ان يقوم ليون فيلارين ،رئيس اتحاد مالكي وسائط الشحن ، Association of Truck Owners ، والمنظم الرئيسي للاضراب المعادى لحكومة اليندى والذى سرّع باستلام الطغمة العسكرية للسلطة ،بتصريح جاء فيه : "ان البطالة بين مالكي وسائط الشحن قد اصابت ٣٠٪ من اعضاء اتحادنا ٠ ان آلافا عديدة منهم ليس لها اى عمل على الاطلاق٠وان اتحاد العمال هو في وضع سيٴ ٠ واذا سوٴلت لان اصف النظام ،فانني سأقول اننا نعيش تحت سلطة ديكتاتورية اقتصادية ـ ادارية تمارسها حفنة من المدنيين المدعومين من القوات المسلحة ٠" (٤٢)

ان تطبيق ديكتاتورية بينوشيت تطلبت تعذيبا جسديا وايديولوجيا ضد المعارضة للنظام٠ ولقد كان حيويا للنظام ،من أجل ان يقوم بعكس اتجاه عملية التحولات الاشتراكية بمجملها ولفرض آلية جديدة للحكم ، ان يغرس الارهاب الذى يمكن ان يسلب الجماهير مكاسبها ٠

هناك تقديرات مختلفة لعدد الذين اعدموا على اية حال٠ فان الاعداد ليست قليلة، وطبقا لحسابات السفارة الامريكية التي كانت سرية في وقتها ،فان (٥٠٠٠) شخص اعدموا في الشهرين الاوليين بعد الانقلاب ٠ أما هارولد ايدلستمان سفير السويد في تشيلي فيعتقد ان

Digitized by Birzeit University Library

الرقم بلغ (١٥٠٠) شخص (٤٣) وغادر (٧٠٠٠) يساري البلاد بما في ذلك غالبية قادة جبهة الوحدة الشعبية وقامت الشرطة السرية المركزية (DINA) والتي تأسست بفضل المساعدة الفنية من قبل حكومة الولايات المتحدة، بتصفية (١٠٠٠) شخص طبقا للتقديرات المتواضعة للكنيسة الكاثوليكية، وان حوالي ثلثي من جثث هؤلاء قد "اختفت" (٤٤).

وفي الجبهة الايديولوجية، بعد الانقلاب، فقد استبدلت الطغمة العسكرية كل مسؤولي الجامعات بضباط متقاعدين او في الخدمة، وطردت (٢٠٠٠) شخص من اعضاء الهيئة التدريسية، ٢٢٪ منهم من جامعة تشيلي. كما طرد (٢٠٠٠٠) طالب من الجامعات. وحظرت المحاضرات في فروع كاملة من العلوم الاجتماعية. واحرقت الكتب والمجلات في الشوارع في "حفلات" نار ضخمة. واستبدلت الكتب المدرسية بكتب تؤكد على مجد القادة الديكتاتوريين الاوائل للامة. واعيدت تسمية الشوارع والبنايات والميادين ...الخ. (٤٥).

المعارضة السياسية والدينيـــة :

ربما تكون اكثر الظواهر المثيرة في تاريخ تشيلي في السنوات العشر الماضية هو ان اناسا من مشارب سياسية مختلفة يسيرون في المظاهرات سوية، لقد تناسوا عداواتهم القديمة والمرة. ونحن نعتقد ان نظام بينوشيت السياسي والاقتصادي قد أوجد الاسس الموضوعية لقيام تحالف لقطاعات واسعة من السكان في مجرى النضال ضد الفاشية، من الطبقة العاملة الى مجموعات فردية من البرجوازية التي تضررت مصالحها بسبب هيمنة النظام.

في اليوم الذى تلى الانقلاب اى في ١٩٧٣/٩/١٢، نشرت اقلية من الحزب الديمقراطي المسيحي بيانا وزع على نطاق ضيق واصفة فيه الانقلاب العسكرى بأنه تدمير الديمقراطية التشيلية (٤٦). في حين ان الحزب الديمقراطي المسيحي تطلع الى استراتيجية الانتظار. اى انتظار ان تقوم الطغمة العسكرية بتصفية سلطة وقوة حكومة الوحدة الشعبية والمنظمات اليسارية ذات الجذور العميقة في تشيلي، متوقعة ان السلطة ستسلم الى ادواردو فرى، زعيم الحزب، بعد سنة او سنتين من الانقلاب.

اما الكنيسة الكاثوليكية، التي اضافت زعامتها الزيت على النار المعادية لحكومة الوحدة الشعبية ببيان حاد عارضت فيه الاصلاحات التعليمية التي طبقتها حكومة اليندى قبل اشهر قليلة من الانقلاب، ابدت الولاء واعطت الشرعية لنظام بينوشيت بأن استمرت في احتفالاتها الدينية في الكاتدرائية الوطنية للاحتفال بيوم استقلال تشيلي في ١٨ / ايلول. وقد حضر بينوشيت الاحتفال بكل الشرف اللائق برئيس الدولة.

في القسم السابق عرضنا التعذيب السياسي والايديولوجي الذى تعرضت له منظمات واحزاب اليسار على ايدى الطغمة العسكرية. ولذلك فاننا نعتقد ان هذه المنظمات كانت في وضع من الاختلال لا تحسد عليه. وظروف كهذه جعلت احزاب اليسار عموما تستغل معظم طاقتها للمحافظة على بقائها وقررت ان تصرف كل ما تبقى من طاقتها لاعادة بناء اتحاد

Digitized by Birzeit University Library

نقابات العمال مستفيدة من غموض معين من طريقة معاملة الطغمة العسكرية للنقابات.لقد بر الحكام العسكريون هجومهم على القادة النقابيين كجزء من حملة "تنظيف"البلد من الاحزاب اليسارية . وليس هجوما على النقابات بحد ذاتها .

ولقد اصبح من الممكن مع ظهور مرسوم قانون رقم (١٩٨) الذى نشر في عام ١٩٧٣. اعادة تنظيم "اتحادات المصانع" والاتحادات القومية الفيدرالية التي سمح لها المرسوم بالوجود . ان اتحادات النقابات ،بالعكس تماما مما حصل للاحزاب اليسارية ،حافظت على ٥٠٪ – ٧٥ ٪ من قيادتها التي كانت قائمة قبل الانقلاب (٤٧) . ولذلك اصبحت النقابات المنظمات الوحيدة الحية التي يسيطر عليها اليساريون وسمح لها بالعمل على مستوى الجـــــذور .

في الوقت نفسه ،فان الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ،بزعامة كاردينال سانتياغو راؤول سيلفا هينريكيوز ،برزت الى السطح بقوة يافعة .

وقد اتبعت اغلبية من مؤتمر اساقفة تشيلي الكاردينال سيلفا في قيادته عبر العمر الطويل للمقاومة والمعارضة المتزايدة.واظهر البروتستانت ورجال الدين اليهود تعاونا تركز على المساعدة الانسانية للالاف من اقرباء السجناء السياسيين والمقيمين في المنفى.ونتيجة لهذا التعاون تشكلت "اللجنة من اجل التعاون والسلام "بعد شهر واحد من الانقلاب حيث ظهرت فيها ثلاث فئات متميزة : رجال الدين والنشيطون الذين كانوا يسعون وراء منفذ لمعارضتهم للنظام ،والناس الذين عانوا شخصيا خسارات في افراد عائلاتهم .بما في ذلك المتعاطفون مع الوحدة الشعبية او اعضاء الاحزاب اليسارية والديمقراطيون المسيحيون الذين عارضوا الانقلاب .وهكذا وقفت الكنيسة الكاثوليكية الى جانب الشعب "لقد حددت نفسها على انها من ضحايا الفاشية وان لها دورا مهما كي تلعبه في مستقبل الامة" (٤٨).وهناك اى في اللجنة ،وفي اثناء العمل المشترك للشيوعيين والاشتراكيين والديمقراطيين المسيحيين والكهنة والراهبات من اجل الحقوق الانسانية ،كانت بداية المصالحة السياسية التي تم التعبير عنها بقوة في الائتلاف الاحتجاجي في عام ١٩٨٣ . واعلنت "اللجنة من اجل التعاون والسلام" "معارضتها الاخلاقية" للحكومة في ابريل من عام ١٩٧٤ في تصريح سمي" وطن الاخوة" وفي عام ١٩٧٦ تحولت "اللجنة من اجل التعاون والسلام" الى "لجنة التضامـــن ".

ان تأثير هذه اللجان كان في اتجاهين . ويقول احد الكهنة الذين عملوا فيها لمدة خمس سنوات "لقد كسرت هذه اللجان التحامل من كلا الجانبين ، بما في ذلك تحاملي الشخصي"وكان بذلك يشير الى عدائه السابق للشيوعية ولحكومة اليندى .(٤٩)

"لقد كانت اللجنة العشاء الرباني لملاقاة اليسار بالكنيسة . ان الملحدين بدأوا يرون في الكنيسة منزلهم حيث يستطيعون ان يجتمعوا ويعملوا . اما الكنيسة فقد بدأت ترى عملها خدمة اكثر منه دعوة للهداية ." (٥٠)

Digitized by Birzeit University Library

وهكذا اصبحت منظمات الكنيسة تعرف بأنها "مظلات" ،ابتداء من مطابخ الحساء وانتهاء بـ"اكاديمية الانسانية المسيحية" التي استها الكنيسة كرد فعل على "التطهير" الذى قامت به الطغمة العسكرية للمعاهد والجامعات حين طردت اساتذة الجامعات في عام ١٩٧٦.

ومع مرور الوقت ،اصبحت النقابات العمالية الشيوعية وتلك التي يسيطر عليها الديمقراطيون المسيحيون(المعادية للشيوعية) ،التركيز الاستراتيجي الثاني لاهتمام الكنيسة. وهكذا ففي السنوات الحالكة من الديكتاتورية العسكرية ،ولدت علاقة عمل قريبة جدا بين الكنيسة واليسار

والتحمت هذه العلاقة بالمصلحة المشتركة في الحقوق الانسانية وسند الحركة العمالية ـ "لقد كانت مصادفة ذات معنى والتي كان اثرها الرئيسي تركيز جهود المعارضة وضمان بقائها في قوة الاتحادات النقابية العمالية ـ المحرك الرئيسي الذى سيحقق الاختراق من المقاومة السلبية الى المعارضة الجماهيرية المكشوفة ".(٥١)

اما الحزب الديمقراطي المسيحي فقد انتقل الى المعارضةالكاملة والصريحة للطغمة العسكرية بعد انتخابات الحزب شبة السرية في كانون اول من عام ١٩٧٦ ،حين انتخب وزير المالية السابق اندريةزالديفار كرئيس للحزب . وبالرغم من كونه ممثلا لليمين الوسط في الحزب ، فقد جلب انتخابه طاقة جديدة ومعارضة شخصية حازمة لبينوشيت .وبدأ رئيس الحزب باعادة تفعيل منظمات الحزب مما ادى الى الحظر الذى فرضته الطغمةالعسكرية على الحزب ونشاطاته . وفي عام ١٩٨٠ طرد زالديفار الى المنفى بالقوة.وقد اظهر حزبه عدم مقدرة على تعبئة احتجاج ناجح ضد طرد زعيمه.ان جناح يمين الوسط في الحزب الديمقراطي المسيحي قد انتقل الى "معارضة موالية" جبانة لتكييف انفسهم مع ما توقعوه من استمرار حكم بينوشيت الى تسع سنوات جديـــــدة . (٥٢).

على اية حال ، ومع حلول كساد عام ١٩٨٣.فقد اعتقل قائد اتحاد عمال النحاس رودولفو سيكويل لعدة ايام لدورة النشيط في اضراب عمال النحاس.والدعم الشعبي الذى حظي به رودولفو كان قويا . ان اعتقادنا هو ان الحزب الديمقراطي المسيحي يستعيد قوة جديدة .ورودلفو نفسه كان قد انتخب كزعيم لاتحاد عمال النحاس في نيسان من عام ١٩٨٣ في مؤتمر قومي عقد في مركز الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في بونتادى تراكا على الساحل. وصوت المؤتمر الذى يمثل (٢٢) الفا من اعضاء اتحاد عمال النحاس ،بالمصادقة على وثيقة قدمت من قبل منجم السلفادور والتي دعت الى اضراب قومي قاده عمال مناجم النحاس في ١١ ايار من نفس السنة (٥٣) .في الوثيقة ،التى عرفت بـ"عهد السلفادور" ،اعلن عمال المناجم

" نحن القادة بدأنا ندرك بشكل حازم وقطعي ان مشكلتنا لا تتمثل في زيادة قانون او في الغاء قانون ،وليست هذا التعديل او ذاك ،ولكنها اكثر عمقا : انها كل النظام الاقتصادى والاجتماعي والثقافي والسياسي الذى يطوقنا ويقمعنا . والذى يتعارض مع طبيعة الشعب التشيلي والعمال ،هذا النظام الذى حاول خنقنا باسلحة من الخوف والقهر في

Digitized by Birzeit University Library

محاولة لتطويقنا اكثر ... لقد وصلنا اللحظة التي يجب ان نقف فيها ونصرخ: باستا!" (٥٤) اوقفوا الفاشية !! ومن الواضح كيف ان الحركة اصبحت اكثر راديكالية وشمولية في معارضتها.

وانتظمت الاحزاب اليسارية في اوسع تحالف شعبي يضم الشيوعيين والاشتراكيين والحركة الثورية اليسارية وحزب مابو للعمال والفلاحين ،وهو التحالف المعروف باسم "الحركة الشعبية الديمقراطيـــــــة".

ان قوة المعارضة هذه لا يمكن تجاهلها من قبل الحكومة التي تدرك حاجتها لتوسيع القاعدة الاجتماعية التي تؤيدها .ولقد بذلت الطغمة العسكرية جهدا خاصا لمساعدة مالكي الارض الصغار في الحصول على حقوق ملكية رسمية لحيازاتهم . ولقد سويت اكثر من (٣٥) الف حالة تتضمن ملكية الارض لصالح الناس الذين يكدون ويعيشون عليها . لقد صرح بينوشيت نفسه قائلا : "اود ان اكرر القول ان هذه الحكومة تخلق مالكين وليس بروليتاريا." (٥٥) لا نعرف الى اى حد يمكن ان تمضي الحكومة في هذا الاتجاه ،اتجاه توسيع القاعدة الاجتماعية لها ، ولكن بداية هذا العام لا تشير الى هامش كبير للمناورة امامها .

الخلاصـــــــة

ان تجربة تشيلي "للسوق الحر" ولنظام سياسي ديكتاتوري قد درست في هذا البحث من خلال التغييرات السياسية والاقتصادية التي حدثت خلال عشر سنوات من الديكتاتورية. وعلى ضو هذه التجربة يمكن تلخيص ما يلي :

أولا : انه من الصحيح تماما القول بأن الحرية الاقتصادية لا يمكن فصلها عن الحرية السياسية وتحتفظ الحرية الاقتصادية بكونها الاساس والاول في تقرير غيرها من الحريات وان هناك علاقة جدلية بين الاولى والثانية.وفي ضوء هذا ،فان التجربة التشيلية قداكدت ان "الحرية"الاقتصادية في ظل "السوق الحر" اى النظام الرأسمالي ،ليست حرية ،ولكنها تخلق الاساس لتمايز طبقي حاد في المجتمع وتدمر اكثر وأكثر تلك الطبقات والشرائح الاجتماعية الوسطـــى .

ثانيا ان السياسات الاقتصادية للطغمة العسكرية (في تشيلي) هي سياسات تخلق اختلال التوازن في السوق الرأسمالي ،كما انها على الاغلب تخلق فوضى اقتصادية وخصوصا في سوق الانتاج ،كما انها ستؤدي الى انهيار سوق العمـــــل .

ثالثا : ان الموديل الاقتصادى للطغمة العسكرية في تشيلي تطلب حربا ارهابية على المستوى السياسي والايديولوجـــــي .

رابعا : ان التغيرات الهيكلية الاقتصادية الناتجة قد خلقت الشروط الافضل لنشوء طغمة مالية (اوليغاركية) وسرعت عملية تمركز رأس المال والثروة .

خامسا : نستطيع ، بدون تحفظ،ان نصف النظام القائم في تشيلي بأنه نظام فاشي يعتمد على التحالف بين رأس المال الاحتكارى الامبريالي (ممثلا بالشركات فوق القومية) الطغمة المالية المحلية (الاوليغاركية) والفاشية تبرز الى الحد الاقصى وظيفة القهر

Digitized by Birzeit University Library

الطبقي بواسطة جهاز الدولة كله لصالح الامبريالية والطغمة المالية المحلية بالاضافة الى وضع آلية الادارة الاقتصادية في متناولهم .

وهذا ما اشار اليه رئيس بنك تشيلي المركزي الفارو باردون في تصريح له قال فيه "ان المجموعات الخاصة هي نتاج ديناميكية النظام ،ولذلك فهي بالضرورة مناسبة له ".(٥٦)

سادسا : ليس هناك بديل للقوى الديمقراطية في تشيلي من ان تضع حدا للفاشية ،وهذه مهمة مستحيلة بدون انهاء سيطرة رأس المال المالي والسيطرة الامبريالية . ان النجاح في هذا النضال يمكن انجازه فقط من خلال اتفاق واسع بين مختلف الطبقات والشرائح الاجتماعية ذات المصلحة ابتداء من الطبقة العاملة التشيلية الى شرائح من البرجوازية الصغيرة لانهم جميعا يعانون من هيمنة الامبريالية الاجنبية والطغمة المالية المحلية..

سابعا : ان قلب التحالف المعادي للفاشية والاحتكارات الاجنبية والمحلية هو الطبقة العاملة وبشكل خاص هنا الاتحادات النقابية للعمال التشيليين .وفي واقع تشيلي ،فان غالبية الناس المعادين للاحتكار والفاشية يتطورون الان الى ائتلاف اجتماعي يتعهد بالولاء لنفس المصالح الحيوية والمثل الاجتماعية التي تؤمن بها الطبقة العاملة ،وهكذا ،فان الاستنتاج الهام هو ان هذه الغالبية تفسح المجال بشكل مباشر نحو تحولات اشتراكية عند انتصارها .ولكن هذا لا يشكل شرطا لقيام تحالف سياسي ضد الفاشية في تشيلي.

ثامنا : من السخف اعطاء الثقة للفاشية من قبل مؤيديها .ان الارهاب الفاشي يبدأ ضد المنظمات اليسارية ،ولكنه في النهاية يصيب تلك القوى التي ساعدت على تعبئة الفاشية وتحريكها . لا يمكن التسامح مع الفاشية لانها خطـــــرة.

تاسعا : هناك غموض في المؤسسة العسكرية التشيلية .انها ليست مؤسسة متوافقة Monolithic انها هي ايضا مؤلفة من الطبقات التي تشكل المجتمع التشيلي بشكل عام . ان غالبية الضباط ذوي الرتب العالية جاءت من الطبقات الاعلى ومن اعلى العائلات التي تنتمي الى الطبقات الوسطى .وغالبية الضباط ذوو الرتب المتوسطة جاءت على الاغلب من الطبقات الوسطى ،وغالبية الضباط ذوو الرتب السفلى والجنود والبحارة تنتمي الى الطبقة العاملة الصناعية والفلاحين وللاسف لم نستطع ان نجد اية معلومات تؤكد هذا التقسيم لانه لم تتوفر اية دراسات عن تركيب هذه المؤسسة . ولكن امثلة قليلة تتوفر عن الغموض الذي يكتنف هذه المؤسسة . احد الامثلة هوانه بعد وقت قصير من الانقلاب العسكري غير الناجح ضد حكومة الليندي في ٢٩ حزيران من عام ١٩٧٠ ،قامت مجموعة من الضباط ذوو الرتب العالية في المدينة الجنوبية فالديفيا بالتحضير لانقلاب آخر ضد الحكومة . ولكن هؤلاء الضباط واجهتهم معارضة من عناصر الجيـــــش وبالنهاية ادينوا من قبل ضباط ذوي رتب سفلى وجنود ايضا . وايضا ، في هذه الايام فانه من العادي جدا ان يرى المرء ابتسامات الموافقة على وجوه الجنود عندما يهتف اليساريون "ايها الصديق الجندي ان الشعب معك".(٥٧) ان هذه الحوادث لربما تؤثر على الولاء النهائي للقوات المسلحة .

Digitized by Birzeit University Library

انه يجب الاستنتاج ،بالرغم من كل شيء ، بأن المؤسسة العسكرية في تشيلي لا يمكن اخذها على انهامحايدة ،كما انه لا يمكن ان نتوقع انها ستتصرف كمؤسسة موحدة. ان مثال "ثورة القرنفل " الذى حدث في البرتغال عام ١٩٧٤ ضد الديكتاتورية هناك، قد يكرر نفسه ،مع التغيرات الملائمة ،ليناسب تشيلي التي تعيش ثمانينات هذا القرن.

المراجـــــع

[37]Volk, pp. 5-6.

[38]The full text of the constitution is printed in Chile-America, Nos. 66-67 (1980):39, 63.

[39]Georgi Dimitrov, The Fascist Offensive and the Tasks of the Communist International in the Struggle of the Working Class Against Fascism (Sofia: Foreign Language Press, 1967), p. 562.

[40]Julieta Campusano, "The Latin American Proletariat and Its Allies in the Anti-Imperialist Struggle," World Marxist Review 23, No. 8 (Parque 1980):34.

[41]Dimitrov, p. 576.

[42]Hoy, September 13, 1978. Quoted in Campusano, p. 34.

[43]The New York Times, December 11, 1973.

[44]Covert Action in Chile 1963-1973, 94th Congress, 1st SEssion, December 5, 1975, p. 40.

[45]Volk, p. 5.

[46]John Dinges, "The Rise of the Opposition," NACLA: Report on the Americas 17, No. 5 (September/October 1983):16.

[47]Gozalo Farabella, "Labor in Chile Under the Junta, 1973-1979," University of London, Institute of Latin American Studies Working Papers p. 19.

[48]Orlando Millas, "Lessons of A Thousand Days," World Marxist Review 23, No. 9 (September 1980):65.

[49 and 50]Farabella, p. 19.

[51]Ibid., p. 20.

[52]Ibid., p. 22.

[53]Ibid., p. 26.

[54]Ibid.

[55]Chile's Economic Report, No. 147, October 1983, p. 8.

[56]El Mercurio, January 6, 1980, p. 8.

[57]NACLA 7, No. 8 (October 1973):23.

Digitized by Birzeit University Library

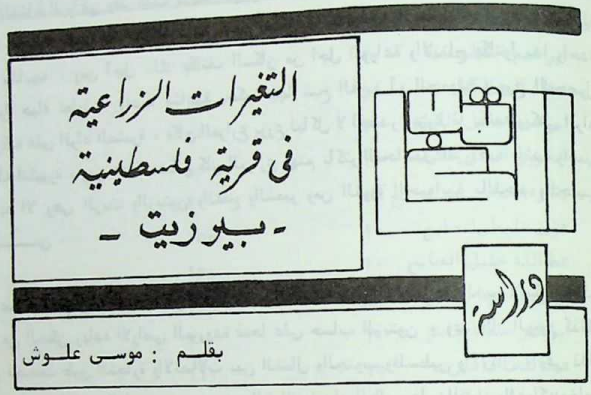

مقدمـــــــة :

القصد من هذه الدراسة رصد التغيرات التي طرأت على الزراعة في بيرزيت بصفتها من المقومات الاقتصادية الرئيسية لحياة الفرد وربط تلك التغيرات بالحقب السياسية المتعاقبة التي عاشتهـــا البلـــــده .

تبلغ أراضي بير زيت ١٩ ألف دونم تشكل الاراضي المشجرة ١٤ ألف دونم نصفها مشجر بالزيتون والنصف الاخر مشجر بالبرقوق والتين والخضروات .

ويرجع تاريخ بيرزيت الزراعي الحديث الى بداية العهد العثماني حيث يشكل ذلك بداية تاريخ القرية في العصر العثماني . ففي ذلك التاريخ (سنة ١٥٩٦) كان عدد سكان بيرزيت ٢٧ عائلة (١٣٥ شخصا) وكانوا يدفعون ضريبة على دخلهم من الغلات الزراعية كمـــا يلـــــي :

زيت	٣٣٠٠ قرشا
قمح	٢٢٥٠ قرشا
شعير	٦٥٠ قرشا
برقوق	٣٠٠ قرشا
مواشي	١٠٠ قرشا

Digitized by Birzeit University Library

ومن الجدول المذكور نلاحظ عدم وجود محصول العنب والتين حيث من المرجح ان هذين المحصولين اشتهرا في بيرزيت في نهاية الحكم العثماني وبالتحديد بعد اتفاق المعازلة بين القيس واليمن . كذلك يلاحظ ان تربية الحيوانات والمواشي كانت تسير باتجاه مواز للنشاط الزراعي وقد ظلت كذلك الى وقت قريب . اما تفسير ذلك فهو أن القرية في بداية تكوينها كانت كلا متكاملا ذات اكتفاء اقتصادى تستهلك ما تنتج في ظروف اقتصادية عامة مشابهه ، ومن أجل ذلك تكاتف السكان من اجل الزراعة والانتاج فكانوا يدا واحدة وعاشوا حياة تعاونية زراعية مشاعية يحكم فيها شيخ القرية أو الحمولة ويوزع المحصول بالقرطلة على افراد العشيرة . فكان المزارع يزرع ليأكل لا ليصدر ويزرع ما يكفيه ويكفي افراد العائلة الكبيرة ، ومن هذا المنطلق كان المزارع يهتم بأكثر المحاصيل الزراعية فائدة واهمية لحياته الا وهي الزيت والزيتون والقمح والشعير ومن الثروة الحيوانية باللحم والحليب واللبـــــن .

غير أنه مع زيادة عدد سكان القرية بمرور السنين أصبح انتاجها من القمح لا يكفيها ولم يكن من الممكن زيادة الاراضي المزروعة قمحا على حساب الزيتون . وقد ظل الوضع كذلك حتى تحسنت طرق التجارة والاتصالات بين الشمال والجنوب وفلسطين والاردن . وفي ذلك الحين أصبح القمح والطحين يرد من مدن الشمال وازداد الطلب على الثمار والفواكه وخاصة التين والعنب فوجد سكان القرية الفرصة مناسبة لذلك فأخذوا يزرعون اشجار التين والعنب بتعمير المناطق الحرجية القريبة من البلدة القديمة ثم المناطق الابعد منها حتى أصبح في بيرزيت كروما واسعة للتين والعنب . واصبحوا يبدلون التين المجفف بالقمح من منطقة نابلس وجنين وحوران وبذلك استطاعوا ان يوفروا المحاصيل الضرورية لهـــم .

وازداد اهتمام السكان بمحصول العنب في نهاية الحكم العثماني وعهد الانتداب فاصبح هذا المحصول يشكل دخلا اساسيا لعدد كبير من السكان . ففي اواخر الحكم العثماني اشتهرت في بيرزيت عدة كروم للعنب منها التاليـــة :

١) كرم عنب ليوسف ربيع (الاول) في منطقة كرم السبيل
٢) كرم لخليـل ابو ناصـــر في خربة الـــراس
٣) كرم لعبدالله سعـــاده في خربة بير زيـــت
٤) كرم لناصر مسلـــــم في اراضي السقـــي
٥) كرم ليوسف ابو يعقـــوب في شعب يونـــس
٦) كرم ليوسف الجمـــل في شعب اسماعيـــل

Digitized by Birzeit University Library

أما في عهد الانتداب فالجدول التالي يقدر دخل عدد كبير من العائلات بالجنيه الفلسطيني من محصـــول العنـــب :

اسم المالك	عدد الدونمـات	الدخل بالجنيه الفلسطينـــي
سلامة يعقوب الكيلة	٣٣	٤٥٠
ابراهيم الكيلـــة	٢٠	٣٠٠
حنا سالم الكيلـــة	١٠	١٥٠
ابراهيم خليل الكيلة	٢٠	٣٠٠
الخورى اسحق الكيلة	١٠	١٥٠
بشاره الصايـــــج	١٥	٢٠٠
عزيز سليمان الصايج	١٠	١٥٠
عطاالله خليل الصايج	١٠	١٥٠
موسى داهود ناصـر	٢٠	٣٠٠
اسكندر صليبا جاسر	٢٠	٣٠٠
عبدالله الياسين	١٥	٢٢٠
خليل سليمان الصايج	١٠	١٥٠
سليم يعقوب زيادة	١٢	١٨٠
محمد رشيـــــد	١٠	١٥٠
فريد وسليمان ناصر	١٠	١٥٠
شحادة بربار واخوته	١٥	٢٢٠
ابراهيـم علـــوش	١٠	١٥٠
سليمان العطارى	٨	١٢٠
خضـر الصالـــح	٨	١٢٠
مصطفى صالح	٨	١٢٠
سلامـة يعقوب زيادة	٨	١٢٠
قاسم محمود	٨	١٢٠
لغوم بربار	٧	١٠٠

وبالرغم من وجود محاصيل اخرى بالاضافة الى العنب الزيتون والقمح والتين الا ان مزارعي القرية كانوا عاجزين عن دفع الضرائب لسلطات الانتداب وينتهزون الفرص لتقديم تظلمهم وعدم رضاهم عن الضرائب خصوصا في المواسم الرديئة ، حتى انهم كانوا يطالبون العندوب السامي بالغاء المجلس المحلي الذى تأسس سنة ١٩٢٢ ودام حتى سنة ١٩٣٧ من أجل الغاء الضرائب البلدية وقد بلغت الضائقة المالية والاقتصادية أشدها سنة ١٩٣٢ حيث كان الموسم رديئا والحالة تنذر بخطر المجاعـــة .

Digitized by Birzeit University Library

الزراعـة في العهد الاردنـــي :

تعتبر الزراعة في العهد الاردني امتدادا لعهد الانتداب ، فليس هناك مصادر أخرى لدخل اغلبية السكان عدا عن الاغتراب ، وبقي الفلاح على مستوى لا بأس به من العوز والحاجة وعدم القدرة على استغلال جميع الاراضي الممكن استغلالها .

وقد شكل مجلس الاعمار الاردني سنة ١٩٥٠ ، غير ان هذا المجلس زاد وضع الفلاحين سوءا ، حيث تراكمت الديون على المزارعين ، ولم يستطيعوا تسديدها وبالتالي لم ينجح مجلس الاعمار هذا في مساعدة المزارعين ، بسبب ضعف الكادر العامل في المجلس ، وعدم وضوح الصورة لديه الامر الذى زاد من مشاكل المزارعين وعقدهـــا .

وفي هذا العهد بدأ محصول العنب بالتدهور نتيجة اصابة شجرة العنب بمرض فائل وبدأت كروم العنب بالتلاشي ولم يكن بالامكان السيطرة على هذا المرض وقالت دوائر الزراعة في ذلك الوقت ان الاراضي التي حدث فيها المرض يمكن زراعتها بعد سبع سنوات بمحصول جديد . عير أن سكان البلده لم يعيدوا زراعة تلك الاراضي . وحولها قسم من السكان الى زراعة شجرة الزيتون وبقيت بقية الاراضي خرابا حتى الان . وكانت المدة الفاصلة بين بداية المرض وزوال شجرة العنب من بيرزيت ست سنوات من سنة ١٩٥٦ ــ ١٩٦٢ .

شجـــرة التيـــــن :

واستمر اعتناء سكان بيرزيت بشجرة التين من أواخر العهد الاردني حيث بدأوا باهمالها نتيجة انشغالهم بالهجرة والاغتراب والعمل في مرافق اخرى . ولم تنته شجرة التين الى الزوال كالعنب بل بقيت حتى الان بدون عناية او اشراف . وأصبح دخل السكان من التين صغيرا بعد أن كان يشكل المورد الثالث بعد الزيتون والعنـــب .

التطـورات التكنولوجيـــــة :

في النصف الثاني من هذا القرن حدثت تطورات هائلة في حقل الزراعة فيما يتعلق بالآلة المستعملة وبالعلوم الزراعية ، فهناك التراكتورات وهناك الحصادة وهناك المعصرة الحديثة للزيتون ، وهناك الاسمدة والكيماويات وقطف الزيتون بالرش . غير ان الزراعة في بيرزيت لم تتطور ولم تتمشى مع هذه التطورات الحديثة ، فحتى هذه اللحظة لم يبدأ سكان البلدة باستعمال هذه الوسائل لعدة اسباب منها انشغالهم عن الزراعة بأشياء اخرى وارتفاع تكاليف هذه الادوات الحديثة في الزراعة مما يجعل العائق ماديا . وقد ثبت لسكان القرية فشل طريقة قطف الزيتون بالرش.

Digitized by Birzeit University Library

كما أن احدا من سكان البلدة لا يملك حصادة للقمح وأن قليلين منهم يزرعون القمح فيحصدونه ويذرون القمح بالاجرة . وفي السبعينات من هذا القرن اقيمت معصرة حديثة للزيتون ولكنها لا تكفي لبلدة بيرزيت والقرى المجاورة .

اما الرّي بالتنقيط فقد جرت تجربة فردية واحدة في اراضي السقي واعتقد انها تجربة ناجحة لزراعة الخضروات نتمنى قيام مشاريع اخرى كمثلهـــا .

وليس السبب في عدم استعمال التراكتورات الحديثة والالات الزراعية هو عدم ملاءمة الاراضي الزراعية لذلك وانما المشكلة هي في عدم وجود اهتمام بالزراعة ، صحيح أن هناك اراضي بعيدة ، جبلية واودية ومنحدرات ولكن هناك طريقة لمعالجة كل ارض حسب طبيعتها فاستعمال التراكتورات في حراثة واستغلال الاراضي السهلية والقريبة من الطرق العامة يخفف الضغط على الوسائل اليدوية واستعمال الدواب كما ان فتح طرق زراعية سوف يساعد كثيرا في استعمال الوسائـل الحديثـــة .

الايـــدى العاملـــــــة :

في بداية تاريخ القرية الحديث كان سكان بيرزيت عمالا زراعيين ، فالكل يعمل في الارض ويدافع عنها ، فصاحب الارض يعمل بها هو واولاده ولذلك لجأ اهل البلدة الى الاكثار من النسل . ولكن ما حدث في نهاية الحكم العثماني ان السلطة فرضت على السكان التجنيد الاجبارى واستبق الرجال منهم الى العسكرية واصبحت هناك اراضي لا يستطيع اصحابها الاعتناء بها ، وهناك أراضي باعها اصحابها حتي يعفون من الجندية ، وأصبح بالمقابل هناك عدد من سكان القرية يمتلكون اراضي واسعة يحتاجون الى من يساعدهم في الاعتناء بها ومن هنا بدأت الحاجة الى الايدى العاملة ، التي توفرت في القرى المجاورة وهي عطارة وكوبر والمزرعة القبلية وابو شخيدم وابو قش . كما ان عمالا من قرى أبعد نسبيا كانوا يعملون في بيرزيت ومن هذه القرى خربثا بني حارث وترمسعيا . وكان هؤلاء العمال يعملون في حراثة الارض وحصيدة القمح وقطف الزيتون والعمل في البناء .

واستمر هذا الحال حتى سنة ١٩٤٨ حيث تضاعف سكان بيرزيت نتيجة أحداث حرب ١٩٤٨ ، وازدادت الايدى العاملة وازداد الطلب على العمل وحدثت بطالة شديدة كانت عاملا من عوامل الهجرة الى الدول العربية وخصوصا دول الخليج العربـــي .

الزراعـــة فـــي بيرزيـــت فـــي عهـــد الاحتـــلال :

لا شك ان الزراعة في بيرزيت ظلت ضعيفة حتى بداية عهد الاحتلال . فمياه الينابيع والتي كانت مستغلة في رى اشجار الفواكه والخضار التي كانت تعود بالفائدة على السكان قد اهملت . وبدأ تدهور الزراعة مع بداية عهد الاحتلال لعدة اسباب :

Digitized by Birzeit University Library

١) هجرة الكثيرين من سكان البلدة الى الاردن والدول العربية وبلاد المهجر ، من اصحاب الاراضي والمزارع .

٢) تحول نسبة كبيرة من السكان الى العمل بأجر في اسرائيل .

٣) ارتفاع الاجر اليومي للعمال مما يزيد تكاليف العناية بالزراعة .

٤) عدم استعمال الالة بصورة تتناسب مع التطور الزراعي .

وفي بيرزيت توجد عدة مناطق اشتهرت بكونها زراعية خصبة وهذه المناطق هي وادى الزيتون والسقي ووادى الحمام ، والدلوب وفي الجدول التالي يلاحظ عدد الدونمات التي كانت تزرع بالفواكه والخضار حتى عام ١٩٧٧ وعددالدونمات التي كانت تزرع حتى عام ١٩٨٣ .

وادى الزيتون	عام ٧٦ / ٧٧/	عام ٨٢ / ٨٣
فواكه	٧١٩ ر ٤ دونم	ـــــ
خضار	٤٠٢ ر ١ دونم	٤٠٢ ر ١ دونم
أراضي السقي	عام ٧٦ / ٧٧	عام ٨٢ / ٨٣
فواكه	١٦٣ ر ٦ دونم	٩١٤ ر٠ دونم
خضار	٨١٠ ر ٩ دونم	٥٥٨ ر ٣ دونم
وادى الحمام	عام ٧٦ / ٧٧	٨٢ / ٨٣
فواكه	٤٣٦ ر ٤ دونم	٤٣٦ ر ٤ دونم
خضار	ـــــ	ـــــ
الدلوب	٧٦ / ٧٧	٨٢ / ٨٣
خضار	٠٠٠ ر ١ دونم	ـــــ

احيتاجات البلدة الزراعية :

حتى تصبح بيرزيت بلدا زراعيا ويستفيد سكانها من الامكانيات الموجودة فهي بحاجة

Digitized by Birzeit University Library

الى ما يلـــي :

١) قروض فردية من أجل تعمير الاراضي وتجديرها وزراعتهـا .
٢) قروض جماعية من اجل شراء الالات الزراعيـــة .
٣) فتح طرق زراعية لتمكين السيارات من الوصول الى الاماكن الزراعية البعيدة .
٤) حماية الاراضي الزراعية من المواشي والاغنام وتطبيق القوانين الصارمة بهذا الخصوص.
٥) تقديم كل المعلومات الممكنة للمزارعين من أجل انجاح مشاريعهـــم .

المصـــادر :

١) ابراهيـم سالـم علـوش
٢) نجيب عيسـى ياســـر
٣) جورج سلامـة كيلـــه
٤) زيادة يعقوب زيـــادة
٥) المذكرات الشخصية للمختار اديب عرنكي
٦) سجلات الحكومة العثمانية مأخوذ عن بحث للطالب حمدان طه مقدم لدائرة الاثار في جامعة بيرزيـــت .
٧) سجـلات دائرة ضريبة الدخـل فـي رام اللـــه .

Digitized by Birzeit University Library

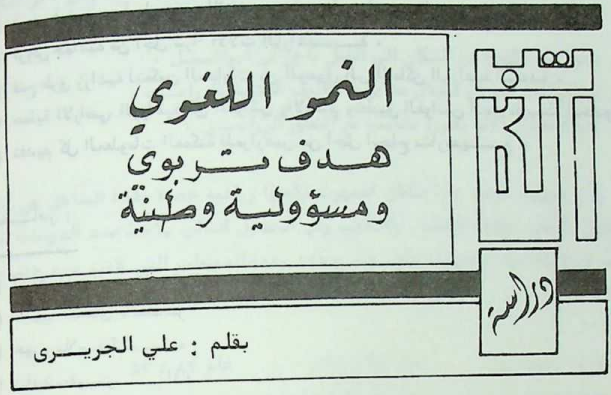

مقدمـــــة

للغة مكان هام ومرمـوق في الدراسات المعاصرة ، خصوصا تلك التي تستند الى المنهج "الديالكتيكي" وفق الفلسفة العلمية الماركسية وتزداد أهمية هذه الدراسات لقلتها بالعربية كالنمو اللغوى وطرق تنميته ، وعلاقة اللغة بالمجتمع والفكر ، وعلاقتها بالتدوين والكتابة ، والالسنية والمادية الجدلية ، والالسنية الحديثة والاتجاه المثالي .

ولست أقصد في هذه الدراسة لنضعها بين ايدى الدارسين للغة فقط، بل للمدرسين والطلبة والمثقفين على حد سواء ، وليسهل على النشء الافادة والاستفادة منها ،في سبيل فهم جديد لقوانين اللغة وتطور قواعدها وعلاقاتها بالمجتمع والفكر وبمنظور منهجي علمي يسلح الدارسين بعناصر جديدة تساهم في تطوير ابحاثنا ولغتنا في هذه المرحلة التاريخية التي تتطلب منا الحفاظ على لغتنا واداتها التعبيرية المتقدمة التي تنسجم مع الفكر وتدفعه بخطوات حثيثة نحو التقدم والنمو .

ولما كان النمو اللغوى يخضع لمجموعة من العوامل والظروف التي تعيق تقدمه وتطوره تبعا لطبيعة الحياة التي يعيشها هذا المجتمع أو ذالك ، كنمط الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والظروف الخاصة والعامة والتي لا مجال لذكرها هنا للمعوقات ذاتها التي تحد من تطور اللغة ونموها النمو اللازم لها ، لذا رأيت الاكتفاء بعرض ما لهذه اللغة من أهمية اجتماعية كونها بحد ذاتها ضرورة اجتماعية تاريخية . ومن خلال هذه العرض يمكن اعتبار ما يتعرض له الواقع الاجتماعي لهذه اللغة من سحق وتشويه في ظروف غير اعتيادية ويمكن قياس تلك المعوقات بالنظر الى مدى توافر مستلزمات النمو اللغوى فعدم توفر أى من تلك المقومات يعني معوقا بحد ذاتـــــه .

Digitized by Birzeit University Library

اللغـــة ضـــرورة اجتماعيـــة :

يجب ان تدرس اللغة ، في اطار العلاقة الوثيقة القائمة بينها وبين المجتمع . ذلك ان اللغة ـ أية لغة ـ معتبرة اليوم حصيلة اجتماعية ، ونتاجا للتاريخ الاجتماعي ولا يوجد في اللغة ما لا يمكن رده بصورة مباشرة او غير مباشرة الى تاريخ المجتمعات الذى تعيش فيـه .

واللغـــة :

"هي احدى الوقائع الاجتماعية الفاعلة والمؤثرة في سياق الوجود الاجتماعي وديمومته كلها فهي تبقى ببقائه وتزول بزواله . وليس ثمة امكان لوجود أية لغة خارج نطاق المجتمع . من هنا لا نستطيع فهم اللغة ، وقوانين تطورها ، الا اذا توجهنا لدراستها من حيث صلتها الوثيقة بتاريخ المجتمع ، أى بتاريخ الشعب الذى تنتسب اليه اللغة موضوع الدراسة والذى ابدعها وتحيا على لسان ابنائـــه "(١)

وتعتبر هذه المقولة حجر الزاوية في الدراسات اللغوية السوفياتية المعاصرة على حد قول الكاتـــب .

ويختلف فقهاء علم اللغة وفقه اللغة في تحديد نمط العلاقة ذلك لان طبيعة الصلات التاريخية بين اللغة والمجتمع تتغير بحسب الاحوال من ظرف الى اخر ، ويمكن ان نتوقف امام نمطين متميزيـــن :

١) ان الظاهرات اللغوية قد ترتبط بالعوامل التاريخية استنادا الى مبدأ علاقة عامة مؤداها أن صفة ظاهرة ما ، أو حدث (تاريخي) تحدد حالة مقابلة في الظاهرة الاخرى ،أو الحدث التاريخي (اللغوى) والتاريخ يقدم لنا نماذج مختلفة من هذا النمط القائم بين طبيعة القاعدة الاجتماعية ،أو البنية التحتية للمجتمع ، وبين طبيعة البنية الفوقية . بحيث أن لكل قاعدة ، أو بنية تحتية ،بناء فوقيا يتغير ، أو يتلاشى في الوقت نفسه لزوال القاعدة . وهذه الصلة ترتكز الى علاقة عامة ، اذ قد يكون من الغريب ، ومن غير الممكن في الواقع ان نتصور وجود مجتمع يقوم على بنية تحتية رأسمالية من جهة وعلى

بنية فوقية اشتراكية من جهة أخرى وليس من شك مثلا أن لغات المجتمعات التي تنتمي الى اسرة المجتمع الابوى ،ألى البطريركي . كانت أكثر بدائية من اللغات المعاصرة المتطـــورة .

ان التعقيد المتعاظم الاساليب الانتاج ، وظهور بنيات اجتماعية واقتصادية جديدة لا يمكن الا أن يؤثر في تطور اللغات .

" ان التطور اللاحق الذى حققه الانتاج ، وظهور الطبقات ، وظهور الكتابة ، ونمو التجارة وتقدم وازدهار الاداب ، اثرت في مجرى تطور اللغة في البلاد السوفييتية ، فبينما

Digitized by Birzeit University Library

كانت القبائل والتجمعات القومية تتجزأ وتتلاشى ، وتتمازج وتتقاطع ظهرت على الاكثر لغات قومية ودول قومية ، أثرت في اللغة وتطورها " (٢)

ان العلاقة العامة المتبادلة بين تطور اللغة وتطور المجتمع تظهر في غنى معجمها ، وتكامل بنيتها الصرفية والنحوية ، دون المساس بالنظام الصوتي لها ، ومن الخطأ الاعتقاد بأن تطور اللغة يتم بالطريقة نفسها التي تتطور بها البنية الفوقية ، اى بهدم ما كان موجودا وباقامة لغة جديدة لم تكن ، فتطور اللغة يكون لا بمعنى هدم اللغة القائمة وتأسيس لغة جديدة مكانها بل بمعنى تطور وتكامل العناصر الاساسية للغة الموجودة ، والانتقال من نوعية لغويةالى نوعية جديدة يتم بتراكم بطيء ، وخلال مرحلة طويلة ، لعناصر من النوعية الجديدة ، من البنية الجديدة للغة ، وبتفتت مطرد ومتزايد لعناصر النوعية القديمة " (٣)

فلا تجد نظاما صوتيا او بنائيا حرفيا نموذجيا للغة العصر الاقطاعي ، والرأسمالي ، أو الاشتراكي والصلة بين الظاهرات اللغوية والوقائع التاريخية لا تعلن عن ذاتها ، بحسب مبدأ العلاقة التبادلية العامة الا بدرجة تطور اللغة تطورا كبيرا أو صغيرا فالمجتمعات الشيوعية ،تمتلك اليوم لغة اكثر تطورابما لا يقاس من لغة عصر العشائر والقبائل . واكثر من تطورها في البلدان الرأسمالية ، ويظهر ذلك في التطور الهائل في الانتاج اللغوى والادبي.

٢) والنمـــط الثانـــــي :

يظهر في علاقة التاريخ باللغة ، والتاريخ بالشعب ، تتحدد بكون اللغة تعكس الصفة النوعية لتاريخ الشعب . ويظهر هذا في تداخل اللغات وهو ما يفسر وجود عدد من المفردات العربية في اللغات الايرانية الراهنة بسبب التأثير العميق الذى مارسه الاسلام والثقافة العربية، كذلك اشتمال اللغات الانكليزية المعاصرة ، على دخيل مختلط من شعوب متعددة ومعظمها من أصل رومانوى بسبب اجتياح النورمان لانكلترا

وعند الحديث عن صلة تاريخ اللغة بتاريخ الشعب يجب ألا يفوتنا انه لا يمكن رد كل ظاهرة لغوية الى مرحلة محددة من حياة الشعب ولا بد من مواجهة الدارس اللغوى لحالتين

أ) امكان رد كل ظاهرة لغوية بسهولة ويسر الى واقعة محسوسة في حياة الشعب وشرحها استنادا الى تلك الواقعـــة .

ب) استحالة رد الظاهرة اللغوية الى أية واقعة حسية في حياة الشعب ، واستحالة تحديد تاريخ بروز الظاهرة . فضلا عن أنها غالبا ما تكون غير محددة بأية واقعة تاريخية دقيقـــة .

Digitized by Birzeit University Library

العوامل الخارجية والعوامل الداخلية لتطور ونمو اللغات

تتحدد التغيرات اللغوية لمؤثرات وعوامل خارجية وفي هذا الصدد يقول ستالين " ان الفلك الذى يدور فيه نشاط اللغة ، والذى يحتضن حقول نشاط الانسان بكاملها ، هو أوسع صدورا بما لا يقاس ، وأكثر تنويعا من الفلك الذى تنشط فيه البنية الفوقية للمجتمع " (٤) بل يمكن القول بأنه يكاد يكون فلكا لا متناهيا ولا محدودا .

ان النمو المطرد للصناعة والزراعة ، والتجارة ، ووسائل النقل والتقنية ، والعلوم ، يفرض على اللغة ان تغني وتثري قاموسها بمفردات وتعابير جديدة يتطلبها هذا النمو والتقدم .

الى جانب العوامل الخارجية تظهر عوامل ومؤثرات داخلية تتجلى في النظام الذى تكونه مواد اللغة التي تفرضها وتحددها طبيعة هذا النظام وخصوصياته .

وتبدأ مع كل هذه العوامل جملة من العوامل الخاصة تقتضيها ظروف خاصة هي الاخرى تختلف من بلد الى آخر ويمكن تحديد تلك العوامل المساهمة في النمو اللغوى .

١) مراعاة الاعتبارات السيكلوجية في النمو اللغوى ومراحل نمو الادراك يدرك فيها "تطور النمو في الشكل واللون والحجم والوزن ، والعدد ، والتذكر، والتعبير، الشفهي والكتابي ونمو الخيـــال " (٥) .
٢) المناهج التعليمية ومدى انسجامها مع التطورات التاريخية والحضارية المتلاحقة .
٣) الاجهزة التربوية ومدى فعاليات وصلاحيات هذه الاجهزة وحرصها على النمو والتطوير.
٤) الحقوق القانونية الدولية والمحلية وطبيعة الانظمة والقوانين ومدى تجاوبها مع معالم التطور والتفسيـــــر .
٥) استقلالية المؤسسات الاكاديمية والمؤسسات التعليميـــة .
٦) اشاعة الثقافة لعامة الشعب واتاحة الحريات اللازمـة لنموهـــا .
٧) المؤسسات الفاعلة ذات الصلات المباشرة والموقف من انشطتها .
٨) النشاط الاعلامي والثقافي اللازم لضمان هذا التطور اللغوى .
٩) ادارات هذه المؤسسات التعليمية ودورها وموقفها "الكلاسيكي" والحضارى .
١٠) مسؤولية الثقافة والاطراف القائمة عليها بعد هذا كله يمكن ان نقيس هل تتوفر هذه العوامل وتساهم ايجابيا في تطور اللغة والنمو اللغوى ام أن ما يجرى هو الاتجاه السلبي ضد توافر وتكامل هذه العوامل واذا كان هذا هو الاحتمال اذا ما هو الحل !

Digitized by Birzeit University Library

اذا كيـف السبيـــل ؟

بالتأكيد لا يفهم القارئ من هذا أنني أدعو الى التسليم بما هو كائن والانسياق مع هذا الوضع حفظا للوظيفة.فلا أعني فيما قدمته ان نقعد حيارى نتفرج على ما يحل بالشيء من السحق والتدمير الثقافي ، بل لا بد من عمل ما أو بديل على الاقل يساهم في مجمل النضال والعمل من أجل الاسراع في الحل الجذرى السالف الذكـــــــر .

وهنا تبرز المهمات الوطنية الصعبة للتقدميين والمخلصين من ابناء هذا الشعب (٦) ضمن برنامج التعليم الشعبي من خلال الدورات الثقافية والنقابية والتأهيلية ،وتتولى مؤسساتنا الجماهيرية والوطنية مسؤولياتها في الثقافة والتربية الوطنية وذلك بتوجيه الطلاب والشباب الى الاندية والجمعيات ولجان العمل التطوعي والمؤسسات والاتحادات والنقابات .وهناك يجب ان يمارسوا حقهم بشجاعة في النشاط والتعبير بحرية عن افكارهم وأرائهـــــم .

ويجب النظر الى المعلمين التقدميين باكبار لدورهم الطليعي الذى يقع على عاتقهم ، وهم يحطمون حواجز واطر التعفن المترسبة في الماضي وأن يبدعوا في هذا المجال حتى ولو أدى بهم هذا الدور المقدس الى الطرد او الفصل كما يجرى سنويا مع العشرات مـــن المدرسين الطليعيين الذين يفصلون من المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة ،فهم يدركون أهمية دورهم كونه يمثل ثورة على التخلف وسياسة التجهيل والقتل الثقافي ،مثلما يرون في سكوتهم ،تآمرا على الكلمة ومشاركة في الجريمـــــة .

ويشارك المعلمين في هذه المهام الصعبة والمعقدة الجماهير الواسعة في القواعـــد الطلابية ولجانها وأطرها واتحاداتها الطليعية ،ويجب تمكينهم من حقهم في الابداع مـــن خلال توفير الوقت والاعداد الثقافي والمهني لممارسة نشاطاتهم بجرأة وشجاعة وهم قادرون على الابداع لذا يجب تعزيز دورهم ومكانتهم لما يتحلون به من شجاعة وجرأة ولو أدى بهم الامر الى مواجهة الحراب القاتلة بصدورهم ،لان سكوتهم يعني بالنسبة لهم قبو لا بالهزيمة الذليلة والضياع الثقافي .

وعلى الاهل تقع مسؤوليات جسيمة وتتمثل في الاخذ بايدى ابنائهم وتشجيعهم فـــي نشاطاتهم اللاصفية والدفاع عن امالهم وتطلعاتهم ذلك حقهم في تنشأتهم التنشئة اللازمة والحفاظ عليهم من الضياع والارتماء في احضان العالـــم السفلـــــي .

وعند تظافر الجهود يكون العمل الخلاق ، وبعدالاستقلال تبدأ مسؤولية الدولة الوطنية وأجهزتها الثقافية والتربوية.وقد يتسائل البعض لماذا هذا الربط بين الثقافة والنمو اللغوى ، ان العلاقة بينهما "ديالكتيكية" فلا يمكن ان نتصور نموا لغويا بدون ثقافة متقدمة ،واللغـــة انعكاس عن الثقافة ووسيلة لنقل التراث الثقافي والفكرى والانساني وتطويره ، وأداة هذه

Digitized by Birzeit University Library

الثقافة اللغة ولا يمكن ان ترى لغة قوية لشعب متخلف يرتد الى الوعي السفلي أو يرتبط بمخلفات الماضي البالي وهكذا نجد ان اللغة نتاج حضارة المجتمع وثقافته ، وقد يكون من المفيد ان نفرد لهذه المسألة بابا مستقلا في غير هذه الدراسة .

النمو اللغوى والنشاط اللا صفي

نقصد بالنشاط اللغوى الوانا متنوعة من الممارسات العملية للغلة ،يقوم بها الطلاب يتدربون فيها على استعمال اللغة نطقا وكتابة ،ويستخدمونها استخداما موجها ناجحا في المواقف الحيوية الطبيعية . التي تتطلب الحديث والاستماع ، والقراءة والتعبير بكافة أشكاله عن الافكار الكامنة في نفس الفرد بحرية ، وحماية هذا الحق الانساني العالمي بشكل عام ، ولتوضيح ذلك لا بد من التفريق بين ممارسة هذا النشاط وهذا الحق في مجال الحصة الصفية والانشطة اللا صفية .

١) مجال الدرس يخضع لكثير من القيود من قيود الادارة والتعليمات السلطوية وتهديد المدرس اذا ما خرج عما هو موجود بين أسطر الكتاب والامر الذى يحول دون تفعيل استخدام اللغة بفعالية بينما يوفر النشاط اللاصفي حرية التعبير والتفكير والانطلاق ، مما يوفر الظروف الملائمة للابداع .

٢) في مجال الدرس يمارس الطلاب اللغة فيما يخدم الحصة بينما لا يمكن استخدامها في دائرتها الوظيفية بفعالية الا في النشاط اللا صفي .

٣) يتجه مجال التدريس غالبا الى طبع التلاميذ بطابع واحد يحدده المنهج ،وفي النشاط اللاصفي فرصا لا حدود لها لاشباع الميول الخاصة ،وابراز المواهب الفردية وتعهدها .

٤) يمارس الطلاب اللغة خارج الصف بصدور منشرحة ونفسية هادئة ومرتاحة دون قلق او خوف ،بعيدا عن الضجر والملل والنفور كما في حصة الدرس .

٥) تهيء الانشطة اللاصفية الفرص اللازمة لتكوين الشخصية عندالطالب واعداده للحياة ليتكيف مع مستجداتها وتطوراتها المتلاحقة .

٦) يمكن تحقيق اهداف لغوية عديدة من النشاط اللاصفي وأبرزها . (٧)

أ) تمكين الطلاب من الانتفاع عمليا في مجالات التعبير الوظيفي ،الابداعي عن طريق الحديث والحوار ،والنقاش ،والتعبير بحرية ،في المناظرات والاجتماعات والندوات والمحاضرات والصحافة المدرسية .

ب) تتبع المتغيرات الثقافية والمعارف الانسانية عن طريق اتاحة الامكانات اللازمة للمطالعة .

ج) تقوية شخصية الطلاب وتربيتهم تربية خلقية واجتماعية ،واعدادهم للمواقف الحيوية التي تتطلب القيادة ،والزعامة ،واحترام رأى الجماعة ،عن طريق التمثيل والمحاضرات والندوات والحفلات .

Digitized by Birzeit University Library

د) رسم الخطط والدراسات اللازمة لتنفيذ اقامة مخيمات عمل تطوعي صيفية في اوقات العطـــل والفـــراغ .

هـ) معالجة الاوضاع الخاصة لبعض الطلاب المنطوين أو المنعزلين والذين يغلب عليهم الخجـل والارتبـــاك .

ان ما تقدم يحتاج الى تظافر الجهود والتعاون المشترك لتحقيقـه .

طرق وأساليب مقترحـــة للنمـو اللغـــوى

هناك العديد من الطرق والاساليب العلمية والمدروسة ، التي يمكن بواسطتها رفع النمو اللغوى . كما يمكن للانسان ان يبدع العديد من الطرق ،ففي البلدان التقدمية (٨) تقوم الدولة بالتخطيط لهذه الانشطة لمختلف مراحل التعليم ، لان التربية فيها من مسؤولية الحزب والدولة (٩) ،وفي ظل ظرف غياب الدولة ،كما في بلادنا أو في ظل اوضاع رجعية متردية وأجهزة تربوية صدئة ، يمكن الاستعانة باحد الاشكال التاليـــة .

١) الاذاعة المدرسيـــة : ويجب ان نحرص قدر الامكان على التنظيم الفني والتنوعين المعرفي والثقافـــي في برامجهـــا .

٢) الصحافة المدرسية : بمختلف اشكالها الجدارية والمطبوعـــة .

٣) المكتبات : المدرسية ،والبيتية ،ومكتبات المؤسســـات .

٤) النشاطات الثقافية : ندوات محاضرات ،مناظرات، مسابقات .

٥) الكلمات الصباحية والاشعار والخواطر .

٦) اقامة الرحلات والمعسكرات أو المخيمات الصيفيـــة .

٧) اقامة الحفلات واللقاءات الهادفة والموجهـــة .

٨) المشاركة في الاجتماعات والمهرجانات والمؤتمرات الشبابيةالمحلية والدوليـــة .

٩) اقامة المعارض الفنية ومعارض الكتب واللوحـــات .

وعلينا ان نراعي جملة من الشروط في مثل هذه الاساليب .

- ان تراعى مستوىالطلاب .
- ان تنسجم مع الاحداث والواقع والمتغيراتوالتطورات المستجدة .
- ان تكسب الطلاب معارف جديدة .
- ان تضمن مشاركة فاعلة من قبل الطلاب .
- ان تخلق الحوافز وتثير الهمم عند الطـــلاب .
- ان تهيء الظروف لانضاج الملكات وجو تكيف اجتماعي انساني افضـــل .
- ان تزرع القيم النبيلة ، كالدفاع عن الحقوق وحمايتها والتعاون والتسامح والعطاء والنبل والاقدام والعـــزة .
- ان تضمن حق الطالب فيالتعبير بحريـــة مطلقـــة .
- ان تكسب الطلاب الجرأة الادبية والشخصية القويـــة .

Digitized by Birzeit University Library

يجب ان نأخذ بعين الاعتبار وقبل ان نشرع في ممارسة هذه الانشطة ،الحفاظ على خط تقدمي صاعد يأخذ بالحسبان مراحل الصراع ،وتطورات الحياة ،بحيث تساهم في تقدم الفرد الذى يصنع مع أقرانه المجتمع المتقدم .وفي مقدمة هذه الاعتبارات .

١) عدم السماح لسيطرة الافكار المهترئة الرجعية التي تخدم سياسات المحتلين أو السلطات الرجعية .لاننا ان سمحنا بذلك نكن كمن يزرع الامراض في جسم المريض لا ليعالجها بل ليزيدها مرضا والتخلص منهـــا .

٢) حماية حق الفرد في التعبير والدفاع عن هذا الحق بمختلف الاشكال القانونية والطبيعية

٣) استغلال الفرص المناسبة لتحقيق الاهداف السابقة .

٤) اختيار أفضل الاشكال وأبسطها تنفيذا في الحالات التي لا يمكن بها انجاز شكل معين .

٥) استخلاص النتائج بعد كل عمل وذلك بتقييمه ونقده والاخذ بجوانب الابداع والاستفادة من الاخطاء وتجنبها في الانشطة اللاحقـــة .

٦) الحرص على التخطيط والعمـل الجماعـي وتجنب الفرديـــة .

وختاما فان هذه المسائل تحتاج الى أكثر من دراسة واحدة أو بحث فكل شكل من الاشكال السابقة يمكن ان يشكل بحد ذاته موضوعا متكاملا للدراسة آخذين بعين الاعتبار مسائل الانتقال الحضارى وعملية التطور المتلاحقة وفق أسس علمية ومناهج تقدميـــة .

المراجـــع :

١) حول الماركسية في علم اللغة ستالين منشورات وكالة نوفستي ص ٢٨

٢) دراسات لغوية في ضوء الماركسية دار الاسوار عكا ـ ترجمة د . ميشال عاصي ص ٩

٣) حول الماركسية في علم اللغة ستالين منشورات وكالة نوفستي ص ٣٣ .

٤) دراسات لغوية في ضوء الماركسية دار الاسوار عكا ترجمة د . ميشال عاصي ص ١٣ .

٥) الاسس النفسية للنو : د . فؤاد السيد ـ دار الفكر العربي ط ٤ سنة ١٩٧٥ م الصحفات ١٣٧ ـ ١٦٢ .

٦) التعليم الشعبي : لينين

٧) الموجه الفني : عبد العليم ابراهيم ص ٣٩٨.

٨) طبقة مميزة : دار التقدم ـ موسكو

٩) مراحل النمو التربوى د . فوزية ذيـاب .

Digitized by Birzeit University Library

الحلقة الرابعة

بكائيات النساء

في الواقع ان أدبنا الشعبي هو كبقية الاداب انعكاس وتعبير لواقعنا المعاش ونجد آدابنا الشعبية تهضم حقوق المرأة حتى في موتها فهي لا تعامل في البكائيات كما يعامل الرجال ،ومن خلال النصوص التي سأطرحها سنجد انه لا ينظر لها الا كأنسانة جميلة فقدها زوجها أو أهلها مع الاخذ بعين الاعتبار أن العادات لا تسمح بقول البكائيات الا على المرأة الشابة المتزوجة من رجل مرموق أو المرأة الشابة البكر التي تنحدر من أسرة لها مكانتها الاجتماعية . وهي تبكي في هذه الحالة كونها ماتت على رأى المقولة الشعبية "لا شافت ولا انشافت" أى أنها ماتت قبل أن تتزوج ،ونستشف من هذا الموقف أن المجتمع يعترف لمثل هذه الفتاة بحقها في الزواج الذى من خلاله ستعيش المتعة الجنسية التي تعتبر في المفهوم الشعبي المتعة الوحيدة في الحياة الدنيا .ونحن هنا لسنا بحاجة الى دراسة الواقع الاجتماعي للمرأة فهذا ليس مجالـــــه .

Digitized by Birzeit University Library

تقول احدى البكائيات على لسان المرأة الميتة منبهة أنها لا تظهر عورتها حتى في موتهـــا :ـ

وأنا نايمه في الشمس احرقتني
لا امّي ولا خيتي نهتني
ولا جارتي طلّت عليّه
يا جارتي بحياة خيّك
باللّه مدّي ثوبي عليّه

والمرأة تبكي لانها جميلة ولانها تملك الجواهر "الصيغة" للزينة ويجب أن تؤخذ من بعدها وتفتخر قريباتها بأنها تملك الجواهر فيندبنها قائلات :ـ

كسروا صندوقها وارموا الحديد
واطلعوا جوز الاساور الجديد
كسروا صندوقها وارموا الخشب
واطلعوا جوز الاساور الذهب
كسروا صندوقها وارموا اللواح
واطلعوا جوز الاساور الملاح

وتبكي الفتيات في أدابنا الشعبية لانهن بنات الوجاهات والكـرم :ـ

هدى أميره بنت أمير
بنت مين يا عالمين
بنت من ملّا العلايق
قمح لو نقص الشعير

××××

يا نايمه في جنب الواد
يا فاخره يا بنت الجواد
طاب الهوى والنوم برّا
يا نايمه في جنب النهر
ويا فاخره ويا بنت الامير
طاب الهوا والنوم برّا

والباكيات يطلبن من حفارة القبور أن يجعلوا في قبرالميتة سعة حتى تستعمل زينتها في القبر أيضا :ـ

حّاش القبر اطلع صرار زعير
ووسع للصبّه تعلق المنديل
حاش القبر اطلع صرار اخضر
ووسع للصبه تعلق الشنبر

××××××

وترى الباكيات ان النساء الشريفات اللواتي يحافظن على اعراضهن يجب أن لا يمتن بل يجب أن تموت النساء اللواتي يخرجن ليلا لان الانسان الشعبي يطعن بشرف المرأة التي تخرج من بيتها ليـلا :ـ

والموت ما بصلحلكش
يا صاينات عروضكش
والموت بصلح للهنا
والخارجه بعد العشا

والشرف أيضا هو من الصفات الملازمة للفتاة الميتة فهي لم تخرج من بيت أبيها الا لعين الماء لجلب الميـاه :ـ

فلانة صبّه واردة ع العين
كن هبّ الهوا وتغرن الرجلين

والميتة تعتبر مدلله عند اهلها في حياتها فتقول الباكيات على لسانهـا :ـ

يمة دقّي اللور واطعميني
حلف عزرين عندك ما يخليني

ويستغرب انساننا الشعبي موت النساء الشابات :

ها الصايا الراحلات
ع البلا مستعجلات
يا فلانه مع اولهن
بتقلب شنابرهن بتقلب شنابرهن

ويتصور انساننا الشعبي ان المرأة التي تموت عزباء ستكون مع الجور العين في الجنة لانها

Digitized by Birzeit University Library

لم تتزوج من حبيبها في الدنيا :-

بنات الحور بقولن هدى مرحبا بها
هذى عروس النا ما هي لاحبابها

وتنادى الباكيات "الحور العين" موصيات اياهن بالعناية بها لانها خجولة ايضا حتى بعد الموت :-

صبايا الحور ما رأيتن صبيّه
كحيلة العيون مستحيه
صبايا الحور ما رأيتن صبيتنا
ما رأيتن فلانه حبيبتنا

وتتصور الباكيات ان الصبايا لا يمتن الا اذا كن جميلات وجمالهن هو سبب موتهن :-

يا فلانه يا اللي احدر جمالها
حطها بين المقابر ما شالها

ويتغنين أيضا بجمال الميتة :-

شعرك يا فلانه ليّه ع ليّه
يا ظمة حرير بين ايديّه
شعرك يا فلانة لاحة ع لاحة
يا ظمة حرير بين ايدين فلاحة

وزوج المرأة الميتة غني أيضا في نفس الوقت الذى تكون فيه زوجته الميته جميلة ومدبرة :-

يا لاظم المرجان طوره طوره
ودّع الصبيّه السنيوره
يا لاظم المرجان بالزنديه
ودع فلانة النشميه

وتتصور الباكيات أن زوج الميته سيكون كثير البكاء عليها بعد موتها خصوصا وأنه عاد أعزبا :

كسروا صندوقها وارموا اللواح
قشلان يا جوزها واصبح سواح
كسروا صندوقها وارموا الخشب
قشلان يا جوزها واصبح عزب

وانساننا الشعبي يعتبر موت المرأة المتزوجة حظا عاثرا لزوجها :-

يا جوزها ما أردى نصيبك
من غير شر لا يصيبك
ما أردى نصيبك في الولايا

وهن اذ يبكين حظ زوجها العاثر فانهن يعتبرنها فريدة من نوعها بحيث يصعب على زوجها ان يجد مثيلة لها :-

يا جوزها واركب حصان
فرّ العرب والتركمان
ع مثلها ما عاد تلقي
يا جوزها واركب جواد لها
فرّ العرب فرّ البلاد كلها
ع مثلها ما عاد تلقي

كل هذا وخوفا من أن تعاب الباكيات لبكائهن على امرأة مثلهن فأنهن يجدن عذرا بكائيا لبكائهن :-

نبكي عليهن من عوزهن
لولا عوزهن ما بكينا

هذا ويعتبر موت المرأة مكسبا لاهلها حسب المفهوم الشعبي يقول احد أمثالنا الشعبية :

" من ماتت وليته ، من حسن نيته ".

يتبع

Digitized by Birzeit University Library

ندوة
حول ديوان الشاعر خليل توما
" تعالوا جميعاً "

خليل توما

عقدت هذه الندوة في اوائل العام الحالي بدعوة من دائرة الكتاب في الملتقى الفكرى العربي في القدس لمناقشة ديوان الشاعر خليل توما " تعالوا جميعا " وقد شارك في النقاش كل من : الدكتور قسطندى الشوملي جمال بنورة ، ابراهيم جوهر ، جميل السلحوت بالاضافة الى صاحب الديوان خليل توما .

وقد بدأت الندوة بتقديم من الشاعر خليل توما حيث قال : ـ من خلال الندوات السابقة شعرت ان هناك فائدة جمة من النقد ، حيث أننا محرومون من هذا . ونحن ككتاب بحاجة الى عملية النقد والتوجيه ، بحاجة الى النقد الامين كي نستطيع ان نقدم أدبا في المستوى المطلوب . كم هو جميل ان يكون الانسان صريحا مع نفسه ، فان الواحد منا مهما بلغ من النضج الادبي فانه يشعر دائما بالنقص ، كما نوه بأن الادب في الاراضي المحتلة لم يلق النقد والاهتمام الكافيين لا في الاراضي المحتلة نفسها ولا خارجها كما تمنى لو أن محمد البطراوى وصبحي شحروري حضرا الندوة ثم قدم ديوانه قائلا : ـ ان شعرى في الواقع هو كبقية الشعر في الاراضي المحتلة ـ يعبر عن قضايا شعبنا وهمومنا الوطنية ، ويصدر عندى عن دافعين . ـ

الاول وطني حيث انني وشعبي ووطني نعيش مأساة الاحتلال .

الثاني هو الطبقي ويتلخص بالتزامي كنقابي باهداف الطبقة العاملة .

Digitized by Birzeit University Library

ثم انتقل بعد ذلك الى تفسير مقدمة الديوان والتي يعتذر فيها عن عدم غزارة الانتاج الشعرى عنده فقال . ــ ان عمله النقابي يأخذ الشيء الكثير من وقته ،كما ان السعي وراء لقمة العيش والهموم اليومية لهما دور مهم في هذا المجال ،وطالب بضرورة توفير جزء من التفرغ لكتاب وأدباء الارض المحتلة من أجل تثقيف أنفسهم والابداع في اعمالهم الادبية وقال : ــ لا نستطيع ان نطلب الكثير من ادبائنا اذا لم يكن عملهم ذا علاقة بالقلم واذا لم يكن لديهم الوقت الكافي لذلك .ثم تساءل ايضا .ــ هل كانت اشعارى على مستوى التزامي الجماهيرى ؟؟ وأجاب : ــ انني المس في ديواني هذا انني قريب من نفسي ومن الناس وقد حاولت ان اطرح عددا من القضايا بطرق واشكال جديدة تختلف الى حد ما عن الديوانيين السابقين .

ثم قال : ــ وفي ديواني اعبر عن مقولة اساسية وهي : "لا حياة ولا مستقبل لنا الا بالخلاص من الاحتلال" وقال انني اعبر عن الخوف على حياتنا ومستقبلنا كشعب يعيش ظروف اضطهاد واحتلال ،من خلال الخوف على الطفولة واستمرارية وجودها في الاراضي المحتلة وهل ستتمكن من التغلب على المشاكل التي انتجها الاحتلال أم لا ؟ وقد كنت في ذلك بعيدا عن الشعارات ،صادقا في مشاعرى مدركا ان الطريق صعب وشاق .

أما بالنسبة للشكل الفني . ــ قال الشاعر خليل توما، في عدد من القصائد "حاولت التخلص من العروض التقليدى رغم التزامي بالقافية احيانا واعتمدت على الايقاع .كما نوه الى وجود بعض الاخطاء المطبعية في الديوان .

وبعد هذا التقديم بدأ النقاش

ابراهيم جوهر : ردا على سؤال من جمال بنورة عن الغموض في الشعر هل هو تطور فني أم لا ؟ فقال : ــ انه تطور فني وأضاف بأن هذا يعلق عليه الشاعر الكبير محمود درويش حيث رفض أن يلقي قصيدة "سجل انا عربي" في بيروت والغموض في الشعر هو افراز للواقع

ابراهيم جوهر

حيث ان الاشكالات زادت ومحمود درويش تطور، فمثلا قصيدة "مديح الظل العالي" لم يفهمها كثيرون وخليل توما تطور أيضا وفي تقديرى أنه اقترب من الفن وابتعد عن المباشرة ونفى ان تكون المباشرة والوضوح تتنافى مع الفن وقد طرحت أمور جدلية وهي هل ينزل الكاتب الى مستوى القارئ كي يفهمه ؟

Digitized by Birzeit University Library

والاشكالية الذاتية التي تتمثل في عدم التفرغ وصعوبة الفهم هل تدخل ضمن الفـــن أم لا ؟ وأنا لا أطالب خليل توما أن يعود الى ماضيه الشعرى بل اطالبه بالتطور.ونطالبه أيضا بأن يكون في صفوف الشعراء الكبار كما أطالب بترجمة أشعاره الى لغات اخرى.وخليل توما ارتفع عن مستوى الشعراء الصغار الذين يكتبون بالشعارات الى مستوى الابداع الفني

جميل السلحوت : في الواقع أن محمود درويش عندما رفض الغاء قصيدة "سجل انا عربي" في بيروت لا لانها قصيدة مباشرة بل ان الظروف اختلفت فقصيدة "سجل أنا عربي" كتبت في حيفا عبر فيها عن الاضطهاد القومي للاقلية العربية بينما انتفى هذا الوضع في بيروت

جميل السلحوت

أما بالنسبة لتخلص خليل توما من العروض التقليدى فأنا لا أفهم كيف يكون الادب شعرا ولا تتوفر فيه أدنى الشروط الفنية للشعر والتي تتمثل بالتفعيلة أما ما يطلقه خليل توما على القافية في شعره فأنا لا أعتبرها قافية لان القافية تكون في الشعر العمودى أما في الشعر الحر فهي ايقاع وليست قافيـــة .

ابراهيم جوهر : ــ في الواقع أنا أخالف جميل السلحوت بالنسبة للتفعيلة بقول الناقد محمد دكروب أنه لو عاد الخليل بن أحمد من قبره لوضع تفعيلة أخرى للشعر العربي.وقال ان شعرنا يعبر عن واقعنا ومحمد دكروب مصيب في قوله وينطلق من منطلقات ماركسية لتجديد التراث ولو وجد عندنا اشخاص على غرار الخليل بن احمد لوضعوا لنا بحورا جديدة للشعـــر .

الدكتور قسطندى الشوملي : شعر خليل توما شعر مقاوم.وهموم الوطن واضحة فيه،وقد اعطى الشاعر مكانا للطفل في شعره لانه يرى فيه المستقبل لكن هذا لا يهمني كثيرا لانه موجود عند كثير من الشعراء ، وما يهمني هو كيف عبر الشاعر عن هذه المعاني وما هي الطرق الفنية التي لجأ اليها؟. وسأحصر حديثي في الصورة الفنية : ــ بدا لي ان الصورة عند خليل غنية لكنها غير متكاملة ويبدو أنه عندما يريد رسم الصورة يأخذ منها بعض الملامح ثم ينتقل الى صورة أخرى،وتبدو القصيدة مجموعة من الصور المجزأة غير المتكاملة وقرأ ص ٥٩ حتى وصل

نحن من يقرع أجراسك يا قانا الجليل

وقانا الجليل هي رمز للمكان المقدس الذى حدثت فيه معجزة تحويل الماء الى خمرة زمن المسيح ولو أن الشاعر ربط هذه الصورة بدون أجراس لكانت أجمل وأشمل .

Digitized by Birzeit University Library

خليل توما : ـ قانا الجليل هي رمز للفرح .

الدكتور الشوملي يتابع :ـ من أجل ان يلتزم الشاعر القديم بالقافية كان يفسد المعنى أما الشعر الجديد فقد تحرر من القافية . وأضاف:في الديوان نغمة خطابية وهذه من عيوب

د.قسطندى الشوملي

الشعر لان الشعر همس،وميخائيل نعيمة سمى احدى دواوينه "همس الجفون" وقرأ صفحة ٥٨ حيث أراد الشاعر أن يجلب العالم العربي في هذا المضمون وتمنى لو كانت الصورة معكوسة لكانت أجمل ثم تساءل : هل عدم اكتمال الصورة ناتج عن قصر نفس شعرى أم الاوضاع الصعبة هي التي فرضت نفسها على الشاعر؟.

ابراهيم جوهر :ـ أخالف الدكتور الشوملي كليا عن الصورة المبتورة وتساءل : ـ ماذا عن الانفعال ومواكبة الشعر للفن الحديث ؟ اى متطلبات الفن الحديث : في السابق كان عنوان النثر السرد!! أما الان فقد أصبح الكلمة المتوترة والمؤثرة والانفعالية.كل هذا قطع حدّة السرد، اما الصورة في ديوان خليل توما فانني اسميها بالتلوين الذى لا يدفع القارئ الى السكوت والاسترخاء بل يدفعه الى الحركة فمثلا قول خليل توما "اذا لكز الصبح حصانه" فهذه صورة معبرة ويمكن ان يكون الشاعر قد استفاد من القرآن في جمال التصوير حيث يقول تعالى"واذا الصبح تنفس"

وهناك صورة "المزيلة التي رافت لي مسكنا" انها حركية تحارب الخمول،وعن الصورة المبتورة التي تكلم عنها الدكتور الشوملي قال جوهر : ـ يجب ان تكون الصورة الشعرية مبتورة ،والشاعر غير مطالب بالتكملة لان الشاعر يدفع القارئ الى الحركة والمشاركة في هذه الصورة .

خليل توما :ـ بالنسبة للصورة اعترف انه ليس مطلوبا من الشاعر ان يرسم جداريات نحن مطالبون بخلق انطباعات وايحاءات عند القارئ .والصورة المبتورة في " قانا الجليل" كما تفضل الدكتور لم تأت لان القافية فرضت نفسها ، فالقافية لا تفرض نفسها على .

وفي قصيدة" رثاء أبو سلمى" الشاعر المشرد ،كان لا بد من اعطاء القارئ دفعة من التفاؤل والامل وهذا ما طرحته في القطعة الاخيرة من "قانا الجليل" التي طرقتها كرمز للفرح والسرور.وأعترف ان هذه القصيدة مكونة من عدة صور ولكن كل هذه الجزيئيات تشكل صورة متكاملة.

Digitized by Birzeit University Library

جمال بنورة ـ الديوان خطوة متقدمة من حيث الابداع الفني للشاعر، صحيح ان الغموض قد يكون سببا في التطور الابداعي للشاعر ولكن في نفس الوقت قد يكون الشاعر واضحا ومتطورا فنيا وأنا أتحفظ على شعرائنا الذين يلجأون الى الرمز الذي لايفهمه غالبية القراء والاديب يكتب لكي يقرأه الغير لا من أجل أن يحتفظ بكتاباته في خزائن مغلقة. وقضية فهم الشعر ضرورية وخليل توما أجاد في الوضوح والابداع الفني وهذا ما لمسته في ندوات له والشاعر الكبير سميح القاسم نشر ديوانه الحماسة كردة فعل على أشعاره الغامضة.

جمال بنورة

أما الخروج عن التفعيلة التي أثارها جميل السلحوت فالشكل يؤثر على المضمون والعكس بالعكس وظروف تطور الحياة ومشاكلها وكل ما يتعلق بحياة الناس تختلف عن الظروف السابقة التي كانت القصائد فيها عمودية، والشعر وجد قبل التفعيلة وأنا أؤيد رأي محمد دكروب الذي طرحه ابراهيم جوهر.

الايقاع والموسيقى اهم من التفعيلة وكذلك الصور الشعرية والافكار وتساءل : ـ كيف نستطيع أن نفهم الشعر ونجعله شعرا جماهيريا ؟ وهل يتميز الشعر الحديث بالمباشرة والفهم ولانهاء هذه الندوة اقترح قراءة قصيدة وتحليلها.

ابراهيم جوهر : ـ لكي نفهم الشعر أقسمه الى ثلاثة اقسام : ـ الرمز، الغموض، الابهام، ومن الخطأ اجمال هذه الاقسام في كلمة واحدة والرمز ضروري في ايامنا هذه وخاصة في الشعر ومقدار الغموض في نفس الوقت قد يقترب من الرمز الموحى الفني أو من الابهام.

جميل السلحوت : ـ ما الفرق بين الغموض والابهام ؟

الدكتور قسطندى الشوملي : ـ لقد طرحت هذه القضية في الاداب الغربية قبل العربية وقد وضح هذه القضية كل من عبد الرحمن شكرى والعقاد وميخائيل نعيمة فقالوا : ـ الابهام هو اعطاء صورة بعيدة عن الواقع في حين ان الغموض من المظاهر التي يعتمد عليها الشعر الجديد وهو عبارة عن اعطاء صورة ترتبط بالواقع وقد لا تكون مباشرة والشعر الحديث يتميز بالغموض لانه عبارة عن لقطات سريعة تخلو من الدرامية. وهناك فرق بين الرمز والصورة.

خليل توما : ـ بالنسبة لما قاله جميل السلحوت في البداية عن التفعيلة اقول .أن

Digitized by Birzeit University Library

التغير الذى جرى على "الوزن" كان خروجا مترددا عن بحور الخليل.وما جرى هو تحطيم البحر وأخذ التفعيلة نفسها وهذا جزء من التغيير،ونحن مطالبون بالتنويع في الموسيقى والتنويع في الشعر الجديد.وعلينا التخلص من كافة المعوقات وايجاد اشكال بديلة تناسب المضامين الجديدة التي يطرحها الشعر الجديد والثورى .

الدكتور الشوملي : ـ تحطيم الشكل القديم لا يعني التخلص منه،وانما وضع شكل جديد قد يتعدى البحور القديمة بالزيادة عليها او ترك الباب مفتوحا لموسيقى جديدة .

جميل السلحوت : ـ أنا لا أفهم تطوير التراث بتدميره او الخروج عليه كلية،الادب كلام منمق جميل واذا لم تتوفر التفعيلة في الشعر فكيف سيكون شعرا . واذا ما انطلقنا من نقطة تدمير التراث حتى تكون "ثوريين" فماذا سنختلف عن الشاعر الكتائبي سعيد عقل الذى طالب بتدمير اللغة العربية كعملية تجديد !! ؟؟

خليل توما : لغتنا مقدسة والمقارنة مغلوطة .

ابراهيم جوهر :ـ في الماضي اكتشف العربي البدوى بحر الرجز من مشية الجمل والان الحياة تطورت ونحن بحاجة للتجديد .

خليل توما :ـ ادونيس وأمل دنقل وغيرهم لهم قصائد لم يلتزموا بالتفعيلة بها وأنا لا أجد "وسوسة" التفعيلة هدّه في الشعر الامريكي مثلا .

الدكتور الشوملي : ـ الوزن ضرورى في الشعر وقد تكون التفعيلة ضرورة شعرية وقد يأتي يوم يتخلص الشعراء فيه من التفعيلة وتطويرها .

Digitized by Birzeit University Library

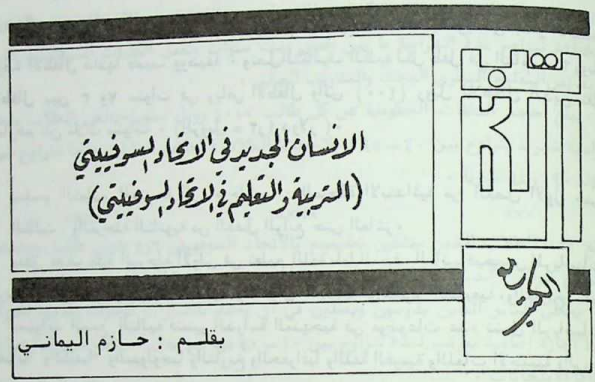

xxx xxx xxx

من الثابت ان نظام التعليم في اية دولة يعتبر مؤشرا حساسا لمستوى نمو المجتمع ككل وهو ايضا مرآة لدوافعها وتطلعاتها واحلامها في الغد .

xxxx xxxx xxxx xxxx

لا توجد في الاتحاد السوفييتي مدارس خاصة ،فتقديم خدمة التعليم هي مسؤولية الدولة ويقوم نظام التعليم السوفييتي على مراحل ثلاث :

- مرحلة المنشآت السابقة على المدرسة (مرحلة ما قبل الالتحاق بالمدرسة) .
- مرحلة التعليم المتوسط العام والمتخصص .
- مرحلة التعليم العالـــي .

١. تشمل المرحلة الاولى : دور الحضانة للاطفال الذين تقل اعمارهم عن ثلاث سنوات ، ثم رياض الاطفال لمن تتراوح اعمارهم بين ثلاث وسبع سنوات .

يقدر عدد المنشآت للمرحلة الاولى بأكثر من مائة الف منشأة .يقوم الآباء باصطحاب حوالي عشرة ملايين طفل كل صباح الى هذه المنشأة .وتعد هذه الدور نعمة كبيرة بخاصة للامهات اللواتي لا يقدرن بطريقة اخرى على العمل خارج البيت ثماني ساعات في اليوم دونما قلق على صغارهن .وغالبا ما تكون مديرة دار الحضانة او روضة الاطفال مدرسة مؤهلة تلقت تدريبا خاصا في العلوم الطبية ،وتتمتع مساعداتها بتدريب خاص ايضا .ويتعلم الطفل في دار الحضانة وروضة الاطفال ان يأكل بنفسه ،وأن يغتسل بنفسه ،وأن يرتدي ملابسه بنفسه .كذلك يتعلم تنظيف وتركيب ادواته ،واعداد فراشه والاعتناء بلعبه .ويشارك الطفل في لعب نشيط بناء ،وفي الرياضة البدنية لمدة من ثلاث لاربع ساعات يوميا . ويتعلم الطفل

Digitized by Birzeit University Library

التحدث بطريقة صحيحة،وكذلك الرسم والغناء والحركات الايقاعية . وفوق كل شيء يعود الطفل على اكتساب عادات الحياة الاجتماعية .

ويلقى الاطفال العناية طول اليوم وتقدم لهم وجبات غذائية،ويلحق بدار الحضانة وروضة الاطفال ذاتها طبيب ووصيفة . وتصل التكاليف الكلية لكل طفل في العام ٣٠٠ روبل للاطفال بين ٣ و٧ سنوات في رياض الاطفال والى (٤٠٠) روبل للاطفال الذين تقل اعمارهم عن ثلاث سنوات . (الروبل = ١ر٢ دولار) .

٢. ينقسم التعليم المتوسط الى مرحلتين : المرحلة الابتدائية من الفصل الاول حتى الثالث ، والمرحلة الثانوية من الفصل الرابع حتى العاشر.

ينفق نصف مدة المرحلة الاولى في تعليم اللغة،اما النصف الثاني فيخصص للرياضيات والرسم والموسيقى ،والتربية البدنية،والاعمال اليدوية،والعلوم الطبيعية،والتاريخ. أما في السنوات السبع التالية فتسير الدراسة المنهجية في موضوعات عدة تشمل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والتاريخ والجغرافيا واللغة القومية واللغات الاجنبية والرسم والادب والغناء والعمل اليدوى والتربية البدنية .

ويعنى هذا المنهج بالتزويد الشامل بكل من العلوم الطبيعية والدقيقة والعلوم الانسانية.ويشمل التدريب التقني خلال هذه السنوات التدريب على اسس الانتاج الصناعي والزراعي وعلى استخدام الالات والمعدات اثناء الدروس.

يبلغ العدد الكلي للمدارس حوالي (٢٠٠) الف مدرسة من بينها ٤٥ الف مدرسة متوسطـــة .

ولا تدفع رسوم للتعليم على الرغم من ان الدولة تتكلف عن كل تلميذ حوالي ٩٠ روبل في العام وتوجد مدارس متخصصة يبلغ عددها ٤٢٦٠ مدرسة ،مدة الدراسة فيها ٤ سنوات. ويلتحق بها التلاميذ الذين امضوا ثمانية فصول في التعليم المتوسط العام ،وذلك بعد النجاح في امتحانات القبول.وتتخصص هذه المدارس في فروع مختلفة من الصناعة والنقل والزراعة والمواصلات والبناء والطب والموسيقى والفن والتدريس.وتغطي قائمة المهن والحرف التي تتخصص فيها هذه المدارس ٢١٠٠ ميدان.ويتخرج من هذه المدارس الاخصائيون ذوو التأهيل المتوسط.ويتلقى الطلاب هنا منحا دراسية شهرية ولا يدفعون رسوما للتعليم . ويرتفع متوسط التكاليف السنوية للطالب الى ٨٠٠ روبل .

٣.تقوم بتوفير التعليم العالي ٨١١ منشأة تعليمية من معاهد وجامعات.

ويبلغ عدد الجامعات ٥٢ جامعة تغطي ٤٠٠ تخصص.وتقوم الجامعات بدور كبير في تدريس العلوم التطبيقية الحديثة القائمة على الفيزياء والرياضيات والكيمياء والبيولوجيا

Digitized by Birzeit University Library

والميكانيكا .كذلك تقوم بدور كبير في الدراسات العليا لمدرسي الكليات وفي اعداد متخصصين ذوى درجة مرشح او دكتور في العلوم، وتخرج الجامعات العديد من الاخصائيين في العلوم الانسانية . وبالاضافة الى الجامعات تقوم باعداد اخصائيين في العلوم الانسانية معاهد خاصةبالمعلمين وموظفي المكتبات والاقتصاديين والحقوقيين والاخصائيين في الفنون المختلفة تتراوح مدة الدراسة ما بين خمس وست سنوات وتعمل الكليات السوفييتية على الربط بين التعليم النظرى البحت والتدريب العملي .

يبلغ حجم النفقات الحكومية عن كل طالب ١٠٠٠ روبل سنويا .يتلقى الطلاب منحا دراسية شهرية تتراوح بين ٤٠ — ٦٥ روبلا ،بينما الطلاب الاجانب فيتلقون منحا تتراوح بين ٨٠ — ٩٠ روبلا شهريا .

xxxx xxxx xxx

يبلغ عدد الطلاب الذين يتلقون تعليمهم بالاتحاد السوفييتي ٤٫٦ مليون طالبا ،ويخصص للتعليم حوالي "سدس" ميزانية النفقات وهو ما يزيد عن ميزانية الدفاع بنسبة ٠٫٦ .

يحظى الناس الذين يدرسون ويعملون في آن واحد بامتيازات ملحوظة تقدمها الدولة منها اجازة اضافية بمرتب لمدة تتراوح بين ١٠ — ٤٠ يوما مع بدل الذهاب الى المختبرات ومراكز الامتحانات .

وبقدر ما يقدم لهم من ضمان اقتصادى ووقتفراغ بقدر ما يبدى الشعب السوفييتي ككل اهتماما متزايدابكل مجالات المعرفة الانسانية. ويفسر لنا هذا ذلك الظهور في الماضي القريب "للجامعات الشعبية" الذى يعتبر نوعا جديدا من المنظمات التي عليها ان ترفع من المستوى الثقافي للسكان .وحسب البيانات الاخيرة التي نشرت توجد بالاتحاد السوفييتي ١٧ الف جامعة شعبية وقد اقيمت هذه الجامعات في الوحدات الانتاجية الكبيرة وفي معاهد البحوث والمنشآت الثقافية والمدارس العليا ومزارع الدولة والمزارع التعاونية. ويتردد على هذه الجامعات المتخصصة في العديد من مجالات المعرفة ٣٫٥ مليون طالب في غير اوقات العمل ،للاستماع لمحاضرات عن مشاكل التعليم والتكنولوجيا والادب والفنون والتربية والاقتصاد والطب والدولة والقانون ،والفلسفة والعلاقات الدولية .ويعمل بالتدريس في هذه الجامعات اكثر من ٢٠ الف عالم واستاذ واستاذ مساعد ومدرس وموجه ثقافي ومهندس على اساس تطوعي بدون اى مقابل .ويدل تحليل الارقام الخاصة بجميع المترددين على هذه الجامعات علىأن ٠٫٢٠ من المترددين يحملون شهادات للتعليم العالي و ٠٫٣٩ شهادات للدراسة الثانوية ٠٫٣١ ممن لم يكمل الدراسة الثانوية .

- زيارة لجامعة لومومبا

يتحدث احد الزائرين لجامعة لومومبا فيقول :

"قررت ان اقوم بزيارة جامعة الصداقة بين الشعوب الشهيرة التي تحمل اسم باتريس لومومبا وللاسم هذا تاريخ :

فباتريس لومومباهو المناضل العظيم من اجل الحرية وهو اول رئيس وزراء للكونغوالحرة.

Digitized by Birzeit University Library

اراد ان يعيد بناء بلده. ورغم اتساع بلده وثرائها فقد ذكر لاحد الصحفيين الغربيين بانه كان في الكونغو كلها اقل من عشرين خريجا من المدرسة العليا وذلك بعد قرون من عملية التحضير" التي قام بها الحكام الاوروبيون. اراد ان يتخلص من التخلف والجهل المتوارثين عن الماضي الاستعماري. لكن حياته انتهت على ايدى العملاء الامبرياليين. وقتل بوحشية. وازمع الشعب السوفييتي على تخليد ذكراه فأنشأ هذه الجامعة في موسكو لطلاب دول افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية. اما بخصوص الغرض من الجامعة فهو مساعدة هذه الدول في اعداد الاخصائيين وذوى المهارات العالية متلقين تعليمهم في ظل روح الصداقة بين الشعوب. وتأكيدا لذلك فقد خصص عدد من الاماكن للسلطات الحكومية وكذلك المنظمات الاجتماعية لترشح الطلاب الاهلين لذلك. وعلى كل طالب ان يتلقى في العام الدراسي الاول دورة في اللغة الروسية التي تصبح بعد ذلك لغة دراسته. كذلك يتلقى دوره اعدادية خاصة لتصع كل الطلاب على نفس المستوى العلمي المطلوب. وعلى ذلك تتراوح المدة الدراسية بين ٤ – ٥ سنوات. تتحمل السلطات السوفييتية نفقات مواصلاتهم الى ومن اماكن الدراسة وبالاضافة الى ذلك تقدم لهم ملابس دافئة وسكن مجاني علاوة على منح دراسية شهرية مقدارها ٩٠ روبل (أى ما يعادل ١٣٠ دولار) علما بأن تكاليف وجبة الغذاء التي يتناولها الطالب في مطعم الجامعة تعادل نصف دولار كما يروى ذلك الطـــلاب).

– المعلمون والاباء –

يعتبر التدريس مهنة هامة في الاتحاد السوفييتي وقد منح حوالي ٢٥٠ الف من المدرسين ميداليات واوسمة. وعشرات الالاف منهم اعضاء في مجالس السوفييت. وهم جميعا بلا تمييز يحترمون شخصية الطفل، وهم واعون لعدم زحف اى شيء لاسلوب تدريسهم لتحطيم الروح التلقائية والابداعية التي تتواجد في سنوات التكوين بوفرة. ليس هناك تفكير ابدا في العقاب البدني، وهو ممنوع ايضا. ولكل فصل مدرس خاص مسؤول عن كل جوانب نمو الطفل. ويقوم المدرس بدراسة كل طفل واقع تحت مسؤولية مشاكله الخاصة احتياجاته النمو في بناء شخصيتـــه.

تبلغ عدد حصص المعلم في الفصول العليا ١٨ حصة اسبوعيا وفي الفصول الابتدائية ٢٤ درسا ويبلغ العدد الكلي للمدرسين ٢٫٦٠٠٫٠٠٠ تشكل المدرّسات منهم نسبة ٠/٧١

يحتفل المجتمع كله في اول احد من شهر اكتوبر كل عام بعيد المعلم يوجد اكثر من ٢٠٠ معهد تربية و ٤٠٠ مدرسة تربية تقوم بتدريب اكثر من مليون مدرسة، و" جريدة المعلم" هو اسم الجريدة اليومية للمدرسين والتي توزع بـ ١٫٢٠٠٫٠٠٠ نسخة.

يعتقد رجال التربية السوفييت: ان النجاح في التعليم على نطاق شعبي، يعتمد على كيفية ادارة المدرسة ادارة حسنة من اجل تنسيق جهودها مع الاسرة، وعلى ذلك يحافظ على

Digitized by Birzeit University Library

ذلك الاتصال الفعال مع الاباء . يقابل الاباء كمجموعة بصفة دورية مدرس ابنائهم ويتم الاتصال باولياء امورالاطفال بالنسبة للمشاكل الخاصة بهم .وبعد مناقشتها ينسق الجهد من اجل معالجةالاخطاء .وتشرف مجالس الاباء على مجموعات الهوايات ،وتنظم الرحلات السياحية على اختلافها وتقيم الحفلات وتساعد التلامذة على تهيئة حجرات الدراسة والمعامل والمكتبات .

"البيت والمدرسة " هي مجلة واسعة الانتشار توزع ١٫٤٠٠٫٠٠٠ نسخة .

xxxx xxx xxx

ان السّمة المميزة للتعليم السوفييتي هي منهجه الذى يجمع بين الدراسات النافعة للعلوم وبين المضمون الروحي لموضوعات العلوم الانسانية .ويؤدى هذا في خلال السنوات الهامة والخلاقة لنمو الطفل الى النمو المنسق لشخصيته فتكرس له خلال السنوات العشر بالمدرسة ٣٧٤٥ ساعة للعلوم الانسانيه و ٣٩٢٠ ساعة لاسس العلوم الطبيعية والرياضيات ،وتخصص للدراسات الجمالية ٤٥٠ ساعة وللتربية البدنية ٧٠٠ ساعة وللتدريب اليدوى ٧٠٠ ساعة. يبدأ التعليم الجمالي في روضة الاطفال حيث يقوم الاطفال بمساعدةمربياتهم بتشكيل رسوماتهم الاولى ،وتكوين الشواخص من الصلصال ،والمشاركة في الرقص والغناء . يستمر تعليم الموسيقى في المدرسة الثانوية لمدة سبع سنوات. اما الفن فيدرس لمدة ست سنوات ولمساعدة التلامذة على اكتساب الذوق السليم ،يدعو كثير من المدارس مصممي الازياء والديكور ليبيّنوا للتلاميذ ما الجميل وما القبيح. بوجد ٥٠ كلية لتدريس الفنون .ويقوم نصف هذه الكليات باعداد الموسيقيين ذوي الكفاءه العالية . بالاضافة الى ذلك توجد ٣٢٠٠ مدرسة موسيقي .

بالنسبة للموضوعات التقنية والعلمية نجد ان التركيز ينصب على جانب التدريب العملي وذلك لتقريبه من الانتاج الاقتصادى للدولة. وتقوم مدارس التدريب المهني الزراعية بتدريب سائقي التراكتورات والالات الحاصدة ومربي المواشي وفنيي الـــرى والاخصائيين الكهربائيين . كما هي تهتم بقطاع الخدمات اذ تقوم بتدريب الخياطين والحلاقين وميكانيكي السينما وعمال اصلاح الاجهزة المنزليـــة .

وفي الاتحاد السوفييتي الذى يشمل اكثر من ١٠٠ قومية يدرس الاطفال في المدارس بـ ٦٦ لغة وتشتمل مقررات المدرسة على تاريخ كل شعوب الاتحاد وجغرافية كل الجمهوريات. وفي المدارس العامة التي تكون لغة الدراسة لها لغة محلية ،تدرس اللغة الروسية ثانية .

– الوظائـف –

البطالة غير معروفة في الاتحاد السوفييتي .فلا يرى المرء هناك شابا مؤهلا او فتاة مؤهلة يلهثان بجنون يبحثان عن وظيفة .والسبب هو الطابع المخطط للاقتصاد الاشتراكي تقوم الجامعات والكليات ومدارس التدريب المهني باعداد الاخصائيين وفقا للحاجات الفعلية للاقتصاد القومي .وتثار المشكلة اولا في المدارس الثانوية ،فالشباب يعد معنويا للعمل .ويطّلع الشباب على المهن المختلفة واساليب العمل ،ويقوم الطلبة الذين على

Digitized by Birzeit University Library

وشك التخرج بزيارة المصنع والمزارع الجماعية حتى تتاح لهم فرصة اختيار المهنة الملائمة. وهم يلتحقون وفق رغباتهم بمدارس التدريب المهني او المعاهد التي تقوم بتدريس الموضوع محل الاختيار، ويضمن لكل خريجي المعاهد عمل في نطاق اختصاصهم . وبعد تعيين الخرّيج يمنح شهرا اجازة وتذكرة سفر مجانية له ولافراد اسرته. يتم تزويده بالسكن المناسب في مكان عمله .

ـ النفقات العامة للتعليم ـ

جاء في تقرير وزيرالمالية عن ميزانية الدولة عن عام ١٩٧٣ ان التكاليف الجارية للمدارس وغيرها من منشآت الاطفال بلغت ١٢٢٠٠ مليون روبل . وقد لوحظ في التقرير ان ما خص اصلاح وصيانة منشآت الاطفال من دور حضانة ورياض اطفال بلغ ٣٠٠٠ مليون روبل. وتخصص الميزانية ١٢٥ مليون روبل لمزيد من التحسينات في الوجبات التي تقدم بالمدارس.

يتراوح ايجار الحجرة في المدينة الجامعية بين روبل وروبل ونصف في الشهر وتتكلف الوجبات الغذائية في مطعم الكلية روبل واحد في اليوم ويزود الطلاب بكوبونات تكفل لهم التمتع بالراحة في مصحة للاستجمام او في بيوت الراحة في المعسكرات الرياضية .

ويبذل كل جهد في المدرسة لجعل التلاميذ في صحة جيدة. فيوجد طبيب وممرضة في خدمة مستمرة طول الوقت. كما انه توجد بالمدارس الكبيرة عيادات للاسنان . والاطفال الذين يرى الاطباء انهم ليسوا اقوياء يرسلونهم "لمدارس الغابة" الموجودة خارج المدينة حيث يكتسبون القوة بينما يواصلون دراساتهم ويساعد المدرسون ذوو الخبرة الطفل في مستشفيات الاطفال وفي المصحات على مسايرة المنهج الدراسي .

يتناقض كل هذا تناقضا حادا مع الظروف في الولايات المتحدة الامريكية حيث ان ابناء اسر العمال محرومون من التعليم العالي لان رسوم التعليم في غير مقدورهم فهي تبلغ ٧١٨ دولار في السنة ، وتشير بيانات منظمة اليونسكو ان ٥٨٪ من التلامذة في مدارس الولايات المتحدة هم من ابناء الاسر الغنية ٢٠٪ من ابناء الاسر المتوسطة و ٢٢٪ من اسر العمال وذات الدخل المنخفض .

ـ كلمة لا بد منها ـ

يسلح نظام التعليم السوفييتي الطالب بمعرفة عميقة ومنهجية ، وينمي قدراته على امتداد الخطوط الاجتماعية المفيدة. والى جانب تلقين الطلاب بالمعرفة واكسابهم الخبرة تشربهم المدارس العليا مستوى اخلاقيا . فتعلمهم العمل بضمير ، وتربي فيهم روح المسئولية الاجتماعية ، وعدم التساهل في التعدي على المصلحة العامة ، وتربي فيهم روح الجماعية والتعاون المتبادل بين الرفاق ، والنقاء الروحي والدأب من اجل البساطة والتواضع في الحياة العامة والخاصة وكراهية الظلم والطفيلية وعدم الامانة والجشع .

عن كتاب " الانسان الجديد في الاتحاد السوفييتي "

طبعه سنة ١٩٧٥

Digitized by Birzeit University Library

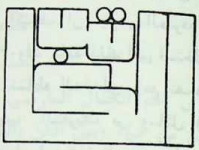

العلاقة بين الفن وعلم الجمال الماركسي ...

بقلم / فتحي عبد نصرة ـ جامعة بيرزيت

كانت قضية العلاقة بين الفن والعلم ،في مراحلها التاريخية، تظهر غالبا كأنها قضية العلاقة بين الشعر والعلم .ولكن كان واضحا دائما ان النظر الى الشعر في هذه القضية لا من خصوصيته بين الفنون، بل من وجهة كونه فنا بالمعنى العام للفن أى من وجهة الاختلاف بين فنية الشعر من حيث هو ادراك انفعالي أو خيالي وبين عملية العلم من حيث هو ادراك عقلـــي .

هذه القضية قديمة ترقى الى العصر الكلاسيكي للفلسفة،أى عصر الاغريق وربما صح القول ان بدايتها الواضحة كانت مع سقراط.ثم مضت تزداد وضوحا عند افلاطون فأرسطو. .وهكذا تابعت رحلتها في تاريخ الفلسفة ،كما في تاريخ الفن حتى عصر الماركسية اللينينية.انه مما يثير الاهتمام لدى الباحث المعاصر ان أكثر مواطن الجدل في هذه القضية على مدى تاريخيتها كان مسألة المعرفة أو نظرية المعرفة في المصطلح الفلسفي الشائع .ان هذا الامر بحد ذاته يكسب العلاقة بين الفن والمعرفة ملمحا من ملامح الجذر"الواحد "الموضوعي الذى يلتقي فيه الفن والمعرفة رغم تباين الاتجاهات في رؤية هذا الجذر. ان هذه الاتجاهات كانت دائما تراوح بين قطع الفن عن جذره المعرفي هذا وبين استيعاب الوحدة الموضوعية بينهما .هذا التراوح لم يختص به عصر دون عصر.فقد حدث باشكال مختلفة في مختلف عصور المعرفة البشرية منذ لحظتنا الراهنـــة .

Digitized by Birzeit University Library

ولكن مراجعة فاحصة لتاريخية هذه القضية تؤكدان النزعات والاتجاهات المتفرعة عن اصول الفكر المثالي والميتافيزيقي ،في كل عصر،هي مصدر ثنائية DUALISM الفن والعلم .ذلك مع الاعتراف بأن كثيرا من النزعات والاتجاهات المثالية كان يتوصل الى رؤية وحدتهما،وان كانت تقام على أسس مثالية.ويعد سقراط،رغم تفكيره المثالي ،أول من رأى هذه الوحدة خلال ديالكتيه الخاص بقضية المعرفة.اذ اكتشف ان جوهر المعرفة هو المفهوم ،أي التجريد المنطقي للصفات المشتركة بين الاشياء .وقد ساقه ذلك الى استخلاص المفاهيم المتعلقة بحياة الانسان ونشاطه العقلاني ولا سيما نشاطه الداخلي (مع نفسه). من هنا كانت موضوعته الشهيرة "اعرف نفسك".وكان اسلوب "التعريف"من وسائل هذه المعرفة السقراطية،مثلا : تعريف الشجاع والعادل..و الجميل.ان هذا الموقف ذاته هو الذى يحدد نظرية سقراط في علم الجمال وتتمثل نظريته هذه بالموضوعية القائلة: "كل ما هو معقول هو جميل .كل ما له معنى هو جميل"فقد وحد "معقولية"الشيء و "جماليته" أى ان مبدأه في علم الجمال هو مبدأ معرفة الحياة أى ان الفن لايكون فنا الابمقدار مايكون معرفة للحياة.وبما أن الحياة هي فلسفة سقراط ذات هدف معقول فالفن عنده اذن ينبغي ـ بالضرورة ـ ان يكون هدفا وعقلانيا.فكل شيء يبدو جميلا انما يبدو كذلك حين يكون معقولا وذات هدف معين.لذلك كان سقراط يرفض البهلوانية في الفن ولا يرى الرقص فنا الا من وجهة كونه جميلا،بمعنى كونه هادفا يخدم تطور جسم الانسان. فالفن اذن يساوى المعرفة وهدفها معـــا .وتظهر علاقة الفن بالمعرفة عند ارسطو في كل تحديد مذهبه الفني حيث انه ينطلق من فكرة محاكاة الطبيعة ولكنه بعيد عن فكرة المحاكاة الالية لانه يرى ان من خصائص الفن تحويل كل شيء في الطبيعة والحياة حتى البشاعات فيهما الى شيء جميل ولكي تصبح البشاعة الواقعية جمالا فنيا لا بد للفنان ان يستند خلال عملية الخلق الى الوضع المحتمل في الشيء،أى الى ما يمكن ان يكون لا الى ما هو كائن بالفعل فحسب .ان هذه الخصائص المكونة لمذهب ارسطو الفني تستلزم المعرفة ضرورة فانه لا يمكن للفنان ان يحدد الاحتمالات وان يكتشف الصفات الجوهرية للموضوع وأن ينعم دون ان يكون مالكا الادوات المعرفية التي ترفعه الى مستوى القدرة على التحديد والاكتشاف والتعميم .

ان الجمال عند افلاطون هو في الحياة أعلى منه في الفن وانه موجود موضوعيا باستقلال عن وعينا فالجمال الحقيقي ليس موجودا في عالمنا ،عالم الحس المادى ،بل في عالم الافكار،عالم الجواهر الثابتة الخالدة المطلقة.أما الموضوعات الجميلة في عالمنا المادى فهي حقيقية وغير حقيقية في وقت واحد:هي حقيقية لانها تجليات لـ"فكرة"الجمال العليا الجوهرية في عالم "المثل"وهي غير حقيقية لانها موضوعات عابرة والجمال فيها عابر ليس هو سوى انعكاس شبحي للجمال "الفكرة" (المثال وهو بذلك يرى ان مصدرالابداع خارج حدود

Digitized by Birzeit University Library

العقل .اذن من وجهة نظر افلاطون فان العلاقة بين الفن والعلم هي ثنائية ،انفصالية ما دام الفن مباعدا للاحساس وابداعه مشروطا بمفارقة العقل في حين ان الاحساس والعقل شرطان ضروريان في عملية تحقيق المعرفة العلمية .

علم الجمال الماركســـــي

ان علم الجمال الماركسي رغم عنايته البالغة بديالیكتيك العلاقة المعرفية بين الفن والعلم من جهة وبين الفن والواقع الموضوعي من جهة اخرى ،قد عني العناية نفسها ايضا بجانبين هامين من المسألة: عني أولا: بما يفيد ان هذه العلاقة لا تتنامى مع حقيقة كون النشاط الفكرى بعامة ،والنشاط الفني بخاصة ،يتمتع بقدر من الاستقلال النسبي عن الواقع الذى يرتبط به .وعني ثانيا: بايضاح أن هذه العلاقة بعيدة عن أن تؤدى بالفن الحقيقي الى السقوط في السطحيـــة أو الميكانيكيـــة .

× من حيث الجانب الاول ،ينبغي أن نلاحظ أن علم الجمال الماركسي في حين يؤكد الدور الحاسم للقاعدة المادية (الاقتصادية) في تشكيل الطابع التاريخي للفن يؤكد ايضا دور الطاقات الذاتية للفرد في عملية الخلق الفني .وهذا الدور هو ما يتلازم مع الاستقلال النسبي للفكر في انجاز عملية الخلق الفني هذه .ففي هذا المجال يجب ان نتذكر فكرة ماركس التي تعزز موضوعة الاستقلالية النسبية للنشاط الفكرى .نعني فكرته بشأن احتمال عدم التوافق احيانا بين مستوى تطور الفن ومستوى التطور الاقتصادى والاجتماعي في مجتمع ما . فقد لاحظ ماركس ان بعض عصور الازدهار الفني غاب فيها التوافق بين هذا الازدهار وبين التطور العام للمجتمع ،أى تطور الاساس المادى الذى يشكل الهيكل الصلب لتنظيم المجتمع .وقد جعل مثال ذلك نماذج الفن الاغريقي القديم وفن شكسبير .ومن المعروف عن ماركس انه ينفي ضرورة التلازم بين النهوض الاقتصادى في المجتمع والنهوض المماثل له في مجال الادب والفن .وقد عزز انجلز هذه الموضوعة بكلمته المعروفة التي جاءت في رسالته الى شميدت: "ان البلدان المتخلفة اقتصاديا يمكن ان تعزف اللحن الاول في الفلسفة كشأن فرنسا في القرن الثامن عشر بالنسبة لانكلترا اذ اعتمد الفرنسيون على فلسفة الانجليز وهكذا المانيا بالنسبة لفرنسا وانجلترا" .ان الكلام على الفلسفة لا يختلف ،في هذا المجال ،عن الكلام على الادب والفن ،لاشتراكها جميعا في كونها من الاشكال العليا للوعي الاجتماعي وفي كونها انجازات متنوعة لعملية واحدة هي عملية التفكير .ان ظاهرة عدم التوافق احيانا بين ازدهار الفن أو الفلسفة وبين مستوى التطور العام للمجتمع ظاهرة "لا تفاجئنا" ـ كما يقول ماركس ـ ولكن الصعوبة تكمن في الطريقة العامة لفهم هذه التناقضات" .

Digitized by Birzeit University Library

ان الطريقة العامة التي يشير اليها ماركس في فهم هذه التناقضات تتجاوز فهم التناقض الخاص بمسألة جاذبية الفن الاغريقي. بمعنى انها طريقة شمولية لا تقتصر على فهم تناقض معين وخاص وهذه الطريقة العامة الشمولية هي التي تعتمدها الماركسية في فهم ظاهرة عدم التوافق احيانا بين مستوى تطور الفن ومستوى التطور العام للمجتمع ولا سيما التطور الاقتصادي، فيعني بها طريقة التحليل الطبقي للظاهرات التاريخية. فان المجتمعات القائمة على أساس التناقضات الطبقية، ليس من الغريب ـ بالطبع ـ ان يجرى فيها تطور الثقافة بمختلف اشكالها على نحو تناقضي، بمعنى ان لا يحدث فيها تناسب طردي بين تطور الثقافة وتطور القاعدة المادية للمجتمع. ان فقدان هذا التناسب في كثير من الاحوال يأتي كشكل من أشكال التناقض الحتمي بين الطبيعة الاجتماعية لعملية الانتاج والملكية الخاصة لوسائل الانتاج وهو التناقض الذي يرى فيه ماركس اساسا لكل التناقضات الملازمة للمجتمع الرأسمالي ومن هنا بنى ماركس وانجلز على الغاء الملكية الخاصة احدى النتائج الهامة وهي أن يصبح الغنى الثقافي الحقيقي للفرد مرتبطا كل الارتباط بغنى علاقاته الواقعية وان يعيش على صلة عملية مع انتاج العالم كله ومنه الانتاج الثقافي وان يتوصل الى القدرة على التمتع بكل انتاج العالم وبكل ابداعات البشر.

ولننظر الان في الجانب الثاني، أي في اهتمام علم الجمال الماركسي بوضع الحدود الصريحة لديالكتيك العلاقة المعرفية بين الفن والعلم من جهة وبين الفن والواقع الموضوعي من جهة أخرى على نحو يبتعد بهذه العلاقة عن أن تؤدي بالفن الحقيقي الى السقوط في السطحية أو الميكانيكية.

ان المضمون الحقيقي لديالكتيك المعرفة هذه، كما يقرره علم الجمال الماركسي، هو توفير الشروط الضرورية للفن كي يعبر بطريقته الخاصة عن العالم الواقعي تعبيرا يتميز بالعمق والصدق والشمول. ان هذه العناصر الثلاثة (العمق والصدق والشمول) هي المكونات الاسس لمفهوم الواقعية في الادب والفن لدى الجماليين الماركسيين ولكن صفة "الواقعية" في هذا المفهوم لا تؤخذ بمعناها الظاهري الاحادي الجانب، أي التصوير الحسي المباشر للعالم الواقعي فهذه هي الواقعية المبتذلة الغريبة عن المقولات الجمالية الماركسية. وانما تؤخذ بمعناها الديالكتيكي أي بكون العلاقة بين الفن والواقع علاقة تأثير متبادل بينهما. من هنا يتخذ كل من العمق والصدق والشمول بعداً خاصا يعني ـ أول ما يعني ـ ان يتخطى الفن حالة الانفعال الحسي بما يطفو على سطح الواقع من مظاهر عابرة أو بما يعلق به خلال حركته من أحوال أول صور أو أحداث هي ولائد المصادفات المحض. فلن يكون عمق ولا صدق ولا شمول اذا لم يتخط الفن حالة الانفعال هذه ليدخل الى صلب الواقع باحثا عما هو جوهري فيه، أي عما هو من صفاته الحقيقية المكونة لحركة تطوره وصيرورته كجزء من كل، أي عما هو نموذجي فيه يحقق عبر "تشخصه" "جوهر" "عموميته" ـ ان الصدق الذي يعنيه علم الجمال الماركسي في مفهوم الواقعية هو اذن ليس شيئا آخر سوى معنى العمق والشمول ذاتيهما على هذا النحو

Digitized by Birzeit University Library

من استكشاف جوهرية الواقع ،أى نموذجيته .والصدق بهذا المعنى الذى هو وليد العمق والشمول هو في الوقت نفسه وليد العلاقة المعرفية الدياليكتيكية بين الفن والعلم من جهة وبين الفن والواقع الموضوعي من جهة اخرى .وهو بفضل العلاقة ذاتها ـ كما رأينا ـ يصبح في علاقة تناقض أكيد مع السطحية والميكانيكية كليهما .ذلك ضبطا ما قصد اليه انجلز في تحديده الواقعية الفنية بانها الصدق في التفاصيل الى جانب الصدق في تصوير الشخصيات النموذجية في الظروف النموذجيـــة .

ان النموذجية في علم الجمال الماركسي تعبير عن تعامل الفن الحقيقي مع مجموعة الصفات التي تشكل جوهر الموضوع أى التي تشكل علاقاته بالعالم المحيط به ، ،التاريخية والاجتماعية والايديولوجية وتنعكس فيها تناقضات هذا العالم ،عصر ومجتمعا ،وهي ـ مع تناقضاتها ـ تتعامل بعضها مع بعض داخل الموضوع في اطار وحدة ديالكتيكية يستطيع الفن الحقيقي ان يتمثلها الى حد يصبح معه النموذج هو التجلي الفني لهذه الوحدة دون أن تضيع حدود فرديته أى صفاته الذاتية ،بل بالعكس فان الارتباط العضوى بين هذه الصفات وما تكتبه من علاقات شمولية مع عالمها الخارجي يزيدها وضوحا وتبلورا لانه يزيدها غنى وتأصلا في الحياة .ان النموذجية بهذه الصورة تختلف عن "النموذجية التجريدية المنفصلة عن الحيـــاة " .

هكذا نرى اذن أن ديالكتيك العلاقة المعرفية بين الفن والعلم وبين الفن والواقع يصبح شرطا ضروريا لحياة الفن أولا وشرطا ضروريا لثورية الفن ثانيا أى لاداء مهمته المزدوجة: ادراك العالم ادراكا صحيحا ،وتغييرا ثوريـــا .

المراجـــع :

١ـ أفلاطون : حوار أيون ٥٣٤ ب .

٢ـ موجز تاريخ النظريات الجمالية : م .أوفسيانيكوف ترجمة باسم السقا ،دار الفارابي ١٩٧٥ ، ص ٤٣٥ .

٣ـ كارل ماركس : نقد الاقتصاد السياسي .

٤ـ ماركس وانجلز : الرسائل المختارة

٥ـ ماركس وانجلز : الايديولوجية الالمانية ،القسم الاول ،ترجمة جورج طرابيشي ص ٣٥

٦ـ ماركس وانجلز : الرسائـل المختارة .

Digitized by Birzeit University Library

الحقيقة ... ومبدأ الحزبية

بقلم : عطا القيمري ـ سجن نفحة الصحراوي

للانسان بصفته كائن اجتماعي على علاقة فعالة ايجابية مع الطبيعة ،له حاجة موضوعية للحصول على كافة المعارف الضرورية التي ليس فقط تتيسر له طريق الفعل في الطبيعة ،بل تجعل من هذا الفعل أكثر نجاعة.وعليه فكلما كانت هذه المعارف موضوعية اى تلمس الحقيقة ،كلما تحقق هدف الانسان بوقت اقصر وعناء أقل .

ومع ذلك ، ومع نشوء الملكية الخاصة وانقسام المجتمع الى طبقات أخذ يظهر في مجال الوعي الاجتماعي اتجاهان : احدهما معرفي يرتبط بالمصلحة المباشرة للنشاط العملي الاجتماعي الذى يقوم به الانسان ويتمثل في اكتساب المعارف الموضوعية عن الوجود ، وثانيهما هو اتجاه ايديولوجي يتعلق بالمصلحة الاجتماعية القاضية بتثبيت نوع من العلاقات الاجتماعية ـ الاقتصادية او نفي هذه العلاقات وتغييرها .

ومنذ تلك اللحظة ،لم تعد الحقيقة منفصلة عن المصلحة الاجتماعية . فقد غدا صراع الطبقات لاجل تثبيت العلاقات الاجتماعيةالقائمة أو تغييرها هو الذى يحكم مدى انسجام هذه الطبقة أو تلك مع الحقيقة الموضوعية المجردة.وهذا الاتجاه ليس مطلقا فعلى مدى العهود ،وفي كل التشكيلات الاجتماعية كان ثمة حاجة ملموسة لمعارف موضوعية.فالبرجوازية تحتاج لعلم الفيزياء مثلا مثلما تحتاجه البروليتاريا .ولكن وما ان يقترب الامر من العلوم الانسانية ـ الاجتماعية حتى تتصاعد رائحة الايديولوجيا الطبقية حريفة نفاذة .

يقول المفكران الماركسيان كيللة وكوفالسون : "ان المصلحة انما هي قوة جبارة . ولو

Digitized by Birzeit University Library

ان البديهيات الهندسية او النظريات الهندسية مثلا ،كانت تناقض مصالح معينة ،لتواجد بكل تأكيد اناس يعمدون الى دحضها ".

وهذا التأكيد بأن الحقيقة على صعيد الفكر الاجتماعي وفي تحليل الظاهرات الاجتماعية شديدة الارتباط بمصالح الطبقات هو مبدأ الحزبية.وهو من القوة بحيث انه لن يستطيع حتى اكثر المفكرين عبقرية واستقلالية التخلص من تأثيره.يقول جورج لوكاش : "لن يكون من الانصاف البتة (بل انه ضرب من اليوطوبيا الرديئة)ان نطالب حتى أهل العبقرية بالتجرد من سائر معطيات عصرهم ،ومن الطبقة التي يتحدثون باسمها وكأنهم يتحررون من وهم باطل.بالمقابل فان كل عبقرية قابل لان يقاس (بل يجب أن يقاس) بمستوى الوعي الذي أمكن ــ وكان يمكن ــ بلوغه في عصره ومن قبل طبقته بالذات ".

وعليه فكيف يمكن الوصول الى الحقيقة وفي العلوم الاجتماعية بالذات ، أي تلك العلوم التي تتناول في الدراسة الظواهر الاجتماعية المختلفة طالما ان الايديولوجيا (التي هي انعكاس للواقع عبر موشور المصالح الطبقية أو تعبير وتثبيت روحيين للمصالح المادية لطبقات معينة)طالما انها تقف كقوة توجه الانظار لخدمة المصالح المادية لطبقة معينة وليست لخدمة المصلحة الانسانية المعلقة في الوصول الى الحقيقة ؟ وما هو في نهاية المطاف المعيار الذي يحكم الحقيقة على صعيد الفكر الاجتماعـــي ؟

ان الوصول للحقيقة على الصعيد الاجتماعي لا يتأتى بالارتقاء الى برج عاجي فوق المجتمع بطبقاته وصراعاتها .فمحاولة كهذه ستبوء بالفشل ولن تجد لها مرتكزا علميا جديرا بالاعتراف .كما أنه لا يتأتى من خلال الحيادية الاجتماعية او رفض الايديولوجيا وهو الزي الذي ترتديه النزعة الحيادية المشبوهة والنابعة من الوهم في بعض الاحيان والنابعة في اغلب الاحيان من طبقة اجتماعية تستهدف ضرب الايديولوجيا الثورية باسم الحياد وباسم ادانة الايديولوجيا بشكل عام على اعتبار انها متحيزة وذاتية وبالتالي غير حقيقية .

وكان يمكن للمرء ان يتخذ موقف الحياد هذا لو أن الحقيقة أمر محدد سلفا ""كنز يوجد في نقطة محدده"ما ان يصلها المرء حتى يحوزها ،او لو كان العالم ثوبا يسهل عليه التجرد منه متى شاء ،فالوعي الاجتماعي وامتلاك الحقيقة الاجتماعية لا ينفصلان عن الوجود الاجتماعي ،بل ان هذا الاخير هو الذي يحددهما في نهاية المطاف .

ان الوصول الى الحقيقة في الفكر الاجتماعي لا يتأتى من خلال رفض مبدأ الحزبية الذي تنادي به الماركسية ،بل من خلال الاسترشاد بالمصالح والقيم الاجتماعية التي تتبناها اكثر الطبقات ثورية وتقدمية والتي يحكم موقعها هذا تشغل موقعا تاريخيا يتيح لها ان تمثل المصلحة الانسانية العامة في التطور والوصول الى الحقيقة .

لقد دلل التاريخ ان الطبقات الاجتماعية التي تتصدى للمهام التاريخية في تغيير

Digitized by Birzeit University Library

العلاقات الاجتماعية البالية المعيقة للتطور تتمنع والى حد كبير بحق تمثيل الانسانية جمعاء هكذا كانت البرجوازية اذ أخذت على عاتقها مهمة دك قلاع الاقطاع واجتثاثه من جذوره. وهكذا كانت عندما اعطت للانسانية أعظم المفكرين واكثرهم عشقا للحقيقة والتصاقا بها فقد كان ديكارت وسبينوزا وهلفيسيوس وديدرو كما يقول كيلله وكوفالسون "كانوا موضوعيا ايديولوجي البرجوازية الناشئة ولكنهم دخلوا وعن كامل الحق في تاريخ الفكر الاجتماعي بوصفهم افرادا كرسوا انفسهم فعلا لخدمة الحقيقة والعدالة".

تقول هذا عن البرجوازية عندما كانت الطبقة الثورية التي كانت الحقيقة تصب في صالحها والتي استعانت بالالحاد مثلا لتقويض اركان الفكر الاقطاعي المرتكز على المراتبية الارستقراطية والكهنوتية. ولكنها ،اى البرجوازية ،حتى في مرحلتها البطولية وباحساس طبقي مرهف ،كانت تدرك انه لا ينبغي لها أن تأخذ المسألة على محمل الجد وحتى النهاية ،بل سرعان ما اضطرت وتحت ضغط تناقضها مع البروليتاريا الى أن تستعين بكل الافكار التي رفضتها وناضلت ضدها في حلها لهذا الصراع الذى وضعت هي بنفسها مقدماته. وقد وصف ماركس حالة البرجوازية هـــذه عندمـــا قـــال : "ان سائر الوسائل الثقافية التي أوجدتها قد تمردت على حضارتها بالذات ،وسائر الالهة التي خلقتها قد هجرتها". لقد غدت البرجوازية نفسها طبقة معيقة للتطور وبالتالي اخذت رويدا رويدا واحيانا بقفزات ليس فقط تهجر مواقع الحقيقة بل تفتري عليها وتضربها. وقد قال عنها ماركس حتى قبل ان تصل الى مرحلة العفوية والترهل التي هي عليه اليوم لدى وصفه لحالة العلم في ظلها اذ قال : "لم تعد المسألة ،من الان فصاعدا ،معرفة ما اذا كانت هذه النظرية الهندسية أو سواها صحيحة أم خاطئة ،وانما ما اذا كانت مناسبة أم لا ، مستحبة من البوليس أم لا ، مفيدة للرأسمال أم بالعكس مضرة به.. فقد اندحر البحث النزيه ليفسح المجال أمام التضارب المأجور، وحل سوء النية والخزعبلات التقريظية مكان التقصي الوجداني".

أما البروليتاريا والتي اخذت على عاتقها تمثيل التقدم بعد ان خانت البرجوازية مبادئها فبصفتها تفتقر لوسائل الانتاج ،وتعيش من كدها وعرق جبينها ،فانها ،اذ تسعى لتحرير نفسها من الاستثمار البرجوازي تجد انه لا سبيل لها في ذلك الا بالقضاء على علاقات الانتاج الرأسمالية وتحرير كامل المجتمع من الملكية الخاصة ومن الاستثمار بكل اشكاله. ولهذا تغدو ممثلة لمطلب المجتمع بكامله والانسانية بمجملها ،مطلبها في الحرية والمساواة والعدالة والاخاء ـ تلك المطالب التي لم تستطع البرجوازية الا توسيعها لتشملها هي وحدها وتستبعد منها باقي الشعب الذى استندت اليه حين صعدت للسلطة وتبوأت السيادة الطبقيـــة.

ان هذا الوضع المادى للبروليتاريا يجعلها القوة الاجتماعية التي تمثل التقدم من وجهة النظر التاريخية. ولما كان التقدم والتطور هو البوصلة التي توجه الفكر نحو الحقيقة ،فما على

Digitized by Birzeit University Library

المفكر الذى يرغب في الوصول حقا للحقيقة الا أن يربط نفسه بقيم ومصالح اكثر الطبقات تقدمية حتى يجد نفسه ملتصقا اشد الالتصاق بالحقيقة .

من هنا ،فان المعيار الاشد صرامة ودقة للاقتراب من الحقيقة هو التمسك بالقيم والمصالح الطبقية التي تمثل التقدم والتطور للانسانية.فطالما كانت هذه الطبقة أو تلك ممثلة للتقدم ،فانها موضوعيا تشكل الحقيقة ذاتها او لنقل الحقيقة الموفورة بمعنى الحقيقة التي تسمح مجمل الظروف والامكانيات التاريخية بتوفيرها .

ومع ذلك لا بد هنا من التأكد بأنه لا يكفي ان يكون المر· بروليتاريا او أن يتعاطف معها ويمثل مصالحها حتى يصير كل ما يقوله هو الحقيقة بعينها .ان هذا لا يعني سوى الاشارة الى جوهر الامر ومضمونه الاساسي وذلك لانه يمكن لاكثر ممثلي الطبقة الثورية عمقا وذكاء ان يخونه ذكاؤه وتغيب عنه فطنته.فهو يبقى انسانا قابلا للخطأ في نهاية المطاف .ولكن ان اندمج بمصالح هذه الطبقة ،فهذا يعني أن أكثر انواع النزاهة والموضوعية والعلمية في البحث قد توفرت له ،ومما يعني أيضا انه ان توفرت الشروط الضرورية الاخرى للمعرفة العلمية ،فانه سيقترب من الحقيقة ان لم يمتلكهـــا .

كما أن هذا يهدف لان يفسر لنا ذلك السعي الدؤوب من قبل التيارات البرجوازية المختلفة لنشر شتى ضروب الاوهام والاضاليل والاكاذيب ونمت ابشع انواع النظريات العنصرية والفاشية بمضمونها والباسها لبوس العلم المزيف .

اذا ،فانه عبر الحزبية وليس عبر رفضها تشق الحقيقة دربها .وليس الحزبية وحسب ،بل الحزبية لاكثر الطبقات ثورية ومصلحة في التقدم .وهنا يتحول التمسك بأيديولوجا الطبقة العاملة ــ الطبقة الثورية حتى النهاية الى حزبية تقع مع الحقيقة في خانة للحقيقة اما عن جهل أو عن عمد ومع سبق الاصرار .

ولا يسعني هنا الا ان اقتبس هذا الدفاع المفعم بالصدق والعمق عن الحقيقة على لسان احد دراويش مصطفى الحلاج في مسرحيته "الدراويش يبحثون عن الحقيقة" ليكون خاتمة هذه المقالة المتواضعة فيقول : "لو استمعت الي يا سيدى لتبينت مثلي جلية الامر..أنا لا اريد ان ادخل في روع المحكمة انى امرؤ ملتاث..لا .. لا اريد ان اتاث يا سيدى بعد اليوم.. اريد ان احتضن وعيي وأفرد جذوره في صميم كياني فامتلئ به كما يمتلئ الكون بنور الشمس.اريد ان يمتلك وعيي الحقيقة كلها..ظاهرها وخافيها .. تأكلني رغبة عارمة طاغية الى أن أجرى وراء الحقيقة وانتزعها حيثما كانت..وفي اى رمس سطعت أريد نورها الباهر يفترش سمائي صبحا وضحى وظهرا ومساء وأناء الليل...اريدها واتشهاها فوق ما اريد امرأة أو بهجة او سعادة او غنى.. حتى الخلود لا ابيعها به .. اريد الحقيقة وقد دفعت في سبيلها حياتي وامراتي واولادي ورداء وجهي ونبض قلبي وضحك عيني... اريدها كانت هي شمس الظهيرة الملتهبة فوق أرض لا ظل فيها ولا دفء ولا جرعة ماء ".

Digitized by Birzeit University Library

تصوير الشخوص في قصص الكتاب الشباب بقطاع غزة

دراسة

بقلم : ابراهيم العلم

حين تجمع القصة بين واقعية المضمون وورومانسية الاداء فانها حينئذ تبلغ من التأثير في القارئ مبلغا كثيرا ولا يعدم القارئ لقصص الكتاب الشباب في الوطن المحتل أن يعثر على هذه الخصيصة واضحة ولا سيما في قصص "محمد أيوب" وزكي العيلة وغريب عسقلاني وعبدالله تايه . وسنعرض لهم في هذه الدراسة ليتبين القارئ دورهم الطليعي الذى لا يقل عن دور القاصين المقيمين بالضفة الغربية .. فان المنابع الثقافية متقاربة بين ادباء الضفة والقطاع كما ان الفريقين يعيشان ظروف احتلال متماثلة مما يجعل من الصعب ان نتبين فروقا اساسية بينهم . على ان قبضة الاحتلال كانت أشد قسوة في سنوات السبعين حين كانت المقاومة عارمة ثم خفت بعد مجازر ايلول وكان الاغراء المقدم لسكان القطاع ذا تأثير سلبي اذ فتحت في وجههم اسواق العمل في المدن الاسرائيلية القريبة والبعيدة ، فنهض القاصون بعد ان استحصدت ملكاتهم يعرضون لواقع الاحتلال من خلال الحفز واعادة الثقة بالارادة .

وفي قصص هؤلاء الكتاب لوحات واقعية تجسد بؤس الحياة لدى الطبقات المحرومة كما في قصة "سلال من لحم" اذ تقفز شوارع غزة من السابلة حين دوى ازيز الرصاص فخف الصبي الذى كان يبيع سلال البوص الى شارع جانبي ضيق عسى ان ينقي الخطر المحدق ولكنه لم ينج ايضا اذ احاط به الجنود وطفقوا يضربونه في وحشية حتى حولوه كومة من لحم على حين تدحرجت سلاله بعيدا فوق صفحة الشارع .

Digitized by Birzeit University Library

ويقول "محمد ايوب" في قصة "هدية من عامل الى معلمه"

" يوم الجمعة هذا اليوم الوحيد الذى يعود فيه مبكرا كل الايام شقاء في شقاء في الساعة الثانية ليلا يرسل سائق سيارة الشحن تغير سيارته يبدأ بفرك عينيه ويتثاءب يسب ويلعن منذ أكثر من خمسة اعوام وهو يعمل هناك .. يستيقظ في الثانية صباحا يتسلل خلال أزقة المعسكر الضيقة في ذات الوقت الذى تتسلل فيه اشباح آدميين من مناطق مختلفة نحو نقاط تجمع السيارات .

ان هذا العامل ليرى خلاصه في حرب الغفران سنة ١٩٧٣ اذ يستشعر السعادة في عمق وهو يرى (المناهيل) بين الاسرى شابكا يديه فوق رأسه .. ولهذا يقرر ان يكف عن شرب الخمر لانه لم يعد بحاجة الى نسيان عبوديته بعد اليوم ...

وتميزت اقاصيص هؤلاء الكتاب بلمسات شاعرية تبدّت من خلال عرضهم للحدث اذ يقوم على ومضات رومانسية عذبة ... انهم قلما يعنون بمتابعة السرد بما يقتضيه التسلسل الزمني للموقف كما فعل "غريب عسقلاني" في قصة " زائر الفجر" ففي الحركة الاولى يقدم مشهدا لحديث قام بين منير وبشير اخيه بعد ان قدم الى الوطن المحتل زائرا .

وفي حركة ثانية يذكر بطل القصة انه مكث اربعين يوما دون عمل بعد اطلاق سراحه فلم يجد بديلا سوى العمل في مصانعهم وفي مشهد لاحق يجوس الكاتب في عالم بشير الداخلي فنطلع على شوقه الى رؤية قريته السليبة. وثمة مشهد للعلاقة التي توطدت بين بطل القصة وشلومو وفي علاقة غير مقنعة بعد ان تعرفنا الى وطنية البطل التي قادته الى السجن "هل شلومو صديقك ؟ يومها كانت اخبار الجنوب مشتعلة وخفت عليه (كذا ؟) هل يركب دبابته وينطلق الى هناك . ويومها وقف المسطرين اكثر من مرة في يدك وكاد اكثر من حجر ان يسقط على قدميك ثم يتساءل وهو المناضل السابق لماذا تظل اصابعه على مقود الدبابة ؟ " فهل ثمة مجال لمثل هذا التساؤل ؟

وتتناول الحركة الاخيرة الحديث على بشير والانباء التي وردت حول زواجه ثم مصرعه فضلا عن العودة الى حديث شلومو الذى يركب الدبابه ويخوض حربا غير متكافئة ضد بشير ورفاقه في الجنوب ...

وتتمثل النفحة الشاعرية ايضا في هذا الاداء الرومانسي الذى يلون اقاصيصهم كهذه الفقرة من قصة "حب مع سبق الاصرار " لزكي العيلة " ... وفجاة وكما البرق انهمرت ابتسامتها السكرية من سقف الكوخ وتسلقت زواياه لتخط بين يديه المشدوهتين حزمة من شمع "

وفي قصة "الحجرة رقم ٣" يتناول عبدالله تايه اكثر من موقف مما يخل بوحدة الانطباع والتأثير وذلك من خلال حديث الراوية الذى يعمل ممرضا اذ يقابل بين صديقه الذى يكاتبه وكان ارتحل قبل سنوات ليعمل في دول الخليج وبين مناضل يحمل السلاح في شوارع غزة

Digitized by Birzeit University Library

لمقاومة الغاصب اذ ينفجر بين يديه لغم فينقل الى الحجرة رقم ٣ بالمستشفى غير أن الاستطراد في القصة يجعل الحدث الرئيسي يتبدد في هذه الدهاليز التي يحفرها في بناء القصة حتى يمكن القول ان كل موقف فيها يصلح ان يكون محورا لقصة قصيرة منفصلة ، مما يحول بين الكاتب وبين الخوض في عالم الشخوص الداخلي بما يكشف الابعاد الانسانية في اطوائها ولعل مرد ذلك الى انه يدير الحديث على اكثر من شخصية رئيسية ، فثمة شخصية "محمود خير الدين" التي صنعها خيال الراوية الممرض واخرى حقيقية وهي لصبي كان قد أبلغ المقاتلين بضرورة مغادرة المخبأ بعد ان كشف جاسوس أمرهـــم ...

لكن الجيش يصل في سرعة الى الكهف ثم يقذفه بالقنابل فيصاب الصبي بجروح بالغة ينقل على أثرها الى المستشفى ويستقر في الحجرة رقم ٣ !...

فكيف سيقتنع القارئ بالشخصية الاولى وهو يقرأ قول الكاتب "فقد اكتشفت ان تفاصيلا كثيرة لم تدر الا في خيالي فقط لاني أحببت محمود خير الدين الرجل الذي صنعه خيالي" فان تراكب الاحداث يجعل وقفات القاص عندها قصيرة عاجلة ، الامر الذي لا يتيح له أن يبدع شخوصا نابضة تعيش طويلا في الذاكرة وهذا الموقف ينطبق على قصة "سلال من لحم" لزكي العيلة فان بطلها الطفل يظل محدود التأثير في النعش فلم تتطور هذه الشخوص بما ينسجم مع تنامي الحدث اذ بدت نمطية اكثر منها انسانيـــة .

وفي مثل هذه القصص تتقدم اللوحة وتبهت عنصر الصراع وهو العنصر الذي ينبغي ان لا تخلو منه قصة ناجحة ولعل شخصية محمود خير الدين الوهمية مثل واضح على تنكب هؤلاء القاصين عن اقامة الصراع في جل انتاجهم الغني على انهم قد اعتمدوا على الحوار والنجوى النفسية في المحل الاول في تصور شخوصهـــــم .

كما اولوا تصوير الحركة اهمية خاصة في ابراز ملامحهم كما في قصة محمد ايوب " هدية من عامل الى معلمه " انحنى جانبا فتح زجاجة وضع فوهتها على فمه وشرب ... ما أسوأ طعمها رفع الزجاجة ، بصق ، ثم اعاد الزجاجة الى شفتيه بدأ دفء غريب يشع في جوفه شرايينه اخذت ترق شرب ، شرب ، دارت الدنيا ، ضحك بصوت مرتفع تحول الاطفال رجالا اطفارهم طالت أصبحت مخالب وسكاكين ومناجل .... عيونهم ترسل شررا حاول الاطفال الرجال تمزيق اولئك الذين يدعون اليوم ... ضحك بكى " .. على حين تضاءلت عنايتهم بالوصف المادي في رسم الشخوص .ففي مجموعة "العطش" القصصية لزكي العيلة لا يطالعنا سوى هذا الوصف السريع في قصة "العطش" . لشخصية ابي ابراهيم المتوفي وذلك حين تتراءى ملامحه لزوجته بين الفينة والاخرى " وكان ابو ابراهيم بشاربه الكبير وقمبازه المخطط وأكتافه العريضة يداعب ذهنهـــا "

ويمكن القول ان الطابع التسجيلي هو الغالب على هذه القصص ولم تتفصل لغة هؤلاء القاصين عن رومانسية الاداء التي برعوا فيها اذ ران عليها مذاق واقعي وبرز من خلالها اللون المحلي الذي يشد القارئ ويستثير المتعـــة ..

Digitized by Birzeit University Library

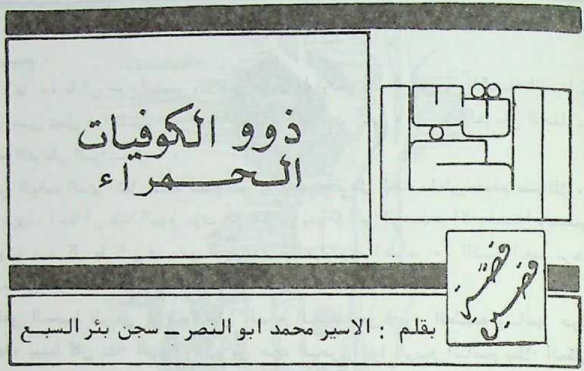

ذوو الكوفيات الحمراء

بقلم : الاسير محمد ابو النصر ـ سجن بئر السبع

وقف الجد سلمان عند كشكه الخشبي الواقع وسط جدعين غليظين لشجرتي كينياء باسقتين وهو يمسك بكلتا يديه الحانيتين كوبا عامرا بالحليب الدافيء ، وبينما كان يرتشف شرابه طفق يحرك ساقيه ببطء وتمهل ثم أخذ يطوف ويتجول بين اصص المزاهر وأحواض الورود التي بدت أوراقها مخضبة بقطرات الندى والباردة.. وكعادته في كل صباح أحب الجد سلمان أن يجوب الممرات الرفيعة لحديقة المدرسة التي يعمل فيها حارسا وبوابا وبستانيا وحتى موزعا لبريد الطلبة وسائسا لدراجاتهم ايضا وفي اللحظة التي عبر فيها من تحت اغصان احدى الصنوبرات المنتصبة بشموخ في محاذاة سياج الحديقة حدث وأن هبط رف من طير الحساسين وحط على عجل فوق براعم اطراف الغصون التي نشأت تتهزهز من جراء سقوط كل هذا العدد الوافد من عصافير الحسون الملونة بالبهاء والجمال ، الامر الذى جعل بعض قطرات الطل تسقط منحدرة نحو الارض .. ومنها من فضل السقوط على كتفي الجد سلمان العريضيتين ، وحتى ان واحدة منها او اثنتين قد انحدرتا في الفراغ الفاصل ما بين ياقة المعطف ، وبين رقبة الجد سلمان ، ولما تفاعلت برودة قطرات الطل ودفيء الحسد الادمي انكمش الجد على نفسه قليلا ، الا أن بهجة الاستمتاع بسماع تغريد العصافير جعلته ينفض منكبيه كما يفعل الجواد بعرفه ، فاسحا المجال لكل ما علق بمعطفه من لآلىء الندى البلورية الوصول لتربة البستان التي كانت تفوح من اديمها المفروش بالخضرة الملونة بالحنى والنوار-رائحة الربيع، ومحاسن الازهـــــــار

وكان صفاء السماء يبشر بشروق صبح اثيرى ماتع حيث بدا المحيط كله يتهيأ لاستقبال أشعة شمس آذار الزاهية .. ارتشف آخر رشفة من كوب الحليب ثم عاد الجد سلمان يمشي الهوينى قاصدا مكان الكشك الذى لم يكن يبعد عن بوابة المدرسة الرئيسية سوى بضعة أمتار

Digitized by Birzeit University Library

قليلة ، وما أن وصل حتى أناخ كوب الفخار الصيني الابيض جانبا وشرع يحدق في فضاء الافق الواضـــح .

" آها .. ما أن تبزغ الشمس وتلامس سخونتها اوداج أشجار السرو والكينباء المتشابكة تلك . حتى تصل دراجاتهم .. آه ما أبهجهم وهم يمتطونها .. انهم كالفرسان الصغار .. تماما كما الفرسان البواســل " .

وفي الوقت الذى اشغل نفسه بفتح البوابة الكبيرة ، ظل الجد سلمان يغمغم متسائلا ..

" ترى . أحقا أن هذا اليوم سوف يمر بسلام أيضا ؟؟ من المستبعد ألا يختبئوا وينتقموا من الاولاد بعد كل ما كان قد بدر منهم من مظاهرات ومشاغبات .. اللهم ابعد شرهم وغضبهم عن الاولاد .. "

وطفق المحيط الريفي يعزف الحان الصبح المنبعثة من هدوء الطبيعة وتناسق حركة مكوناتها ، بينما كان نقاء الهواء الآتي من جهة البحر ونشوة الربيع الناضج يملأ المكان عذوبة آسرة ، وأخذ الفضاء يزيد من وضوحه بينما انسكبت سيول الدفء المحمولة عبر أشعة الشمس ، كما لو أنها خيوط من ذهب ، واحتفاء بصفاء الشروق فقد شرعت اعواد عباد الشمس تحرك اقراصها مديرة أديمها الاصفر قبالة الشرق حيث منبع الضوء والوهج ، وبالتناغم مع هذه الايقاعات تنساب أناشيد فرسان الامل الصغار ، ويصل الى مسامع الشيخ صدى اغانيهم قبل ان تصل اليه دراجاتهم الانية من بعيـــد ...

احنا اولاد العمـــال احنا اولاد الفلاحيـــن
بنخوض دروب النضال احنا ضد المحتليـــن

"ها هم جاءوا .. لقد وصلوا اذن .. آه ما أحلى هذا اللحـــن"

احنا ضد الاستغـــلال وتحكم راس المـــال
احنا بنخوض النضـــال احنا احنا الكادحيـن

الراجلون منهم يأتون من قرية بيت حانون القريبة جدا من المدرسة الزراعية .. أما فرسان الدراجات فكلهم يجيئون من بطن المخيم ومن أطراف الضواحي المحيطة بقريتي جباليا وبيت لاهيا الساحليتين .. وبحبور ظاهر ينشغل الجد سلمان باستقبال فرسانه ثم يشرع يصف لهم دراجاتهم في المكان المخصص لها ، فقد أصبح مع مرور الوقت يعرف لمن تعود كل واحدة منها - انه يعرفها من وجوهها ، تماما مثلما يستطيع السائس ان يعرف وجوه خيلـــه .

"يا الله ما أبركهم وما أروعهم .. انهم يشيعون في النفس الثقة والطمأنينة ، ويزرعون في القلب التفاؤل والامـــل ..

قال الجد ذلك وهو يتأملهم وهم يلفعون اعناقهم الغضة ويجملونها بالكوفيات وواصلت زرافات الشباب ولوج البوابة الرئيسية ، وبينما هم يقذفون باجسادهم الفتية نحو قلب الباحة ويمطرون الجد سلمان بتحياتهم وابتساماتهم الحلوة اقترب منه فايز وهو يقول :

Digitized by Birzeit University Library

- طاب صباحك أيها الجـــد .
- أهلا بك يا فايز طاب يومك كله أيها الابن .
- هل شاهدت أيها الجد الطيب كيف تكالبت بوارج اساطيل الامبرياليين على شواطئ بيروت ؟؟ انهم كالكلاب العاصفة ما فتئوا ينهشون جسدها المجروح .. تصور !! ان مجرد وزن قديفة واحدة يريد عن الطن !! ارأيت أى وحشية وهمجية تلك التي يعاملوننا بهـــا ؟
- في كثير من الاحيان تكون الكلاب ذات نفع عظيم للانسان ايها الابن الفارس ،فحينما تريد ان تتحدث عن هؤلاء الاشرار فما عليك الا ان تنعتهم بأنسب ما يليق بهم ، وينطبق عليهم . انهم نازيون قتلة ، وفاشيـــون سفلة ، هذا أقل ما يمكن ان يقال عنهـــــم .
- حقا أيها الجد الطيب .. ان ما قلته لصحيح . ولكن لا عليك يا أبتي فالمستقبل القريب سوف يكشف لهم ويعلمهم من تكون بيروت هذه . ومن هم فرسانهـا ...

وما أن هم فايز بالمغادرة حتى استوقفه الجد بقولـه :

- اسمع يا ولدى النبيه . في المرات القادمة عليكم ان تزيدوا من انتباهكم وحذركم أكثر .. ان مظاهرات الامس كان يسودها عدم الانتظام والفوضى الزائدة .. في اعتقادى انهم سوف لن يفوتوها لكم .. احكي هذا للاولاد ..
- لا عليك .. نحن لها .. لا عليك أيها الجد العاقـــل .

وتوالى الوصول ، فهذا عمر يرافقه حسني وأشرف وصفوان ، ويتبعهم سعدى ومروان ومحمد وعلى وغسان . وظلت جموعهم تتوافد الى ان حان موعد الدخول الى الصفوف حيث سمع رنين الجرس يدوى في كل الارجـــاء .

Digitized by Birzeit University Library

ابتلعت ابواب الصفوف الضيقة كل من كانوا حضورا في باحة المدرسة من تلاميذ . وعاد هدوء الصباح يلف دنيا الجد سلمان الصغيرة ،وفقط الموسيقى المنبعثة من صوب الحديقة المطوقة بأشجار البرتقال والبلنسيا هي التي كانت تعزف الحانها .. رفرفة الفراشات وهدهدة الحمام . وأزيز شغالات النحل التي ما لبثت ان غادرت خلاياها .. ناشدة امتصاص الرحيق .

"هذا هو اللحن الذى أحببت يا وطني " بنشوة واستمتاع انطلقت هذه الكلمات من بين شفتي الجد سلمان ، ذلك قبل أن يسمع من بعيد صوت تحطم دفتي بوابة المدرسة الرئيسية التي كان توا قد أحكم اغلاقها .

" أها .. لقد حزرت اذن .. ها هم يأتون رغبة في التنكيل والاستقام "

وما هي الا لحظات حتى كانت باحة المدرسة تعج بسيارات الجيب العسكرية ، والمصفحات المكتظة بالعساكر الذين شرعوا من فورهم يقفزون من أحشائها وهم يحكمون الطوق حول صفوف التلاميـــذ .

لم تكن هذه هي المرة الاولى التي يهتكون فيها حرمةالمدرسة ولم تجد نفعا كل اشكال العرائض والاحتجاجات التي عملت على تقديمها ادارة المدرسة ، بل انهم دأبوا على الاكثار من معاودة غاراتهم الشريرة هذه .. وفي كل مرة يقومون باعتقال البعض وبهينون البعض الاخر .. وها هم اليوم يأخذون معهم فايز وحسني وصفوان وآخرين ايضا ، ولم يفكوا أسر المدرسة الا بعد ان أخذوا ما يريدونه . ومن ثم انطلقت المظاهرات من كل انحاء المدرسة والقرية والمخيـــم .

xxxxxxxx

– أرجو ان تفهمني جيدا يا فايز ، لقد عملت من جانبي ان لا يأخذك الجنود الى الزنازين حيث أخذ الباقون ، وأرجو من جانبك أن تراعي ذلك ، وقبل ان ابدأ معك الحديث أريد ان اعرفك باسمي " محسوبك المحقق ابو زيد "

– والله وال ....

– ما الذى تعنيه كلمة " وال " هذه.لقد درست اللغة العربية بقواعدها وآدابها ولكني لم أسمع بهذه الكلمـــة ؟

– انها كلمة تليق بمقامك يا حضرة الخواجـا .

– اشكرك يا فايز على هذا الاحترام وأستطيع ان اقول بأنها بداية حسنة ، وآمل ان نخرج من هنا ونحن متفاهمان .

– أنا لا اعتقد ذلك مطلقا يا حضرة الخواجا .

– ولماذا يا فايز..؟ ان كل ما اطمع فيه هو أن تكون صاحبا لي وهذا كل ما في الامر .

– من الافضل لك ان تحكي عالمكشوف وتقول بأنك تريدني ان اشتغل معك مخبرا وجاسوسا وليس صاحبا لك مثلما تدعـــي .

– وما وجه الغرابة في ذلك ؟! المهم في الامر اننا سنتفق ونغدو اصحابـــا .

Digitized by Birzeit University Library

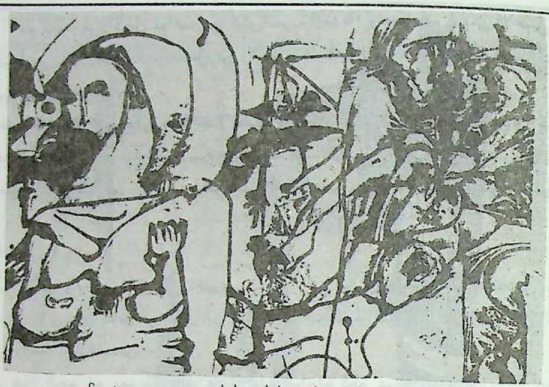

ـ طيب .. وما الذى يمكنك ان تعطينى اياه مقابل صحتي معـــك ؟

ـ أنا .. أنا سوف اعطيك الكثير من النقود .. و .. وكل ما ترغب فيه .

ـ أها .. ولكن اسألك ماذا تريدني ان اقدم لك مقابل كل هذه النقود .. يا حضرة الخواجـــا ؟

ـ مجرد امور بسيطة سنتحدث عنها فيما بعد .. المهم الان ان تخرج متنفس وكفى ..

ـ سوف نخرج من هنا متنفس في حالة واحدة فقط .

ـ في اية حالـة تقصـــد ؟

ـ أقصد حينما توافق على كل ما سأطلبه منك .

ـ أنا سأكون دائما تحت أمرك ورهن اشارتك يا فايز .. تكلم وأطلب وستجدني حاضرا للتنفيذ .

ـ أريدك أن تكف فورا عن ممارسة اعمالك القاسية والشريرة هذه . وتشتغل منذ الان جاسوسا ومخبرا لحسابي !! هل توافق يا حضرة المحقق ؟؟

ـ ما .. ذا ... تقو...ل ؟؟

ـ أعتقد انك قد سمعت جيدا كل ما حكيته لك .. ومرة أخرى اعيد .. اريدك أن تشتغل جاسوسا ومخبرا لحسابي .. فهمت الان يا حضرة الخواجا .

وسكت المحقق هنيهة وتكلم وهو لا يزال واقعا تحت تأثير فعل الدهشة والانذ هال ..

ـ ولكن كيف يمكن ان تدفع لي نقودا .. انا بمقدوري ان اسحب النقود الكثيرة من بنك الحكومة .. أما انت فاراك عاجزا عن شراء دراجة من النوع الرخيص .

ـ انك مخطىء تماما يا حضرة المحقق .. بمقدوري ان اجمع لك خلال وقت قصير جدا مبلغا كبيرا من المال . كل انسان من سكان مخيمنا يمكنه ان يدفع قرشا .. فقط ما عليك الا ان توافق .. اني انصحـــك .

ـ فاذا ما حدث وأن وافقت على طلبك الغريب هذا ، فبماذا يمكنني أن أفيدك وأخدمك ؟

ـ أول شيء اريدك أن تفعله هو ان تقلع عن فكرة انتحالك الاسم "ابو زيد" هذا .. لان

Digitized by Birzeit University Library

هذا الاسم يعود في الاصل لواحد من كبار العرب القدماء وشجعانهم ، ومن الاحسن لك أن تبدأ من الان فصاعدا بالتعامل مع الاخرين باسمك اليهودى .. عفوا اقصد اسمك الصهيونـــي الصريـــح .

كان فايز مسترسلا في حواره هذا بثقة مطلقة وتماسك عنيد هذا في الوقت الذى اخذت تقاطيع وجه المحقق تزداد توترا بتأثير شدة الغيظ ونكسة الفشل ، الا انه آثر على ان يظل كاظما غيظه لرغبة منه في التعرف أكثر على أفكار فايز ، وتكلم بصوت يشوبه التهدج والانفعال .

ـ وماذا ايضـــا إ!

ـ الشيء الاخر والمهم أكثر ان تخبرني بأسماء كل الذين وافقوا على التعامل معك كمخبرين . وبشكل خاص أن تقول لي اسم ذلك الجاسوس الرخيص الذى وشى اليك باسمي وأسماء زملائـــي .

وعند هذا الحد لم يعد المحقق قادرا على مواصلة كظم غيظه فنهض من فوره منقضا كالوحش الكاسر معتديا على جسد فايز بالضرب العشوائي المبرح وهو يصرخ ويقول :ـ

" وماالذى تريده ايضا يا ابن الكلب ؟ سوف اسحق لك رأسك العنيد هذا ، ان لم تعترف لي الان .. الان عمن علمك كل هذه الفضحنات يا ابن الديوس .. يا عربي يا كلب "

ثم اعطى الجند امرا بمهاجمتـــه .

xxxxx

ومرت الايام تلو الايام ، وفايز ما زال غائبا في الحبس مسلوب الحرية ومصفوفا بالقيد .

لقد عاد حسنى وعاد صفوان ورجع الاخرون ،وفايز لم يعد ومع اشراقة كل صبح ، كان الجد سلمان يقف عند كشكه الخشبي المغطى بألواح الزينكو الملطخة بالقار الاسود ويعمل على تفحص وجوه فرسانه ، يبحث من خلالها عن وجه فايز .. وتعاطفا مع ذلك الغياب حتى جنة الجد سلمان الصغيرة والمحيطة بعالمه الصغير هذا ، ما عادت هي الاخرى تعزف الحانها المفرحة والسعيدة ، وحتى ورود الحدائق ومباهج مزاهرها قد أزالت من على صفحات وجوهها البسمات وحل محلها الحزن الاسيـــف .

xxxxxxx

جاء نيسان وأقبل صبحه الاول ، وكان لشمسه الحلوة البهيجة واقع خاص في النفوس، حيث ما برحت سهام أشعتها تنغرس في أديم الارض باذرة في رحمها التفاؤل وبذور الحب والنبات والامل ، وعلى حين فجأة عمرت مساء المدرسة وأفق رياضها أسراب غفيرة من طيور الشورس النادرة المرور . وشاغل الجد سلمان فكره في متابعة الهيئة والطريقة التي أخذت فيها التوارس تدفن أجسامها المنهكة من عناء السفر داخل هياكل الشجر الواطئ آملة في كسب الراحة والغذاء وفي هذه الاثناء جاءه صوت غسان يسأل من الوراء :

ـ أين انت ايها الجد الطيـــب ؟

ـ ماذا وراءك يا غسان .. هذا هو أنا تعال واحك ما تروم ..

ـ البشرى لك أيها الجد العامل .. أمس كنا قد احتفلنا في المخيم بمناسبة خروج

Digitized by Birzeit University Library

رفيقنا فايز من الحبس .

ـ كفاك مزاحا يا غسان !! اتعتقد اني فقدت ذاكرتي اليوم هو الاول من نيسان ، ومنذامس وأنا أتهيأ لمثل هذه الترهات .. اذهب يا غسان .. اذهب .. اياك وأن تمازحني على هذا النحـــو .

ـ ولكني لا أمزح أيها الجد الطيب .. صدقني .. أنا لا أحكي الا ما هو حقيقة .. انظر هناك .. انهم آتـــون .

احنـا اولاد العمـــال احنـا اولاد الفلاحيـــن
بنحوض دروب النضـــال احنـا ضـد المحتليـــن

وقال الجد والفرحة تغمر كل كيانه .

" يا الهي .. انه فايز حقـــا "

وابتسمت الازهار وأنشأت الطبيعة تعزف موسيقاها الشجية وترسل بألحانها العذبة نحو الافق الواعد وبدا كل ما هو محيط مختفيا برجوع فايز .. منتصرا من جوف الحبس المظلم والرهيـــب .

Digitized by Birzeit University Library

الخطوات

بقلم : مارك رازومين* ـ ترجمة : يعقوب اسماعيل

كان يوما مشرقا ،مشمسا وكنت أجلس على أحد المقاعد الكثيرة والمتناثرة في حديقةالمدينة. بين يدى استقر كتاب عن تطور الانسان والحضارات القديمة،أزمعت منذ فترة طويلة على قراءته.من حولي وكما خلية النحل ،ضجّ الاطفال يلعبون،أما بالقرب مني فقد جلست أم شابة ترقب باعجاب شديد صغيرها الذى ما فتئ يدور في مكانه عند قدميها ،وقد حررته من حضنها رغم الخطر الكامن في ذلك، كانت والدة الصغير تفتح ذراعيها وتتركه وحيدا ،لتعود من جديد والفرح يغمرها فتشرع ذراعيها لمساعدتـــه .

القيت بالكتاب جانبا ،وجلست باهتمام أرقب هذه الاعجوبة ! انسان جديد تعلـم المشي ،لقد كان يقوم بأولى خطواته المترددة ،وهو لا يدرى ولا يفهم ما الذى سيكون أو سيحدث معه ،وما الذى سيجلبه له الزمن في مستقبل الايام .مستلهما بمخاطرته وصارخا باعجاب ،عاد الصغير الى حضن امه ،وتطلع بعينيها ،سائلا اياها والكون جميعه بفخر :ـ أترون .. ، كم أنا ممتاز ؟!

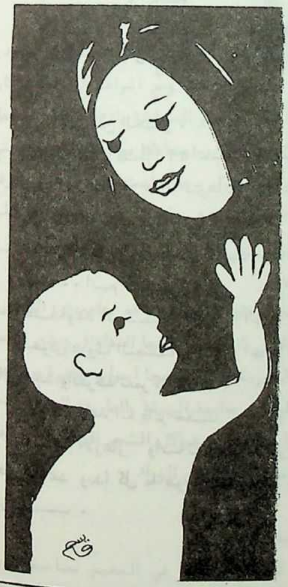

* المؤلف سبق التعريف به في عدد سابق

Digitized by Birzeit University Library

باتجاه مقعدنا سار انسان متعب .. عجوز !وكان واضحا من خطواته البطيئة المتعبة أنه وصل الينا بقواه الاخيرة ومتعكزا بتثاقل على عصاه ،جلس العجوز بغير ما ثقة ،بعل طويلا وبشدة ، ثم تطلع الى الصغير المبتهج ،فاغرورقت عيناه بالدموع ...

(صعب . .صعب للعجوز ،وصعب للطفل .كل الخطوات التي يمشيها الانسان في طريقه .. نسميها نحن بالحيـــاة ، و ...)

لم يستطع الصغير الاستمرار .فقد روحه المرحة ،وقع على الرمل . وطفق يبكي ! فزعت الام واستدارت نحوه ثم وضعته في حجرها .أما الطفل ،فكأن شيئا لم يحدث ،وبدأ يخطو من جديد .. تطلع نحو امه بعيون مشرقة وضّاءة .كان راضيا وسعيدا بنفسه ،يتحرك في مكانه على الارض بأرجل قوية .لم يكن يرغب حتى باستراحة يلتقط بها أنفاسه !

ـ العمل يتطلب التشجيع ..!

أخرجت الام قطعة شيكولاته وقدمتها للمترجل الشجاع قائلة بصوت متأثر من السعادة :

ـ هيا .. خذ هذه يا عزيزي لاجل خطواتك الاولى !

نظر العجوز بتأمل عميق نحو الطفـل :

ـ أي ، نعم .. جميعنا نحظى بالرضى والقبول ،ونتلقى العطاء أيضا لخطواتنا الاولى .. ولكن ماذا يتبع خطواتنا الاخيـرة ؟.. وربما .. أنه ليس الجميع استحقوا كلمات الاطـراء هذه : "تفضل وساما .. أيها الذكي ،فلقد عشت حياتك بشكل جيد وصحيح !.."أوى .. كم لا نستحق ذلك ..! ولكن المعزى ..في أننا أدركناه ..رأيناه (ولكن هل حقا رأيناه؟) متأخرا جدا ؟..فكر في هذا أيها الشاب ،فكر .. فكل شيء ما زال أمامك في المستقبل .. لم يفت عليك الوقت بعـــد !..

صمت العجوز مطرقا برأسه طويلا ،وما لبث أن قام وانصرف غير ملتفت حوله ،ومتعكزا على عصاه .لقد كان يقوم بخطواته الاخيره بصعوبة كبيرة .أما الصغير فقد تعلم المشي .. وكان ذلك رائعا !..

Digitized by Birzeit University Library

بائع السوس المتجول

حسين جميل البرغوثي

(الى فوزى البكرى : صعلوك القدس القديمة وضميرها)

يا لجان طايرة !
علجبال العالية !
قولي لامي وابوى :
القدس راعية !
ترعى وز !
وتمشي غز !
وتنام تحت الدالية !
"مال الصمود " ومالنا !
بنا نعيش عيالنا !
مالكم ومالها ؟
فالها عحالها !
صامدة ولو حافية !.
تعال أرّب !
سوس بارد ومجرّب !
اللجنة المشتركة !
وستين طبقة وتنكة !
داعمته !
لو مرة ذقته !

بتصفي مخرّب ومهذّب !
سوس بارد ومجرّب !
عمته مية ، في الميه وعاملته
لجنة مرخصة ومرخوصة !
يعني فيها لفلفات وتعرصة !
منشان الشارب يتعصّب !
سوس بارد ومجرب !.
يا طيور طايرة !
عالجبال العالية !
قولي لامي وابوى :
القدس غالية !
ترعى غنم !
تعبد صنم !
وتنام مثل الحلم ... صافية !.
اللي باع حاله باعها !
واللي جاع معها ذراعها !
مالكم ومالها ؟
فالها عحالها !

Digitized by Birzeit University Library

مامدة ولو عاريه !.
يا بياع الشرابات !
وقف ! بالله ! صب وهات !
والفيللات بالميات !
والشيكات موقعات !
والستات تغنيلوا :
أرب ! أرب !
سوس مجرّب !
والضماير تناديله :
حنتش ! بنتش !
واللي بلحق بنتش !
توقيعك وتذبيله !.
يا طيور طاير !
عالجبال العالية !
قولي لامي وابوى :
" جبينه صابرة !
توكل شوك
وتغفى هيك :

عذرا جنب الساقية !.
مال الظل ومالها !
ورده بين اجيالها !
بس المية لحالها
مثل النبع عارية !
قايمة نايمة !
صاحية حافية !
تحت القمر
بين الشجر !
عين الضبع
فوق النبع !
مال الضبع ومالها ؟
فالها محالها !
معلش ! شو صار ؟
الحرة شعلة نار !

معلش ! مش عيب !
عذرا جنب الذيب !
مين بدو يصيب
حرة جنب الساقية ؟
مثل المية بحالها
مثل النبع طاهرة !
قدك جنبك يا مشردها واللي معها عالحلو والمر !
واللي بخفي عنها شغله
واللي قلك انه بحبك قاعد بقبض باسمك عمله !
والصحيفة مش معروفة :
قبضت وصارت حبر بحبر !
وبتكذبلك كذبة كذبة !
تنها تتعب لما تسحب وعيك ـ قلبك سحبه سحبه !
واللي كتبلك انه بحبك قاعد اشكل باسمك شلّه !.
يا طيور طايرة !
في الليالي الصافية !
قولي لامي وأبوى :
"جبينه " صاحية !
توكل لوز !
وبدها جوز !
كله صحه وعافية !.

Digitized by Birzeit University Library

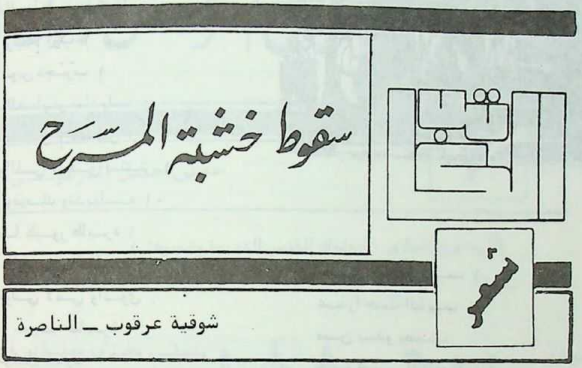

يتزلق القطـــار
سكين الجزار نافـــذة
تتدلى على شوارع مأساتـي
ينتظرني عند الفجر حذاء موحـل
صـدر ، جسـر جفـن
اصيب برصاصة طائشـة
فأصبح صقيـع دافـئ

xxxxx

كانت الايام طفلـة
لم تعرف بعد نزيف الصليـب
وساعـات الانتظـار
العشاق فقـط يعرفـون
معنى تأمـل بـلاط الاميـال

xxxxx

قرعت خشبـة المسرح بغضـب
الليلة ستتبعثر ملامـح الابطـال
سيلتصق انف البطلة فوق
قبعة احد المتسوليـن
وفمهـا الزهـرة السـوداء
على رموش فـأر خسيـس

xxxxxx

يثير قرفي هذا الرثاء الخافـت
وعكاكيز الصقور الهاربـة
ارثي للشتاء ، للاشجـار الحنـاء
للقصائد العصماء ، لعيون الامهات
ارثي لاسنان قضمـت الحلـم
ولـم تستطـع هضمـه

xxxxxx

سيداتـي ، آنساتـي ، سادتـي
سقطت خشبـة المسـرح
وافـرج عـن كـل المسامير
وعروسي متعبـة سنبلة قمح اذبلها الحنيـن

Digitized by Birzeit University Library

مقابلة مع

الكاتب كايد أبو حشيش

اجرى الحوار : عمر حمش ـ غزة

ـ متى بدأت الكتابة ؟

لقد بدأت كتاباتي اثناء وجودي داخل المعتقل وكانت كتابات جادة اما ما قبل ذلك فهي محاولات بدأتها وأنا تلميذ في الاعدادية .... وبعد خروجي من المعتقل وسفري الى القاهرة لتكميل تحصيلي العلمي .. أتيحت لي الفرصة لازيد من معلوماتي الثقافية وبالتالي دافع قوي للكتابة

ـ ما الذي تكتب عنه ؟

ليس هناك تحديد معين لما اكتب ،لايماني بان الكاتب يجب ان يمارس كل الاتجاهات .. لقد كتبت الشعر بالفصحى والعامية على حد سواء وكتبت المقالة الادبية ،والسياسية ،واحاول كتابة القصة القصيرة ،أما الان فأنا اكتب عن التراث الشعبي .

ـ ماذا يعني التراث بالنسبة لك ؟

التراث عندي يعني "الهوية"يعني " الوجود" فهناك مثل شعبي يقول "اللي ملوش قديم ،ملوش جديد" من هذا المنطلق أتعلق بهذا القديم ،واحاول اظهاره بقدر ما استطيع .

ـ هل تطالب بأبدية تراثنا وعدم اندثاره ؟

ليس تعلقي بالقديم يعني مطالبتي بأبديته !!.... لا ...التجديد مطلوب ،ولكل عصر متغيراته لكن هذا التجديد لا يمنع من كتابة تراثنا وحفظه ليتسنى لهذا الجيل والاجيال القادمة ان تأخذ فكرة عن كيفية تعامل ابائنا وأجدادنا مع الحياة ،هذا من جهة ومن جهة ثانية هناك من يحاول سرقة هذا التراث ونسبته اليه،خذ مثلا الثوب الفلسطيني يباع في اسواق الخارج على انه ثوب اسرائيلي وغيره وغيره ... أفلا تلاحظ اننا نعيش صراعا تراثيا في منطقتنا ...؟!

ـ الكتابة في التراث لم تأخذ ذلك البعد الذي أخذته القصة والشعر في الارض المحتلة" لماذا ؟ ومن يتحمل المسئولية ؟ !

أولا . لان الكتابة في التراث ليست كالكتابة في القصة أو الشعر ، فالتراث يلزمه جهد أكبر من حيث البحث وجمع المعلومات ، ودقتها .

Digitized by Birzeit University Library

ثانيا الظروف التي تعيشها المنطقة لها التأثير الاول في هذا الاتجاه ... ولكي يعطي الاديب دوره لتوصيل الكلمة الهادفة الى الشعب ،فهو يختار الاسهل ،والمؤثر في آن واحد مما ادى الى اهمال فروع كثيرة من الادب وليس التراث وحده،وتتحمل جامعاتنا مسؤولية هذا الاهمال فهي قادرة على البحث والتركيز وفتح المجال لتدريس التراث فيها ،والمجلات الادبية وكذلك الملتقى الفكري...اي تستطيع هذه المؤسسات ان تولي هذا التراث شيئا من اهتمامها ولو على الاقل بعمل ندوات يتحدث فيها المختصون عن تراثنا وأهميته ،ومن المؤسف ان يكون هناك يوم عالمي للتراث الفلسطيني وهناك من يوجد في الارض المحتلة ولا يعرف على الاقل عن هذا اليوم شيئا ... !!

- ما هو انتاجك السابق ؟

لقد صدر لي كتيب "أغاني بادية فلسطين" في اواخر عام ١٩٨٠ وهناك مجموعة من القصائد حصيلة ما كتبته في الخارج ونشرت معظمه في مجلات وصحف عربية واذكر منها مجلة "اليقظة" الكويتية.كما قمت بكتابة كتيب عن المنطقة من بداية حرب حزيران حتى اواخر عام ١٩٨١ عالجت من خلاله اوضاع المنطقة واسميته "الطريق الى القدس" ،وهناك ما يحول دون نشره .

- بماذا تفكر بالمستقبل ؟

بالنسبة للمستقبل القريب افكر بجمع ما كتبته عن التراث واصداره في كتاب "الوان من التراث الشعبي" واعد نفسي لعمل دراسة تحليلية للشعر البدوي ... كما ارغب في اعادة تنقيح كتاب "الطريق الى القدس" مماشاة مع المستجدات التي طرأت على الوضع الداخلي والخارجي هذا اذا سنحت لنا الظروف .

- هل تواجه مشاكل في كتابتك عن التراث ؟

من في منطقتنا لا يواجه مشاكل ؟! فخذ مثلا بسيطا قامت السلطة قبل ايام بجمع كتابي "اغاني بادية فلسطين" من السوق بدون سبب مقنع ،مع العلم بأن الكتاب صدر قبل اربع سنوات تقريبا .وهناك مشكلة الحذف الناجمة عن مقص الرقيب في بعض المجلات والصحف اذ تعطي للبحث صورة مشوهة مما تضر بالبحث وبالكاتب على حد سواء .والمشكلة الاكبر ابناء البادية فهم ينظرون الى الكتابة عنهم بأنها تجريح لهم وليس توضيحا واظهارا لعاداتهم وتقاليدهم .

- طرح الشاعر العراقي سعدي يوسف مشروع الجبهة الثقافية للدفاع عن الثقافة العربية بعدما لاحظ من هبوط واعتداء عليها ، كيف ترى امكانية الدفاع عن ثقافتنا داخل الوطن المحتل؟

بالنسبة لنا في الداخل ولعدم قدرتنا على الاتصال بالاخوة خارج الوطن ... اري بأنه يجب علينا العمل بتكوين "جبهة ثقافية فلسطينية" داخل الارض المحتلة تكون بمثابة امتداد للجبهة الثقافية العربية ،وبهذه المناسبة أدعو جميع المهتمين بأمور الثقافة ان يأخذوا من نداء سعدي يوسف نبراسا لهم وأن نعمل جاهدين لاحياء هذه الفكرة في وطننا .

Digitized by Birzeit University Library

يا كتّاب الأرض المحتلة اتحدوا ضد الملتقى الفكري ودائرة الكتاب

أسعد الأسعد

الانطباع الوحيد الذى يخرج به القارى للقاءات التي اجراها الزميل عبد الكريم سمارة في العدد الثاني والاربعين من مجلة العودة ، وهي تأكيد الشعار الذى استهل به الزميل سمارة موضوعه المذكور في الزميلة العودة ، مضافا اليه الشطر الثاني من الشعار ، ومعذرة للصديق الذى سبقني الى طرح هذه المقولة والتعليق على الموضوع .

ان القارئ لما طرحه الزملاء في العودة ، يخرج بانطباع مفاده ان الادب الفلسطيني في المناطق المحتلة بخير وعافية ، لولا جمعية الملتقى الفكرى العربي ، ودائرة الكتاب ، التي تفرض وصايتها على الكتاب ، فتحد من طاقاتهم ، وابداعاتهم ، وتعرقل مسيرتهم ، وتقوض نشاطهم وطموحاتهم .... كذا !!

سأحاول هنا مناقشة ما طرحه الزملاء ، محاولا القاء الضوء على بعض القضايا التي كنت أفضل عدم التطرق اليها ، في هذه المرحلة ، التي نحرص جميعا على احترامها ، خوفا من الوقوع في المحذور الذى نخشاه جميعا ونحرص على أن لا يقع .

يقول الدكتور جمال سلسع " لقد ابتلينا بدائرة الكتاب ، التي تقبل وصاية الملتقى الفكرى ، ان الادب الثورى يرفض الوصاية ...الخ" ان الحديث عن الابتلاء ، يجرنا الى طرح سؤال ، من الذى ذهب الى الاخر ، نحن ام الملتقى الفكرى ، لقد تعبنا قبل ان نجد مظلة نستظل بها ، فأين الوصاية التي تحدث عنها الزميل الدكتور سلسع ، اذا كنا نحن الذين اخترنا ولنفرض جدلا ان الملتقى الفكرى يحد من نشاطنا الادبي ، فلنسأل أنفسنا جميعا ، ماذا قدم كل منا للدائرة ، وللحركة الادبية ، عقدت بعض اللقاءات الادبية من نقد أو مناقشة أو ندوات فكم كان عدد الذين حضروا ، ثم اذا كان لدى الكتاب شكل آخر أفضل فلماذا لا يقدموه ، نحن لم نوقع مع الملتقى الفكرى عقدا كاثوليكيا . بل ان العصمة بيدنا ونستطيع الطلاق متى شئنا .

Digitized by Birzeit University Library

أما عن الهيئة الادارية . فقد انتخبتها الهيئة العامة في حينة ، وانتهت مدتها في شهر اكتوبر الماضي ،وطلبت منها جمعية الملتقى أن تقوم بعملها الى حين انتهاء الحوار القائم للخروج من الازمة ، فلماذا نتعامى عن رؤية الحقيقة ، وأما عن مطالبتك بالخروج من وصاية الملتقى الفكرى ودعوة الكتاب الملتزمين وطنيا لانشاء دائرة جديدة ورفض أية وصاية ، فاعتقد أن لقاءات عديدة قد تمت في الشهرين الاخيرين وكنت اتمنى عليك لو حضرت هذه اللقـــــاءات .

أكرم هنية :ـ يبدأ الزميل أكرم هنية حديثه بنفي قانوني وواقعي لدائرة الكتاب ولست أدرى كيف توصل الى هذا الواقع القانوني ،وأود ان اذكره فقط بأن دائرة الكتاب هي دائرة في الملتقى الفكرى ، ضمن دوائر مختلفة ، تتبع الملتقى ، وحين دخلنا الى الملتقى ، وافق الجميع على ذلك ، وكان الزميل هنية معنا حينئذ والملتقى كان ولا يزال يؤكد لنا ، بأن دائرة الكتاب ليست البديل عن اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الارض المحتلة ،بل انه يرحب في اقامة مثل هذا الاتحاد ، غير أن قيام هذا الاتحاد لا يلغي مشروع الملتقى في اقامة دائرة للكتاب ، وعليه فان الكرة بيدنا منذ أن بدأنا العمل في دائرة الكتاب تحت مظلة الملتقى الفكرى ،فان شئنا بقينا ، وان شئنا خرجنا ، أما اقتراحك الذى ناقشته مع الكثيرين ، وأنا واحد منهم ، فأنت تعرف أن لا أحد يعارض ذلك ، بل العكس ، فقد بدأنا خطوات عملية لتحقيقه مع تأكيدى على أن عقد الندوات ومناقشة الكتب ، واستضافة المحاضرين والنقاد وغير ذلك ، كان ضمن برامجنا التي وضعناها قيد التنفيذ ، غير ان مقرر الدائرة في حينة الزميل على الخليلي ، أوقفها دون مبرر ، وكانت أولى الندوات في جامعة النجاح . وللامانة أقول ، أن الملتقى الفكرى لم يتدخل في برامجنا هذه مطلقا ، أقول هذا ليس دفاعا عن الملتقى الفكرى ، ولكنها الامانة والموضوعية ، ان الشجاعة تلزمنا الاعتراف بخطئنا ، وتقصيرنا جميعا ليس الهيئة الادارية فحسب ، بل الملتقى الفكرى والهيئة الادارية والهيئة العامة ، وان كان هناك من يقول عكس ذلك ، فهو يبتعد عن الموضوعية ،ومع ذلك ،فنحن مع اقامة شكل جديد يتفق عليه الجميع اذا كان هذا ما يريده الكتاب وان كان هناك من يتحدث عن الوصاية فنحن نصر على رفضها اكثر من أى كاتب آخر، مهما كان شكلها ، وما دمنا بصدد البحث عن تشكيل اطار جديد والجميع يوافق على ذلك ، فلا داعي للتهرب من مواجهة الواقع ، والاعتراف بما حدث. والذى يتلخص بمسؤوليتنا الاساسية عما حدث ، وتقصيرنا جميعا قبل الملتقى الفكرى .

على الخليلي ـ " ان الدائرة تعاني أساسا من وصاية الملتقى الفكرى الذى يستخدم ما يراه حقا في فصل أو تجميد عضو في هيئة دائرة الكتاب أو الهيئة بكاملها .... الخ "

يستطرد الشاعر على الخليلي ويسهب في الحديث عن الوصاية والفصل والتجميد ، وعدم تقديم المال لتنفيذ الندوات وبرامج النشر وغير ذلك ، قد يكون هناك شيء من الصحة في قضية المال ، غير أنني أود أن أذكر فقط أن الملتقى الفكرى انفق على المهرجانيين الاول

Digitized by Birzeit University Library

والثاني ، وقام بطباعة كتاب المهرجان الاول ، ثم ان الندوات لم تكن بحاجة للمال حتى تعقد ، وقد قمت أنت بنفسك بالغاء برامج الندوات وأما القضية الاخرى والتي كنت أود عدم التطرق اليها . فهي أن سجل اجتماعات الهيئة الادارية لدائرة الكتاب ومحاضر جلساتها تؤكد تغيبك بنسبة تزيد عن السبعين بالمئة من مجموع الجلسات ناهيك عن تغيبك عن كل نشاط كان يعقد أيام الجمعة ، حتى يوم الانتخابات تغيبت عنها رغم أنك مرشح وعلى رأس القائمة ، بالاضافة الى ذلك فقد استنكفت نهائيا عن الحضور منذ شباط ١٩٨٣ ولم اسمع عن فصل أو تجميد أحد قط ، وكنت أتمنى على الزميل الخليلي ذكر اسم واحد فصل أو جمد دون اطلاق التهم جزافا من عند القـــوى .

هذا باختصار بعض ما أردت قوله للزملاء وكنت اود لو أن مجلة العودة والزميل عبد الكريم سمارة بالذات قام بدعوة عدد من الكتاب الى ندوة مفتوحة ، لمناقشة وضع الدائرة واستمع الى مختلف وجهات النظر بدل لقاء عدد من الكتاب لتكريس مقولة " يا كتاب الارض المحتلة اتحدوا ضد دائرة الكتاب والملتقى الفكري" .لست مدافعا عن الملتقى الفكري ولكني أؤكد حقيقة يعرفها الجميع بأننا نحن الذين ذهبنا الى الملتقى الفكري ونحن القادرون على الخروج منه اذا كنا جادين في تأسيس بديل قوى ،بعيدا عن تكتيك الهيمنة والوصاية وليس هناك أحد يعارض قيام ذلك ، أما اذا كان هناك من يريد تفصيل اتحاد للكتاب حسب مزاجه وضمن تصوره الخاص والضيق ، فسوف لن يتحقق له ذلك ، ولن يكتب له النجاح ، اذ أن ما لم يصح أساسه ، لن يصح بناؤه ، وليس أمامنا الا العمل سوية لتحقيق الطموحات المشتركة ، ونبذ الخلافات والانطلاق من قمقم الاوهام ، الى الحقيقة الساطعة والتي تتأكد يوما بعد يوم ، وهي أن ليس هناك أحد قادر على فعل شيء بمعزل عن الاخرين ، ومن كان يعتقد بأنه قادر لوحده فهو دليل عجز ودليل استمراره في نفس النهج والتوجه ومعالجة الامور . ليس هناك من يختلف على ضرورة الخروج من المأزق الذى تعيشه الحركة الادبية والثقافية في المناطق المحتلة ، لكن الاختلاف على التصور ، فرغم أننا بدأنا خطوات عملية بحضور عدد كبير من الذين تحدثوا في لقاء الزميل عبد الكريم سمارة ، واتفاقهم جميعا على الخطوات العملية الا أن البعض يصر على الهرب ، وعلى البحث عن "شماعات" يعلق عليها أخطاءه وعيوبه ، كان من الممكن ان ندعو الى توجيه رسالة شكر الى الملتقى الفكري على استضافته لنا ورغبتنا في تشكيل اطار آخر مع المحافظة على العلاقة الحسنة مع الاخوة والزملاء في الملتقى الفكري ، ودعوتهم الى التعاون وتبادل الخبرات ، بدل الهجوم عليهم وتحميلهم مسؤولية ما ارتكبناه نحن ، وما قصرنا في أدائه ، وبعد ، فانني أرى ، أن يغلق النقاش ، وأن يدعى الى اجتماع موسع تناقش فيه أوراق عمل محددة ، حتى نتمكن من الخروج من المأزق الذى فصلناه نحن ، فجاء أكبر منا ، في الوقت الذى كان من الممكن أن نتعلم من تجربتنا ، بأن لا حياة ولا مستقبل بغير الاحترام المتبادل ، واشاعة روح الديمقراطية والتمسك بها منهجا ووسيلة لحل كافة مشاكلنا وقضايانا دون المساس بحق كل واحد منا ، حق غير منقوص . في طرح وجهة نظره ، والرد عليها ضمن القواعد والاصول التي يحرص الجميع على التمســـك بهـــا .

Digitized by Birzeit University Library

بكتبها : محمد البطراوي

● صديقة من جبل المكبر تكتب تحت عنوان "لن تمر المؤامرة :

" الجبال تصرخ والسهول تنتحب ، والوديان تئن . وحركة الحياة توقفت والخضرة تلاشت ، تحجرت الدموع في العيون والاطفال فقدوا البسمة يسألون عن آبائهم وأجدادهم .الزوجة تسأل عن زوجها " وتمضي الصديقة في مثل هذا الكلام الى أن تقول : "واليوم ، ومما يدعو للسخرية يريدون انقاذ ما يمكن انقاذه . أين كان هذا الشعار والقنابل العنقودية تأكل لحوم الاطفال والنساء والشيوخ في كل مكان " الخ .

هذه الكتابه هي خواطر ذاتية ، وكم كان بودّنا ان تقوم الكاتبة بتحليل أسباب الاسى والالم في خاطرتها وشرح دور أصحاب شعار "انقاذ ما يمكن انقاذه " وعدم حصر المسألة في هذا الشعار وحدهم ، لانهم يؤدون دورا محددا يخدم المعتدين ويخدم اسيادهم .

على أي حال ، قد تكون كتابة الخواطر مريحة للكاتب نفسه وللقارئ أيضا ،ولكن تبقى الكتابة الموضوعية هي الاكثر فعلا في ظروف القهر والعدوان .

● ومن جبل المكبر أيضا يرسل لنا أحد الاصدقاء "قصيدة بعنوان "ورود وأشواك"،

وقد امتنعنا عن نشر القصيدة" لانها تفتقر في الاساس الى وجدانية الشعر وطاقته الموحية الموصلة وماكتبه هو نثر عادى جدا أثقله بلصق بعض القوافي ليتسنى له الاحساس بأن ما كتبه من الشعر ، ثم قام بالتهويم في جو من الكلمات لاعتقاده ايضا بأنها الشعر ، فخسر الموضوع ولم يكتب شعـــــرا .

ان المواظبة على الكتابة ومحاولة التعرف الى ما تعطيه كل كلمة تكتبها قد تساعد في التخلص من هذه "اللخبطة" التي تهتم بالصوت الذى يصدر عن الكلمة ولا تهتم بالمعنى كما أن التفكير في القصيدة بدون

Digitized by Birzeit University Library

كلمات يجب أن يسبق كتابة كلماتها حتى يكون لنا موضوع ، وحتى لانغرق في الايقاع ونحسه بعد ذلك شعرا نشكر الصديق على ثقته بالمجلة ، ونطالبه بالمواظبة على الكتابة حتى ولو تعذر نشر ما يكتب .

● صديقة تكتب لنا قصيدة بعنوان " " أجسادنا حبل المشنقة " تقول في بدايتها :

لا تسرقوا شمس بلادنـــا
عندما تضرم النار في احيائنـا
وتظهر قلوبكـم السوداء
أيهـا العـــزاة ..
بين اشلائنـــا
لا تسرقوا شمس بلادنـــا
وتطفئوا الابتسامة في شفاهنـــا
ولا تقتلوا الحب في اطفالنـــا
أيها المنعمـــــون
في تلك الليالي الغادرة
هذه جثثنـا ، هـذه زروعنـا
هـذه أجسادنـــا
يا ظالـم الاحـــرار
تحـــــرر ....

أما حكي .. مثل هذا الحكي هل يمكن ان يكون شعرا .. ما الذى تريدين قوله ؟ هل يكفي ان تقول "بلادنا أحياءنا ، الغزاة ، تطفئوا الابتسامة " حتى يكون ما نقوله شعرا ؟ ثم ما هذا الحكي " يا ظالم الاحرار .. تحرر" ؟

قد يكون من المؤلم حقا أن تصلنا في "الكاتب" أمثال هذه الكلمات على أساس أنها شعر فنحن نشفق أن نقول لمن يمسك قلما ، ان ما كتبت غير مناسب ، ونتألم ان نرى مثل هذا العدد من الناس يعتقدون أن الشعر هو هذا الشكل وذلك الاسلوب من الكـــــلام .

ولكننا لا نمل القول ابدا أن الشعر يمكن أن يأتي اذا ما استمرت المحاولة ، واذا ما استمر الكاتب في سؤال نفسه عما يريد ان يقوله للناس ، وسؤال نفسه أيضا لم اختار هذه الكلمة أو تلك ، كل الذين يكتبون لنا يحملون في كتاباتهم هما نضاليا نبيلا ، ولكن النبل يوجب النبالة كما يقول الفرنسيون ، والهم النضالي النبيل يجب أن يصل الناس باسلوب نضالي متميز .

● وارسلت لنا صديقة خاطرة بعنوان "هي ومملكتها" ، وقد كتب المحرر الادبي معلقا على هذه الخاطرة بما يلي :

"خاطرة كتبت بأسلوب رومانسي مغرق في الغموض .. لدرجة ان يستغلق على القارئ فهم مراميها .. فقد بدأتها قائلة : " وبرغم الحزن الذى يملأ قلبها والاسى المتراكم عبر السنين حاولت أن تخرج من بوتقة الندم والانطلاق عبر آهات الزمن ، عبر الوجود المتناهي لتمسك بقبضة من حديد ." فماذا يعني كل ذلك ؟ وما هو سبب الاسى والحزن والندم ..الخ ومن ناحية لغوية فالصحيح ان نقول الوجود اللا متناهي ...

يجب ان يكون هناك فكرة واضحة يعبر عنها الكاتب في خاطرته .. وهذا الوضوح ليس متوفرا في هذه الخاطرة .. التي هي أشبه ما تكون بالهلوســـــة ".

Digitized by Birzeit University Library

صوت المعلم

اصدرت اللجنة العامة لمعلمي مدارس الحكومة في الضفة الغربية في اواخر شهر ايار الماضي نشرة لمرة واحدة تحمل عنوان "صوت المعلم" وهي عبارة عن كتاب يقع في ١٨ صفحات من الحجم الكبير تضم بين ثنايا دفتيها مجموعة من المواضيع القيمة كتبت بأقلام الاعضاء من لجان المعلمين .

وتطرقت كلمة النشرة الى اوضاع المعلمين الحكوميين الاقتصادية التي يعانون منها ،حيث لا يتجاوز متوسط الرواتب حدود ٩٠ دينارا اردنيا في ظل الوضع الاقتصادي المنهار وهو مربوط بالشيكل المتآكل ،بالاضافة الى المضايقات التي تمارس ضدهم من قبل سلطات الاحتلال من احالتهم على التقاعد والفصل التعسفي ونقل بعضهم الى امكنة نائية وعدم ترفيعهم رغم كفاءتهم التربوية ،وجميع هذه العوامل تؤثر على نسبة نجاح الطلبة وخاصة التوجيهي ، الذين يعانون من مضايقات السلطات من اعتقال قبل واثناء الامتحانات وغيره من المضايقات .

وتضمنت النشرة عدة مواضيع منها تدني مستوى التحصيل العلمي في الضفة الغربية وانخفاض نسب النجاح في التوجيهي وهو عبارة عن دراسة موضوعية لنسب النجاح في التوجيهي في مدارس الضفة وواضعة الاسباب الموءدية الى ذلك ،بالاضافة الى عدة مواضيع قيمة اخرى .

الممارسات الاسرائيلية في المناطق العربية المحتلة

صدر عن منشورات جمعية الدراسات العربية بالقدس كتاب "الممارسات الاسرائيلية في المناطق العربية المحتلة" اعداد غسان عبدالله .ويقع الكتاب في ١٤٧ صفحة من الحجم المتوسط،وهو سجل وثائقي لممارسات سلطات الاحتلال خلال عام ٨٣، من مصادرة اراضي واستيطان وغيرها من اعمال سلطات الاحتلال الاستفزازية التي تمارس ضد ابناء الشعب الفلسطيني .

وجاء الكتاب متضمنا احصائيات عن هذه الممارسات حيث ذكر ان مساحة الاراضي التي تم مصادرتها خلال عام ٨٣ من الضفة الغربية ٢٦٤٤٨ دونم وعدد المستوطنات التي انشأها او خطط لانشائها في نفس العام بلغت ٢٣٦ مستوطنة وغيرها من الاحصائيات .

"مع فلسطين بالقلب"

مع "فلسطين بالقلب" مجلد من مختارات اشعار الشاعر الفلسطيني التقدمي

الراحل معين بسيسو صدر باللغة الروسية بموسكو ، ويقع في ٢٩٨ صفحة من الحجم المتوسط وشارك بترجمته خمسة عشر مترجما وتم طبع عشرة الاف نسخة منه ، وقدم له الشاعر السوفييتي سوخروتوف

Digitized by Birzeit University Library

ومما جاء في المقدمة :-

"صديقي واخي .. "

" لم انسى كلماتك حين قلت لي انه من الضروري ان ندعوني الى بيتك في غزة ذات يوم وحينها لم استطع ان ارى معك الشفق الرائع على شاطئها .. انا اؤمن أن ذلك سوف يكون ، اعرف انك ، اني كنت تسمع واسمع دقات قلب غـزة ـ قلبك "

أدب الاطفـــال

صدر عن دارالكاتب الطبعة الثانية من كتاب أدب الاطفال لمؤلفيه على الجربرى وعمر شكارنة ، ويضم الكتاب تسعة فصول تقع في مئة وعشرين صفحة من الحجم الكبير وجاء مشتملا على مراحل النمو اللغوى عند الاطفال ، ومفهوم ادب الاطفال ، ونشوء وتطور ادب الاطفال عربيا ، بالاضافة الى نشوء وتطور ادب الاطفال عالميا ، ومواضيع اخرى قيمة علما بأن هذا الكتاب من المواد الدراسية لطلبة الجامعات والمعاهد العليا بالضفة والقطاع. وتم اهداؤه الى اطفالنا الذين يحلمون بوطن سعيد ومستقل. ويتطلعون لعالم السلـــم والتقـــدم ".

النشرة الداخلية لجامعة بيـر زيـت

صدر عن دائرة العلاقات العامة بجامعة بير زيت في اواخر شهر ايار الماضي العدد الثالث من النشرة الداخلية. وتعتذر الدائرة عن تأخر صدوره بسبب اغلاق الحرم الجامعي من قبل سلطات الاحتلال ،حيث انتظم الدوام في ١٩٨٤/٥/٢ .

وتضمت النشرة معلومات احصائية عن الهيئة التدريسية بالجامعة بالاضافة الى اسهام مؤسسة آغا خان ببستنة الحرم الجديد للجامعة ، وتطرقت الى حفل تأبين الاستاذ غسان حرب ، بالاضافة الى التطرق لحملة الاعتقالات التي شنتها سلطات الاحتلال ضد الطلبة عشية اغلاق الجامعة ومواضيع اخرى .

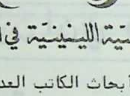

دفاتر الماركسية اللينينية في العالم العربي

وصل الى مركز أبحاث الكاتب العدد الثالث من المجلة الفصلية النظرية "النهج" التي تصدر عن مركز الابحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي . وهي تقع في ٣٥٠ صفحة من القطع الكبير ، وتتضمن عددا كبيرا من الموضوعات الهامة التي تهم القارئ المحلي والعربي . من ضمنها "الديمقراطية الثورية وظاهرة الانتقال الى مواقع الاشتراكية العلمية " بقلم رئيس التحرير فخرى كريم ، بالاضافة الى دراسات عن الثورة الوطنية الديمقراطية ، وحوار مع الرفيق على ناصر محمد وقضايا راهنة عن بعض الاحزاب الشيوعية من ضمنها "الحزب الشيوعي الاردنـي يعقـد مؤتمره الثانـي ".

كما تضمن العدد تأريخا عن الاحزاب الشيوعية في البلدان العربية خلال العشرينات والثلاثينات . كما تضمن ابحاثا في الادب ومدارات فكرية وتقارير وصحافة عن الحركة الشيوعية العربية والعالمية .

Digitized by Birzeit University Library

ستوديو فيديو

هافانا

جنتا الأرمني — رام الله - شارع يافا

يعلن ستوديو هافانا إلى المواطنين الكرام
بأننا على استعداد تام لتصوير الوثائق والمستندات
والمعاملات الرسمية على أحدث الماكنات من نوع

كانون ان بي ١٢٥ تكبير وتصغير على الوجهين

تصوير فيديو تيب
لجميع الحفلات والمناسبات على أحدث الأجهزة

VHS كاسيت كبير — بال سيكام — BETA كاسيت صغير

تصوير شخصي سريع ملون
لصورات لاسيه باسيه * جوازات سفر وفيز * رخص سواقه
ولجميع الطلبات والمعاملات الرسمية

أهلاً وسهلاً بكم

Digitized by Birzeit University Library

أحدث الأفلام العربية والأجنبية

فيديو كاسيت

جيفارا

لصاحبه فاروق حكمت

بيع وتأجير أفلام الفيديو والكاسيت

رام الله - مقابل سينما الجميل

لجميع أشغال ..

الالومنيوم

راجعوا ...

مشغل الومنيوم

محمود القنبر

القدس راس العامود شل خورشيد

Digitized by Birzeit University Library

شركة العوري التجارية المساهمة المحدودة

القدس - شارع الزهراء - بجانب مخبز فلسطين حديثة - تلفون ٢٢٤٤٥ ص.ب ٢١٠٠

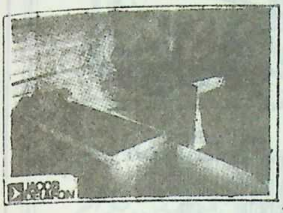

لوكلاء والمزعومين العالمين لأفضل ماركات الأدوية الصحية والحمامات في العالم ..

ماركة جاكوب دليفون وايليال استاندرد صنع فرنسا ، اشهر ماركات البطاريات في العالم جروهي الالمانية ..

بالاضافة الى اصناف انواع الكراميكا والبلاط الصيني والأبطالي ، ٦٠٠ نموذج في خدمة المستهلك من افضل نوعيات البلاط الصيني الكراميكا يوجد لدينا جميع الأدوات الصحية والبلاط والكراميكا والخنفيات المحلية نماذج جهزات للديكور ، وأبواب خشبية مزخرفة .

نؤمن وصول البضاعة الى جميع المناطق في الضفة والقطاع .

نحن نقدم الافضل والاجود دائما .

العنوان

Digitized by Birzeit University Library

جديد للذي يبحث عن الجودة

مركز بيت لحم للرخام والجرانيت

بإدارة

أحمد سرور - أبو نضال

باب الزقاق - عمارة الفرد قطان - تلفون ٧٤١٨٥٧

أشهر أنواع

الدرسكات المستوردة

بمختلف الأحجام والمقاسات

مستوردة مباشرة من ايطاليا وبلجيكا

* كافة أنواع البلاط والجرانيت والرخام
* أفخر أنواع المجالي للمطابخ
* أحجار بناء بأنواعها المحلية والمستوردة

من الهند وتركيا وايطاليا والبرازيل ومناطق عديدة في افريقيا

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

اجعل من بيتك قصرًا

باستعمال بلاط أرض من **رخام** أو **جرانيت**
رخام للحمامات والمنافع بدل الكيراميكا

انتاج

بولص اخوان

أكبر منتجي ومصدري الرخام في البلاد

اسم شهير في صناعة الرخام في اسرائيل والعالم

- اجود وارقى انواع الرخام الاجنبي والمحلي
- تشكيلة كبيرة وخلابة من الرخام والجرانيت للاستعمال بدل بلاط الأرض.
- رخام فاخر بدل الكيراميكا للحمامات والمنافع بسمك ١ سم

تنزيلات كبيرة بالأبعاد

رخام ١٧ دولار ابتداء من للمتر المربع

جرانيت ٢٨ دولار ابتداء من للمتر المربع

الجليل - مد البحر

بولص اخوان - كرمئيل - المنطقة الصناعية ت: ٩٨٨١٩٥، ٤/٩٨٥٧٥٩.

زهرة المدائن

أنا لا انسان فلسطين
أنا في اهدابك نسرين

وشيد يشدو في البعد
أنا زهرة المدائن الورد

Digitized by Birzeit University Library

أماه لهذه قريتنا ولماذا لهذه الاسلاك

AL-KATEB
For human culture

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem

51

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library